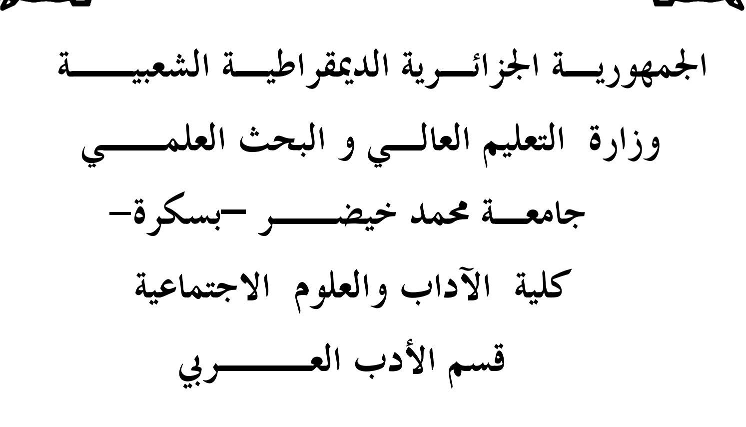


الجمهوريـــة الجزائـــرية الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالـــي و البحث العلمـــي

جامعـــة محمد خيضـــــر –بسكرة–

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

قسم الأدب العـــــربي

التماسك النصي بين النظرية و التطبيق

سورة الحجر–أنموذجا–

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان

إعداد الطالبة:

فطـــومة لحمادي

إشراف الأستاذ

الدكتور/محـــمد خان

السنة الجامعية :2004/2003م

إن اللغة المنطوقة و المكتوبة من أهم وسائل الاتصال و التواصل بين بني البشر، و من ثم فقد حظيت بنصيب وافر من الاهتمام والدراسة منذ زمن طويل وظهرت مدارس لغوية عديدة، كانت أحدثها المدرسة النصية، التي دعت في تحليلاتها النظم التي اتبعها المدارس الأخرى و الـتي كـان اهتمامها منصبا على الجملة بوصفها الوحدة اللغوية الكبرى فتجاوزتها لتصل إلى وحـدة اكـبر متمثلة في النص لما شملته من نقائص إذ لا يمكن دراسة المعنى منفصلا عن سياقه اللغوي المتمثل في البنية اللغوية الكبرى "النص".

ونظرا لتعدد المفاهيم الخاصة بنظرية نحو النصوص وكثرة تشعباتها وروافدها كونها تستمد مادتها من علوم مختلفة ،هذه الأخيرة التي تعتبر النص وثيقة تقوم بدراستها من جوانب متعـددة، الشيء الذي لم يمكن العلماء و الباحثين من صياغة نظرية نصية ثابتة ومتينة علـى الـرغم مـن المحاولات الجادة التي قام بها بعضهم أمثال :فانديكVANDIJK وفاينريش VANRISHوبيتـوفي BETOVIEو غيرهم، مما أدى إلى ندرة الأعمال النصية خاصة في المكتبة العربية، ونظرا للحاجة الماسة للتعريف بهذه النظرية وتأصيلها ،ثم تحليل أقدس النصوص العربية تحليلا نصيا معاصرا يساير ما وصلت إليه هذه النظرية من تحليل نصي معاصر؛ لأننا من خلال تتبعنا للنظرية النصية وجدنا أن التحليل النصي في المجال التطبيقي في الإسهامات الغربية خاصة لم تتعد النصـوص الصـحفية أو المقالات أو هي من قريحة مؤلفي هذه الكتب، فكانت الحاجة القصوى إلى اختيار نص أدبي راق – وهل غير النص القرآني يتصف بإعجاز الكلمة و السورة و الأسلوب؛ إنه كما عبر عنه المفسرون بأنه "كالكلمة الواحدة"[(1)] رغم نزوله في أوقات مختلفة و في أمكنة مختلفة –الشيء الذي يعبر عن معنى البنية الكلية.

ولما كان التطور من سنن الحياة و مواكبة ركب هذا التطور في غير انفصال عن الموروث القديم تعد من الواجبات المنوطة بالباحثين لكشف النقاب عن الإسهامات القديمة والحديثة لتقديم نظرية متكاملة حرصنا أن نختار سورة قرآنية تعبر عن قضية كبرى وهي قضية العقيدة من خـلال سورة الحجر في إنذار المشركين على عدم إسلامهم وعبادة الإله الواحد القهار وذكـر البعـث

[(1)] محمد خطابي ، لسانيات النص " مدخل إلى انسجام الخطاب " ، المركز الثقافي العربي ،بيروت ،لبنان،1991،ص 96 .

ودلائل إمكانه وخلق الإنسان وذكر قصة إبراهيم ولوط عليهما السلام وأصحاب الأيكة كل هذه الأغراض والمواضيع تصب في بوتقة واحدة تتمثل في قضية العقيدة.

والإشكالية التي تطرح نفسها هي ما طبيعة هذه النظرية؟ وما أهدافها؟ وكيف يمكن تحليل النصوص من خلالها ؟ وكيف اعتمدت التماسك والانسجام أساسين مميزين بين النص واللانص؟ وما هو الجديد الذي أسهمت به دون غيرها من المدارس السابقة؟ وهل هناك جذور لها في التراث العربي؟ وغيرها من الأسئلة التي تساهم في فك شفرة النص بصورة عامة، والنص القرآني بخاصة عبر التحليل النصي المعاصر.

واختيارنا لعنصر التماسك النصي محورا للدراسة كان نتيجة كونه محورا للدراسات النصية والمدار الذي تدور في فلكه جل نظريات التحليل النصي؛ فعلى أساسه تبني علاقة الكلمة بما جاورها وعلاقة الجملة مع الجمل الأخرى، وهكذا لنصل في الأخير إلى بناء نص كلي أو بنية كلية ذات ترابط وثيق على المستوى الشكلي من خلال الضمائر الإشارية والموصولية وعلاقات الاستبدال بين الكلمات المختلفة أو الجمل والتكرار ،والحذف وغيره من الأدوات التي تحقق التماسك بين أجزاء النص على المستوى الدلالي من خلال اعتبار النص وحدة دلالية كبرى تتألف من وحدات دلالية جزئية تتآلف فيما بينها لتكون الدلالة الكلية للنص.

إذن هناك تماسك شكلي وتماسك دلالي دون أن نغفل جانبين هامين في الدراسات النصية هما السياق والتناص من خلال ذكر قصص داخل السورة ليتلاحم مع موضوع السورة الأساسي وعنوانها ،لتحقيق الهدف منه فلم يكن هذا الاستدعاء للقصص لذاتها بل لموضوعها وكيفية إسهامها في ترسيخ ما تهدف السورة إليه ولم نهتم بجانب ترتيب الخطاب وموضوع الخطاب لأنها تندرج ضمن عنصر آخر من عناصر التحليل النصي والمتمثل في الانسجام(COHERENCE)؛لأنه "يصرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا " أو غير المتحقق" أي الاتساق إلى الكامن " الانسجام "[1]لهذا كان سعينا إلى دراسة المتحقق فعلا وليس صدى الكامن من خلال التأويل الذي يعد من أعقد المسائل وخاصة في النص القرآني.

---

[1]محمد خطابي، لسانيات النص "مدخل إلى انسجام الخطاب" ، ص 21 .

و قد اعتمدت تقسيم الدراسة إلى مستويات ليس من باب الفصل القطعي بينها ؛لأن هذه الدراسة النصية تكمن في وحدة الدلالة والبنية الكلية للنصوص، وإنما التقسيم استدعته الحاجة إلى التمييز بين أنواع أدوات التماسك النصي أو إلى المستوى الدلالي، فبعضها ينتمـي إلى المسـتوى النحوي كالضمائر والاستبدال والتوابع ،وبعضها ينتمي إلى المستوى المعجمي كالتكرار والمطابقة ورد العجز على الصدر،وبعضها الآخر ينتمي إلى المستوى النحوي والدلالي كالحـذف وغـيره ،وكلها تتآزر وتتآلف لتنصب في البنية الكلية للنص وتعبر عن دلالتها الموحدة، وقـد رأيـت أن أدعم أدوات التماسك النصي وذلك لتأكيد مدى أهميتها في تلك السورة .

أما المنهج المتبع فهو المنهج الوصفي التحليلي ؛لأنه لا يمكن البدء بالتحليل دون الوصـف، فيجب توضيح مكونات النص ابتداء من الجملة الأولى ثم بيان الموضوعات التي تناولهـا الـنص، وإدراج الدراسة الإحصائية تحت إطار الوصف من حيث بيان الروابط الموجودة في الـنص حـتى نصل إلى بيان وظيفة هذه الروابط حينئذ يبدأ التحليل النصي الذي لا يعتمد على الروابط الموجودة بين أشتات النص الداخلية فقط، بل يتعداها إلى الروابط الخارجية. إلا انه يبين وظيفة هذا السياق في تفسير أبعاد النص دون إغفال دور القارئ أو المتلقي أثناء عملية التفكيك أي القراءة للنص

وقد قسمت بحثي هذا إلى بابين، الباب الأول نظري والثاني تطبيقي.

الباب الأول نتناول فيه الحديث عن التعريف بالنص و لسانيات النص وأهم المصـطلحات التي أفرزها هدا العلم ،ثم نعرض في الفصل الثاني لأهمية التحليل النصي ،و طبيعته عند القدماء.ولما كان التماسك النصي أهم مظاهر التحليل النصي ،بل هناك من رأى أنه القضـية الأساسـية في التحليل النصي ،أفردنا له فصلا كاملا موسوما ب التماسك النصي عرضنا فيه مفهومه وأهميته،ثم الصلة بين مصطلحات التماسك والسياق والمتلقي التي تعد من أهم ركائز الدراسة النصية ،وكيف أن كل عنصر لا ينفصل عن الآخر. وفي النهاية عرضنا لأهم الأدوات التي تسـهم في التماسـك النصي ،ولما كان التأصيل في حاجة إلى ذكر جذور هدا التحليل في التراث العـربي و خصصـت العنصر الأخير من الفصل الثالث لنظرة القدماء للتماسك النصي ثم يأتي الباب الثاني من الدراسـة فكان عنوان الفصل الأول منه هو المستوى المعجمي الذي اندرجت ضمنه عناصر كالتكرار ورد

العجز على الصدر والمطابقة وذيلت كل عنصر بالتحليل النصي المعاصر للسورة بمنظور لسانيات النص.

ويأتي الفصل الثاني ليعالج إسهام الضمائر والتوابع والحذف بوصفها من أدوات التماسك النصي .أما الفصل الثالث فقد خصص للمستوى الدلالي الذي ذكرنا فيه أداة على درجة كبيرة من الأهمية في تحقيق التماسك النصي، ولها دور واضح في التحليل النصي، ومع ذلك لم يذكرها علماء النص والمتمثلة في المناسبة، وهذا يرجع لطبيعة النصوص التي قاموا بتحليلها، وهذه الأداة نالت اهتماما كبيرا من طرف العلماء العرب أمثال الرازي والسيوطي غير أنهم لم يضعوها في صورة نصية كاملة .

وقد قسمنا الفصل الثالث إلى عناصر تندرج ضمن أنواع المناسبة.

وفي الأخير نقول إن قلة المراجع والدراسات النصية في المكتبة العربية صعب علينا مهمة البحث لكن بفضل إصرارنا وإيماننا بنبل الرسالة التي نؤديها ومؤازرة المشرف لنا تمكنا من الاستمرار في البحث للوصول إلى إخراجه إلى النور لهذا لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور محمد خان أستاذ علوم اللسان وعميد كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة بسكرة ،فله منا جزيل الشكر والامتنان على المجهودات التي بذلها لقراءة المذكرة وتصحيحها وتقويمها برأيه السديد ،فجزاه الله عنا خير الجزاء. وما توفيقي إلا من الله وبه المستعان.

الباب الأول:

الفصل الأول: تعريف النص ولسانيات النص وأهم المصطلحات

1-مفاهيم النص ولسانيات النص

2-التعريف بأهم المصطلحات

الفصل الثاني: التحليل النصي عند القدماء

1-عند البلاغيين.

2-عند النقاد.

3-عند المفسرين.

الفصل الثالث: التماسك النصي

1-مفهومه وأهميته.

2-أدواته.

3-التماسك والسياق والمتلقي.

4-نظرة القدماء إلى التماسك.

-لقد كانت الجملة محل اهتمام الدراسات اللغوية، باعتبارها الوحدة اللغوية الكبرى الــتي يمكن أن ينالها الوصف، لكن هذه الدراسات اختلفت باختلاف توجهات الدارسين ومعــاييرهم اللغوية المعتمدة، مما أعاقهم عن التوصل إلى تعريف جامع لها، فأفرزت دراساقم مصطلحات كثيرة ومتشابكة كمصطلح الكلام والجملة.

-فالكلام لدى ابن جني (ت 392هــ) يعرفه بقوله:"كل لفظ مســتقل بنفســه مفيــد لمعناه".[1]

وهذا التعريف يطلقه على الجملة التامة أو على مجموع الجمل "فالكلام إذا إنما هو جــنس للجمل التوام، مفردها ومثناها ومجموعها"[2].

ويذهب الزمخشري (ت 525هــ) في كتابه المفصل إلى مــا ذهــب إليــه ابــن جــني بقوله:"الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك زيد أخوك وبشر صاحبك أو في فعل واسم نحو قولك ضرب زيد، وانطلق بكر وتسمى جملة"[3] إذن فهو يسوي بين الجملة والكلام ويعدهما مترادفين عند تضمنهما علاقة الإسناد.

ويخالفهما كثير من النحاة الذين يفرقون بين الكلام والجملة، وذلك من جهــة العمــوم والخصوص، باعتبارهم الجملة أعم من الكلام، فهذا رضــي الــدين الاســتراباذي (ت 686) يقول:"والفرق بين الجملة والكلام أن الجملة ما تضمنت الاسناد الأصلي، سواء كانت مقصــودة لذاتها أو لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ، وسائر ما ذكر من الجمل، فيخرج المصدر واسما الفاعل والمفعول، والصفة المشبهة، والظرف مع ما أسندت إليه، والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس"[4].

وهو ما ذهب إليه ابن هشام (ت761هــ) الذي فرق بين الجملة والكلام مــن ناحيــة الإفادة لا ناحية الخصوص والعموم، بقوله:"الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، الجملة عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد والمبتدأ أو الخبر كزيــد قائم وما كان بمترلة أحدهما نحو: ضرب اللص، أو قائم الزيدان، وكان زيد قائما وظننته قائمــا،

---

[1] ابن جني، الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، [د.ت]، ج1، ص17.

[2] الخصائص، ج2، ص27.

[3] الزمخشري، المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 6.

[4] رضي الدين الاسترباذي، شرح الوصفي على الكافية، ج1، ص08.

وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفين كما يتوهمه كثير من الناس ،وهو ظاهر قول صاحب المفصل، فإنه بعد أن فرغ من حد الكلام قال:"ويسمى الجملة" والصواب أنهما أعم منه إن شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط وجمل الجواب، وجملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيدا فليس كلاما"[1].

-فهذان الاتجاهان يمثلان أبرز الاتجاهات النحوية في تحديد مفهوم الجملة والكلام لدى اللغويين القدماء، وإن نظرنا إليهما بمنظار نقدي فإننا نلاحظ:

أن أصحاب الاتجاه الأول يدعمهم رأي اللغويين المحدثين أمثال صاحب النحو الوافي "عباس حسن" الذي يقول:"الكلام والجملة ما تركب من كلمتين أو أكثر"[2]، إذ جعلوا الإفادة شرط الجملة أو الكلام.

وأما أصحاب الاتجاه الثاني فبنوا فهمهم للجملة، على أساس شكلي، إذ نظروا إلى مكونات الجملة من حيث تركيبها من مسند ومسند إليه، بغض النظر عما إذا تحققت الفائدة التامة منها أم لا، "ومن ثم يمكن أن يوسم هذا الاتجاه —دون تجوز كبير- بأنه اتجاه شكلي أو كمي في مقابل ذلك الاتجاه الكيفي المعنوي[3].

والإشكالية ذاتها وجدت لدى علماء الغرب، فمنهم من عرف الجملة بأنها "عبارة عن فكرة تامة"[4] أو هي "تتابع من عناصر القول تنتهي بسكتة"[5] أو هي "نمط تركيبي ذو مكونات شكلية خاصة"[6]، فنلاحظ أن كل هذه المعايير تختلف اختلافا تاما فيما بينها، لذا فالدارسون يختلفون في أحكامهم بالنسبة لما تتكون منه الجملة.

-أما فيما يخص نحو الجملة فمن عيوبه أن نحاتها يتمسكون بمبدأين هما: "الإصرار على استقلال النحو عن الموقف الاتصالي وإخضاع الجمل الطويلة المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب اللغوية البسيطة، ويمثل هذان المبدآن عقبة كبرى أمام نظريات التوالي اللغوية، لأنهما يؤديان إلى

---

[1] ابن هشام، مغني اللبيب، دار إحياء الكتب العلمية، مصر، د.ت، ج2، ص419.

[2] عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط2، ج1، ص15.

[3] علي أبو المكارم، الجملة الفعلية، مكتبة الشباب، القاهرة، 1978، ص27.

[4] ينظر .Ivic, Mika, 1965, Trends in linguistics. The Hague Mouton, p20

[5] ينظر روبرت دوبوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، مصر، ط1، 1998، ص88.

[6] المرجع نفسه، ص88.

خلق نموذج للغة تتم فيه العمليات بتحويل تراكيب إلى تراكيب أخرى في حدود النظام نفسه"[1] مما استدعى ضرورة امتداد نطاق الوصف النحوي إلى ما وراء الجملة وإلى الاتســـاع في الأدوات والوسائل وإدخال عناصر ومعايير كانت جزءا من الدرس النحوي، أو هي جديدة عليه نتجت عن تجاوز أطره التقليدية وتداخله مع أوصاف أخرى تشترك جميعها في تقديم وصف شامل لبنية كبرى متمثلة في "بنية النص".

فمنذ النصف الثاني من الستينات ظهرت أولى المحاولات للانتقال من التحليل المقصور على الجملة إلى تحليل أزواج الجمل في إطار نظرية التوسيع، وذلك بتوسيع مفهوم الجملة؛ "لأنه لا يمكن أن نفسر الجمل المفردة الصحيحة نحويا على أنها وحدات اتصالية مغلقة"[2] لذلك كان لزاما علينا تجاوز الدراسة النحوية المقصورة على الجملة المفردة، دون إغفال كـــون الإســـهامات الأولى في توسيع نحو الجملة وجدت منذ وقت طويل، أي قبل نشأة الحقل الخاص بعلم لسانيات النص.

"وليس من قبيل الصدفة أن تتفق الدعوات المبدئية الأولى إلى ضرورة تحليل كليات الـــنص مع التحولات الجوهرية في علم اللغة (تقريبا من الستينات إلى بداية السبعينات) تلك التي تنـــدرج عموما تحت مفهوم جامع هو (الحقبة الاتصالية الذرعية).

بشكل عام يفهم من ذلك تحول النماذج من علم اللغة الذي يكاد اتجاهه يقتصـــر علـــى النظام اللغوي (من دي سوسير إلى تشومسكي) إلى علم لغة يرتكـــز علـــى الاتجـــاه الاتصـــالي والوظيفي[3].

-وفي إطار توسيع الجملة إلى النص ظهرت محاولات عديدة تبشر بميلاد نحو جديد "نحـــو النص" و لم يفرض وجوده -على حد رأي أحد الباحثين- إلا مع بدايات النصف الثاني من هـــذا القرن، حين نشر "زيليج هاريس" ZILLIG HARRIS (1952) دراستين اكتسبتا أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة تحت عنوان "تحليل الخطاب"، إذ أنه بهاتين الدراســـتين لم يكـــن أول لساني حديث يعتبر الخطاب موضوعا شرعيا للدرس اللساني فحسب، بل إنه جاوز ذلك إلى تحقيق قضاياه التي ضمنها برامجه بتقديم أول تحليل منهجي لنصوص بعينها، وقد خرج بذلك عن تقليـــد

---

[1] فولفانج هانيه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر:صالح فالح الشايب، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997، ص18.

[2] المرجع نفسه، ص20.

[3] دوبوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص10.

أرساه "بلومفيلد" BLOOM FILD يقضي بأن "التعبير اللغوي المستقل بالإفادة أو الجملة هو مادة اللساني، أما النص فليس إلا مظهرا من مظاهر الاستعمال اللغوي غير قابل للتحديد"[1].

دون أن نغفل محاولات العديد من العلماء الآخرين أمثال "هارفج "HARVEG" وفاينريش" "VANRICH" اللذين كان لهما الفضل الكبير إذ قدم الأول نموذج استبدال تتحرك فيه عناصر الاستبدال "على المستوى الأفقي"، أما الثاني فقد قدم نموذج تجزئة النص الذي يركز على إجراءات منظمة لدراسة العلاقات بين الجمل المتجاورة للكشف عن علاقات التماسك التي تجعل من النص تكوينا واحدا مترابطة أجزاؤه ترابطا شديدا [2].

في حين أن "ڤانديك" "VANDIjK" قدم عدة نماذج نصية ونظرات مختلفة حول دراسة النصوص ووصفها وتفسيرها، "وقد لوحظ أنه اعتمد في نماذجه على عناصر لغوية فأدخل فيها مكونات نفسية ومنطقية -دلالية واتصالية تداولية- إلى جانب المكونات التحويلية والدلالية التوليدية"[3] معتبرا النص يتكون من بنية دلالية عميقة ومن بنية سطحية تشتق من خلال قواعد تحويلية.

أما بتوفي (PETOVI) (1971) فقد قدم محاولات لا تقل عن محاولات "ڤانديك" جدية وثراء على الرغم من أنه استقى مكونات نماذجه من المنهل ذاته الذي اغترف منه "ڤانديك". (الاتجاه التحويلي) إلا أن محاولاته لها سمات خاصة، وقد اتسمت نظريته بالتوسع [النظرية الكونية الموسعة] وعناصرها مشتقة من المنطق والنحو التحويلي ومكونات أخرى دلالية وتداولية[4].

هذا دون أن ننسى الدراسات التي قام بها فلاسفة اللغة امثال:"أوستين" "AUSTIN" (1962) و"سيرل" "SEARLE" (1969) ثم "هاليداي" "HALLIDAY" (1973) الذي قدم أعظم عمل في تحليل الخطاب البريطاني وغير مفاهيم كثيرة في المدرسة اللغوية بتأليفه مع رقية حسن (1976) كتابهما "التماسك في اللغة الإنجليزية" Cohesion in English "الذي يعتبر بحق قفزة نوعية في ميدان اللسانيات الحديثة.

---

[1] سعيد البحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، دارنوتال، القاهرة، ط1، 1977، ص18، 19.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص94.

[3] Vandijk, term la ciencia del texte, trad bercelone, 1984, P 25

[4] ينظر سعيد البحيري، علم لغة النص، ص 95.

إشكالية تعريف مصطلحي النص ولسانيات النص:

إن الاتجاه الجديد –نحو النصوص- يركز في دراسته على اعتبار النص الوحـــدة الكـــبرى للوصف، وبأنه مادة الدراسة الأساسية الذي أوقع العديد من الباحثين في إشكالية تحديده. فهـــو المادة المشتركة بين كثير من العلوم ونقطة الالتقاء بينها. لذا فهم يختلفون فيما بينهم في أوجه النظر إليها وكيفية تحليله وتوظيفه واستخلاص النتائج منه، ومن هنا يتضـــح جنـــوح كـــل علـــم إلى الاستقلال، وتتضح الحاجة الماسة إلى علم جديد أو اتجاه جديد يمكنه احتواء هذا التداخل المعـــرفي الشديد وإبراز نقاط الاتفاق بينها ونقاط التشابك.

"وقد أطلق على هذا العلم مصطلح "علم لغة النص" أو "علم اللغة النصـــي" "أو علـــم النص" بشكل عام، وفي المغرب العربي يعرف بمصطلح "لسانيات النص" أو "نحو النصوص" وهو – كما قلنا- يحاول أن "يقدم أشكال الاطراد أو صور الانتظام التي تنتج عن الاستخدام الاتصـــالي وأن يعالج أشكالا نصية متباينة في سياقات تفاعل اجتماعي مختلفة من زوايا عدة[1].

ومن الملاحظ بوجه عام أن هذا الاتجاه قد أثار نقدا شديدا وخلافا كبيرا بين الدراســـين حول حدود النص وتصوراته وعلاقاته"ويرون أنه لا توجد مصاعب تواجه علما من العلوم مثلما هي الحال بالنسبة لعلم لغة النص، حيث إنه حتى الآن، وبعد مرور ما يربو على ثلاثة عقود علـــى نشأته الفعلية لم يتحدد بعد بدرجة كافية، بل إنه مسمى الاتجاهات وتصورات غايـــة في التبـــاين وفروع علمية غاية في الاختلاف، ونتيجة لذلك فإنه لا يسود حول مقولاته وتصوراته ونظرياتـــه الأساسية أي اتفاق بين الباحثين إلا بقدر ضئيل جدا رغم الجهود المضنية التي بذلها أعلامه لوضع حدود واضحة بينه وبين العلوم الأخرى"[2].

فالإشكالية إذن لم تقتصر على الجملة ، وإنما تجاوزت إلى النص الذي وضعت له تعاريف عديدة ومتنوعة تنطلق من منطلقات شتى.

فمنها من انطلقت من مبدأ المضمون ومنها من سمة الشكل وأخرى من خاصية الســـياق، لهذا تجدنا حائرين في اختيار تعريف جامع له.

---

[1] دوبوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص92.

[2] سعيد البحيري، علم لغة النص، ص115.

I-تعريف النص:

إن مصطلح النص يمثل إشكالية معقدة وكبيرة؛ وذلك لأنه لم يعد يقتصر على دلالته المعجمية والاصطلاحية المعروفة بل راح يكتسب دلالات جديدة فقد تداخل مع عدد من المصطلحات المجاورة مثل مصطلحي الخطاب Discours أو العمل والأثر الأدبي work الشيء الذي جعله مصطلحا فضفاضا لا يحد. تعريف واحد.

1-النص في المعجم:

لقد جاء في لسان العرب: "النص: رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصا: رفعه وكل ما أظهر فقد نص ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور.

وقال الأزهري: النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما عنده وكذلك النص في السير إنما هو أقصى ما تقدر الدابة وانتصى الشيء وانتصب إذا استوى واستقام. ويورد اللسان قول ابن الأعرابي: النص الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنص التوقيف والنص التعيين على شيء، ونص الأمر شدته، فالنص عند الفقهاء "نص القرآن ونص السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام"[1].

ويورد المعجم الوسيط بعض الدلالات المولدة لمصطلح النص:"فالنص صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف، والنص ما لا يحتمل إلا معنى واحدا أو لا يحتم التأويل، ومنه قولهم: لا اجتهاد مع الكتاب والسنة، والنص من الشيء منتهاه ومبلغ أقصاه يقال نص الحديث: رفعه وأسنده إلى المحدث عنه"[2].

فالنص إذن يحمل معنى الارتفاع والظهور ويضاف إلى النص القرآني عدم التأويل.

-ويتضح مما توره المعاجم القديمة والحديثة "أن الدلالة الحديثة لمصطلح النص لم تكن غائبة كليا في المعجم العربي، وهي تلتقي أيضا -كما ذهب إلى ذلك باحث عربي معاصر- مع ولادة المصطلح في اللاتينية التي تشير إلى معنى بلوغ الغاية والاكتمال في الصنع"[3] فمصطلح النص Text

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، ط3، مادة "ن ص ص" ج7، ص97.

[2] مجموعة من علماء مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، د.ت، ج2، ص926.

[3] فاضل ثامر، اللغة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1994، ص71.

في اللغات الأجنبية يشتق من الفعل Tesetere الذي يعني يحوك weare أو ينسج ويوحي بسلسلة من الجمل والملفوظات المنسوجة بنيويا ودلاليا[1].

فالمعنى المعجمي لمصطلح النص في اللغتين العربية واللاتينية متقارب ويكاد يكون تعريفـــا واحدا إذ يعني الرفع والإظهار وبلوغ الغاية واكتمال الصنعة في النسج وهو يتقرب من مصـــطلح النسيج. فالنص كما يقول الأزهر الزناد:"نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض. هذه الخيـــوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح نص"[2]. لكنه لم يكـــن الوحيد الذي عرف النص، بل عرفه نقاد ولغويون استفاضوا في ذلك إلى درجة التباين، وفي أحيان نجدهم متناقضين تماما وذلك نظرا لاختلاف وجهات نظرهم، فمنهم من ينظر من جهة المضمون وأن النص عبارة عن محتوى أو قضية يعطى لها الاهتمام، ومنهم من يعرفه على أنه شكل لغـــوي معين ومنهم من يعتبره مجالا لغويا وظيفيا يرتبط بالسياق.

2-النص في الاصطلاح:

*التعريفات الخاصة بالمضمون:

إن العديد من الباحثين رأوا أن الخاصية الأساسية لتحديد النص تكمن في الاكتمال (اكتمال المعنى) وليس في الطول أو الحجم لذا فهم يعرفونه وفق هذا المفهوم.

فالنص في رأي سوينسكي "SOWINSKI" (1965) هو إبداعات لغوية يستدعيها واقع معين أو وجهة نظر فعلية معينة، ويجب أن تدرك في إطار هذه الخاصية على أنها أبنية للمعـــنى"[3] فهذا القول يصيب في بوتقة المعنى وينفي عن النصوص اعتمادها على الشكل كأساس مميـــز لهـــا فمهما كان شكلها (جملة قصيرة أو رواية طويلة) فهي نصوص باعتبارها مســـتوفية لمعـــنى دلالي موحد.

أما شميت S. Tschmith "فقد حده بأنه جزء حدد موضوعيا (محوريا) من خلال حـــدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية (إنجازيه) وهو بذلك يشترط وحدة الموضوع الذي يدور حوله النص،

---

[1] ينظر المرجع نفسه، ص72.

[2] الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،1997،ص12.

[3] Sowinski, D Tesct linguistic, Kollhammer- Stuttgart, 1983, p25.

ووحدة مقصده"[1].

وهناك من فهم النصوص من زاية "نموذج القضية على أنها تتابع منتظم من قضايا يـــرتبط بعضها ببعض عن طريق تداخلها، حيث لا تقتصر العلاقات على القضايا المتجاورة فحسب، بـــل يتم التوصل إلى إيجاد روابط مواكبة أيضا بين وحدات كبرى تشكل من وحدات نصية صـــغرى تربط بينها علاقات نحوية على المستوى الأفقي وعلاقات دلالية منطقية على المستوى الرأســـي"[2] فهي تعبر عن مفهوم النص لدى "فانديك" الذي أسس نظريته على البناء الكلي للنص –الوحـــدة الكلية- والوحدات الصغرى ويقول بأن النص هو مظهر دلالي.

وفي نفس الاتجاه عبر كالماير "Calmayer" (1980) ضمن آخرين عن مفهوم النص على أنه يمكننا تعريفه:"بأنه تعريف دلالي وأنه التركيب المكون من واحد إلى من مســـتويات النظـــائر، حيث يتوقف عددها على عدد السمات المهيمنة في النص"[3]، ويحاول برينكر في تعريفه للـــنص على اعتباره "مجموعة منتظمة من القضايا أو المركبات القضوية، تترابط بعضها مع بعـــض علـــى أساس محوري –موضوعي أو جملة أساس من خلال علاقات منطقية دلالية"[4] فهو يشير إلى تكون النص من مجموعة من القضايا المشتركة في موضوع أو مضمون واحد محاولا إدخـــال التماســـك الدلالي في مفهومه هذا.

وحده فاينريش (1966) "بأنه تكوين حتمي يحدد بعضه بعضا، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم الكل"[5]، أي أنه يعتبر النص كلا موحدا تترابط أجزاؤه من جهتي التحديد والاستلزام؛ إذ يؤدي الفصل بين أجزائه إلى عدم وضوحه، كما يؤدي عزل أو حذف عنصر من عناصـــره إلى انعدام للنص.

ويرى درسلر "DRESLER" (1973) أن مبدأ الاكتمال والنقصان –ويعني بوجه خاص أن الجمل المفردة في نص ما ليست تامة وليست مستقلة- قد عد حجة نمطية في علم لغة الـــنص ولكن هذه الفكرة قد أخذت شكلا معنا عندما أطلق على النص مصطلح "المنغلق على نفسه"، أي المكتفي بذاته وهي فكرة لتحديد مفهوم الاكتمال لا بمعنى قبوله للتأويلات المختلفة وإنمـــا بمعـــى

---

[1] سعيد البحيري، علم لغة النص، ص108.

[2] ينظر فولفانج هانيه وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص48.

[3] المرجع نفسه، ص49.

[4] Brinka, k, texte linguistic, 1979, P03.

[5] نقلا عن علم لغة النص، ص 109.

اكتفائه بذاته فيصبح النص هو "القول اللغوي المكتفي بذاته، والمكتمل في دلالته"[1]. ويتجاوز بعض الباحثين في تحديدهم للنص الإطار المضموني إلى إطار الشكل.

التعريفات الخاصة بالشكل:

-من القائلين بأن النص شكل محدد برينكر (1979) يعرف النص على أنه "تتابع مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزءا صغيرا ترمز إلى النص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب"[2] ثم يمكن بعد ذلك أن توصف على أنها وحدة مستقلة.

وقد وجه إلى هذا الرأي انتقاد من طرف "شبلتر" الذي علق بقوله:"إنه تعريف دائري، لأنه يوضح النص بالجملة من خلال النص وهو تعريف غير منهجي لأنه لم يعتمد في ذلك على مفاهيم النص وإنما عرف النص بالجملة"[3]. وهو بذلك يحدد خاصية الامتداد الأفقي للنص والجانب النحوي له.

-ويقدم المعجم الموسوعي للسيميائية تعريفات حول النص والتي تلتقي مع مفهوم الخطاب (Discours) أيضا. فالنص في اللسانيات يستعمل للإشارة إلى أية مقطوعة قولية أو كتابية مهما كان طولها والتي تشكل كلا موحدا، فالنص لا يقاس بطوله وإنما يعبر عن شكل معين وإن كان يصب في المعنى[4].

وانتهى هارفج Harvedj إلى تحديد النص بقوله:"هو ترابط مستمر للاستبدالات السنتيجميمية التي تظهر الترابط النحوي في النص"[5] وهكذا بدا النص كأنه توال تشكيلي (تتابع بنائي) لوحدات لغوية من خلال تسلسل ضميري غير منفصل"[6].

إذن عبر بعض العلماء عن النص بأنه شكل لغوي يتكون من تتابع مجموعة من الأقوال تفصل بينها نقاط أو فواصل.

---

(1) المرجع السابق، ص109.

(2) Brinker, k Teset linguistic, 1979, p3.

(3) المرجع نفسه، ص 110.

(4) Cristal, Dvid (1986), a dictionary of linguist and phonetics, basil black well, Oxford, P 45.

(5) المرجع نفسه، ص 53.

(6) المرجع نفسه، ص54.

*التعريفات الخاصة بالمضمون والشكل:

ذهب آخرون إلى المزاوجة بين المضمون والشكل شريطة أن يؤدي النص عبارة عن حدث كلامي يقع في زمان ومكان معينين يؤدي وظيفة الإبلاغ. فالأستاذ "محمد مفتاح" قد عرف النص بأنه "مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة"[1] فهو حدث يقع في زمان ومكان معينين وهو لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي، وهو تواصلي يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب إلى المتلقي وهو بالنسبة له تفاعلي، حيث يرى أن الوظيفة التفاعلية التي تضم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها، إذن فهو يظهر تأثره باللغويين "يول وبراون" في تعريفهما لوظائف الكلام، ويذهب باحث غربي إلى القول:"النص مجموعة من الأحداث الكلامية، التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي ومتلق له وقناة اتصال بينهما، وهدف يتغير بمضمون الرسالة وموقف اتصال جماعي يتحقق فيه التفاعل"[2] فهو يؤكد على كون النص عبارة عن فعل كلامي يقع في سياق معين تشترك فيه أطراف عدة لتحقيق الاتصال الاجتماعي.

ويرى سوينسكي SOwinsky بأن "الوصف اللغوي للنص وصف معقد يتجاوز حدود ما هو قائم في اللغة والواقع اللغوي إلى ما هو غير قائم في اللغة –الواقع الخارجي- أي أن المادة الفعلية التي تقدمها تراكيب اللغة ليست كافية لتقديم تفسيرات دقيقة للنصوص، وعلى اللغوي المفسر أن يستعين بعناصر أخرى تختلف عن الاتجاهات في وصفها"[3] مشيرا في ذلك إلى السياق الخارجي أو ما يعرف بالمقام، أما جلنتس (GELNTES)فقد ربط مفهوم النص بالأداء اللغوي في لغة ما ومن ثم فقد فهم تحت نص التكوين اللغوي يوجه عام، أي ما ينتج في حدث الأداء أو في سلسلة من أحداث الأداء أيضا. ويراعي هنا عملية الإنتاج حيث لا يشترط في عملية التوصيل وجود المتلقي لحظة الإنشاء وأن النص شكل لغوي مستقل[4] ويلاحظ أن الصفة المميزة للنصوص هي استعمالها في الاتصال وأنها لم تعد تعرف على أنها مركبات رموز لغوية معزولة بل على أنها

---

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995، ص120.

[2] فاضل ثامر، اللغة الثانية، ص79.

[3] Swinsky , B, Texte linguistic, P26.

[4] سعيد البحيري، علم لغة النص، ص114.

نصوص في وظيفة[1] و لم يعد النص نفسه وبناؤه النحوي أو الـــدلالي الآن نقطـــة الارتكـــاز في دراسات علم اللغة النصي، بل الممارسات الاتصالية العملية التي تؤسس النص[2].

كما يقترب مصطلح النص في كتابات ما بعد البنيوية بمصـــطلح "التنـــاص" أو "تـــداخل النصوص"، فالنص لا يمكن أن يكون نقيا وبريئا –على حد قول بارث- لأنه في جوهره مجموعة من النصوص المتداخلة "فالنص هو" نشاط وإنتاج. وهو قوة متحولة تتجـــاوز جميـــع الأجنـــاس والمراتب المتعارف عليها، لتصبح واقعا نقيضا يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم وهو يتكون من نقول متضمنة (تناص) وإشارات وأصداء لغات أخرى وثقافات عديدة تكتمـــل في خريطـــة التعدد الدلالي"[3].

وهو ما تذهب إليه "جوليا كريستيفا" في قولها:" النص لوحة فسيفسائية من الاقتباســـات وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى"[4]. وتقول أيضا:"إن النص لـــيس مجموعـــة مـــن الملفوظات النحوية أو اللانحوية، إنه كل ما ينصاع للقراءة عبر خاصية الجمع بين مختلف طبقـــات الدلالة الحاضرة هنا داخل اللسان والعاملة على تحريك ذاكرته التاريخية، وهذا يعني أنـــه ممارســـة مركبة يلزم الإمساك بحروفها عبر نظرية للفعل الدال الخصوصي الذي يمارس لعبه داخلها بواسطة اللسان، وبهذا المقدار فقط يكون لعلم النص علاقة "ما مع الوصف اللساني"[5] وتورد تعريفا جامعا للنص بقولها:"جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهـــدف إلى الإخبار المباشر بين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معـــه. فـــالنص إذن إنتاجية"[6]. فهي تذهب إذن إلى أن النص عبارة عن موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي تعتبر ظاهرة عبر لغوية (الإبداع باللسان وفي اللسان)، وهذه التعاريف مستوحاة من كتابات "باختين" في مفهوم الحوارية وتداخل اللغات والخطابات الغيرية في ملفوظ المتكلم.

ومن الملاحظ بوجه عام أن هذا الاتجاه –علم النص- قد أثار نقدا شديدا وخلافا كبيرا بين الدارسين حول حدود النص وتصوراته وعلاقاته، ويرى الباحثون والنقاد أنه لا توجد مصـــاعب

---

[1] ينظر دوبوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص06.

[2] ينظر المرجع نفسه.

[3] ينظر، فولفانج هانيه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص61.

[4] جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال ،المغرب، ط2، 1997، ص14.

[5] المرجع نفسه، ص21.

[6] المرجع السابق، ص21.

تواجه علما من العلوم كما هو الحال بالنسبة لعلم النص حيث إنه حتى الآن وبعد مرور ما يقارب الأربعين سنة على نشأته الفعلية لم تتحدد بعد مصطلحاته ومفاهيمه بصورة واضحة، ونتيجة لتباين اتجهاته وتصوراته فإنه لا يسود حول مقولاته ونظرياته الأساسية أي اتفاق إلا بقدر ضئيل جدا، رغم الجهود المبذولة لوضع حدود واضحة بينه وبين العلوم الأخرى.

لكن هذه الصعاب والاختلافات لم تمنعنا عن الأخذ برأي نراه يجمع بين معظم سمات النصوص والمتمثلة في: إن النصوص مبدئيا أكثر تركيبا (تعقيدا) من الجمل مما ينتج عنه أنه يفهم ضمن النص تتابع قولين إلى س من الأقوال، والحد الأدنى في ذلك يتم تحديده في العادة –بواسطة مصطلحات القواعد النظرية مثل الجملة، أما الحد الأعلى في المقابل فبواسطة عبارات الأجناس الأدبية مثل الرواية والحكاية...الخ. ولا يكفي معيار التركيب للتفريق بين كل ما هو نص وهو ليس نصا من الأقوال. يحاول هذا الفرق تبريره –تقريبا- في كل تعريفات النص بواسطة معيار التماسك حيث يفهم تحت التماسك صفة ملازمة للنص، مما يشار إليه بواسطة كثير من وسائل الربط والترابط وغير ذلك، وهناك معيار ثالث والمتمثل في موضوع النص الذي يستخدم أيضا للتفريق بين الأقوال النصية وغير النصية، وأخيرا يجب أن تحقق النصوص عزلة نسبية[1] وقد ذكر دوبوجراند في كتابه (النص والخطاب والإجراء) معايير تحقق نصية النص وهي:

1-السبك أو الربط النحوي Cohesion

2-الالتحام أو التماسك الدلالي Coherence

3-القصد: Intentionality ويتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا.

4-القبول: Acceptability وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.

5-رعاية الموقف (المقامية) Situationality: تتعلق بمناسبة النص للموقف.

6-التناص: Intertextuality تتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى.

7-الإعلامية Informativity أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه[2].

---

(1) ينظر فولفانج هانيه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص 172.

(2) ينظر، دوبوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص103-105.

من كل ما سبق نستخلص أن النص هو الموضوع الرئيسي في التحليل النصي الذي يتجاوز النظام الواقعي إلى كيفيات الاستخدام وتفسيرها ويقوم على عناصر داخلية وعناصـــر خارجيـــة وتضم تراكيب خاصة.

لكن على الرغم من كل هذا يبقى الخلاف شديدا حول طبيعة النص الأساســية وطبيعــة العلم الذي يدرسه.

تعريف مصطلح لسانيات النص Text linguistic:

في الحقيقة لا يوجد خلاف كبير حول هذا المصطلح إذا ما قورن بمصطلح النص "حيــث نجد أن التعريفات المختلفة له تتفق جميعها على أنه فرع من فروع اللسانيات يــدرس النصــوص المنطوقة والمكتوبة... وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص، وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد"[1]. وأنه العلم الذي استطاع أن يجمع بين عناصر لغوية وغير لغوية لتفسير الخطاب أو النص تفسيرا إبداعيا[2]وإذا كانت العلوم المختلفة تعنى بوصف النصوص فإن ذلك يتم طبقا لمنظوراتها ووجهاتها المتعددة ففي بعض الأحوال يتركز البحث على الأبنية النصية المتبانية، أو على وظائف النصوص وتأثيراتها وتتمثل مهمة لسانيات النص في وصــف العلاقــات الداخليــة والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واســتخدام اللغة كما يتم تحليلها في العلوم المختلفة.

ولقد عني منذ بداياته بالظواهر التي تتجاوز إطار الجملة المفردة التي لا يمكــن تفســيرها تفسيرا كاملا ودقيقا إلا من خلال ما سمي بالوحدة الكلية للنص:"فقد عني بدراسة ظواهر تركيبية نصية مختلفة منها: علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل والتراكيب المحوريــة والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف والجمل المفسرة، والتحويل إلى الضمير والتنويعات التركيبيــة وتوزيعها في نصوص فردية وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفـــردة"[3]. وعن مهام –نحو النصوص– يرى ڤانديك Vandijk مثلا أن نحو الجملة يشكل جزءا غير قليل من نحو النص، وتعد أهم مهمة لنحو النص في صياغة قواعد تمكننا من حصر كل النصوص النحويــة في لغة ما بوضوح، ومن تزويدنا بوصف للأبنية" ويجب أن يعد مثل ذلك النحو النصي إعادة بناء

---

(1) Jack.Richards, etal, lomgmon Dictionary of Appliced linguitics, p292.

(2) ينظر، سعيد البحيري، علم لغة النص، ص:ب.

(3) ينظر المرجع نفسه، ص135.

شكلية للكفاءة اللغوية الخاصة بمستخدم اللغة في إنتاج عدد لا نهائي من النصوص"[1]ويرى كذلك أن البحث النصي يتجاوز إطار الشكل دون إهماله غير أنه ينطلق أساسا من المضمون، باعتبـــاره وحدة كبرى متماسكة الأجزاء ويتجاوز إطار القواعد الخاصة التي تنطبق على أبنية مفـــردة دون إهمالها، ويركز على الوصول إلى القواعد العامة التي تصلح كأسس مشتركة ليس في لغة بعينها وإنما في لغات عدة[2]. ومما ينبغي أن نضعه نصب أعيننا أن أغلب علماء النص لا يـــرون في القاعـــدة معيارا صارما لا يمكن الخروج عنها، بل يرون إمكانية تعديلها باستمرار لذا اقترح بعض علمائهـــا مجموعة من الوسائل اللغوية التي من خلالها تتحقق النصية.

التعريف بأهم المصطلحات:

بداية تجدر الإشارة إلى أن لسانيات النص كغيره من العلـــوم قـــد أفـــرز العديـــد مـــن المصطلحات، وأن مهمته الأساسية –كما أسلفنا- تكمن في دراسة الأبنيـــة النصـــية للنصـــوص ووظائفها ولكي تعطى لهذا العلم الشرعية والدوام شرعت معايير ومصطلحات لتحقق بها نصـــية نص ما، والمتمثلة في المعايير السبعة لدوبوجراند ودرسلر، ومن أهمها نذكر:

1- cohesion السبك أو الترابط النحوي: وهو يترتب عن إجراءات تبـــدو بهـــا العناصـــر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق الترابط الرصفي[*] ويمكن استعادة هذا الترابط.

2- Coherence: الالتحام أو الانسجام[**] وهو يتطلب من الإجراءات ما تساعد به عناصـــر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي[***] واستعادته وتشتمل وسائل الالتحام علـــى العناصـــر المنطقيـــة كالسببية والعموم والخصوص، ومعلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقـــف والسعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية و تدعيم الالتحام بتفاعـــل المعلومـــات الـــتي يفرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم[3]. وكل من مصطلحي السبك والالتحـــام (التماســـك

---

[1] فولفانج هانيه وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص94.

[2] ينظر، سعيد البحيري، علم لغة النص، ص71.

[*] الترابط الرصفي: هو الترابط النحوي أو الترابط السطحي، ويكون من خلال الوسائل النحوية في النص من ضمائر وأدوات...الخ. والمزيد مـــن المعلومات ينظر إلى: أ/ النص والخطاب والإجراء، ص 14، ب/ مدخل إلى علم اللغة النصي، ص50 فما فوق.

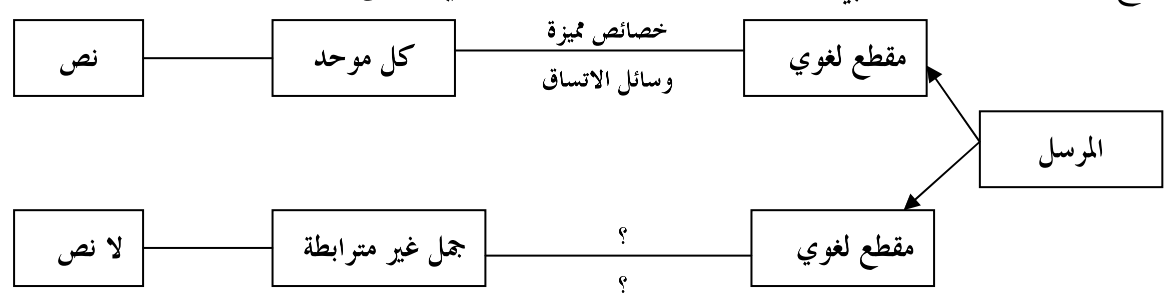
[**] الالتحام هو مصطلح استعمله تمام حسان ووظفه في كتاب النص والخطاب والإجراء والذي يعني التماسك الدلالي.

[***] الترابط المفهومي: يعني الالتحام أو الترابط العميق من خلال الدلالة.

[3] ينظر دوبوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص105.

السطحي والتماسك الدلالي) يؤديان دورا كبيرا وأساسيا في التفرقة بين ماهو نص وما ليس نصا.إذ نجد كلامن رقية حسن وهاليداي في كتابهما (الاتساق في الإنجليزية) يعتبران (السبك والالتحام) معياران أساسيان للنصية.

واقترح الباحث "محمد خطابي" رسما توضيحيا يبرز أهميتهما في النص[1]:



إذن فالنصية مقترنة بهذين العنصرين وليتحقق التماسك في النص يجب أن ينظر إلى النص من خلال أدواته وعناصره ،والمتمثلة في العناصر الدلالية والنحوية والمعجمية دون إغفال العناصر التدوالية.

I–الإحالة: Reference

ونعني بالإحالة العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه هذه العبارات؛ لأنه كما يقول الباحثان هاليداي ورقية حسن:"بأن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها"[2].

والإحالة عبارة على علاقة دلالية لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه[3]. وهي تنقسم إلى قسمين رئيسيين: الإحالة المقامية والإحالة النصية أو الداخلية، وتنقسم الثانية بدورها إلى نوعين: الإحالة القبلية والبعدية.

---

(1) ينظر محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص 17.

(2) المرجع نفسه، ص24.

(3) الأزهر الزناد، نسيج النص، ص118-119.

أ-الإحالة القبلية: Anaphora: ومعنى هذا المصطلح "استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة"[4] وهي تعود على لفظ سبق التلفظ بـــه؛ وفيها يجري تعويض واستبدال اللفظ (الْمُفَسَّرْ) الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر وليس الأمر كما استقر في الدرس اللغوي، إذ يعتقد أن المضمر يعوض لفظ اللفظ المفسر المذكور قبله، فتكون الإحالة بناء للنص على صورته التامة التي كان من المفروض أن يكون عليها. فهـــي تحليل جديد له من حيث هي بناء جديد له[1]

فعلى سبيل المثال: محمد كتب الدرس لكن ليلى لم تكتبه.

فضمير الهاء في تكتبه يشير إلى الدرس وبهذا أبدل الاسم بالضمير، ومن الممكن أن تكـــون الإحالة التكرارية أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام.

فللإحالة وظيفة أساسية في تحقيق التماسك النصي وتكون بواسطة التكرار أو الحـــذف أو التوابع.

ب-الإحالة البعدية: Cataphora: وهي تعود على عنصر إشاري مـــذكور بعـــدها في النص ولاحق عليها[(2)] من ذلك ضمير الشأن في العربية ومثاله قوله تعالى:(**قل هـــو الله أحـــد**) الإخلاص/ الآية 1. فالضمير "هو" يحيل إلى لفظ الجلالة "الله" ومثال الإحالة البعدية يقع في الجمل التفسيرية التي تفسر جملة أو عبارة.

وفيما يتعلق بمصطلح "Endophora" والذي يعني الإحالة الداخلية أو النصية والتي تعـــني إحالة عنصر معجمي على مقطع من الملفوظ أو النص وهي تعنى بالعلاقات الإحالية داخل الـــنص سابقة أو لاحقة. وهذه العلاقات قد تكون بين ضمير وكلمة أو كلمة وكلمة أو عبارة أو جملـــة وجملة أو فقرة وفقرة وغيرها من الأنماط اللغوية.

2-الإحالة المقامية (الخارجية) Exophora: وهي عكس الإحالة الداخلية لأنها إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي (الواقع الخارجي) [3] كأن يحيـــل

---

(4) terance parsons 1994 anaforique pronouns in very late medieval supposition theory, linguistics and philosophy vol, 17 No, 5, Octobre 1994, P429-445

(1) ينظر المرجع السابق، ص119.

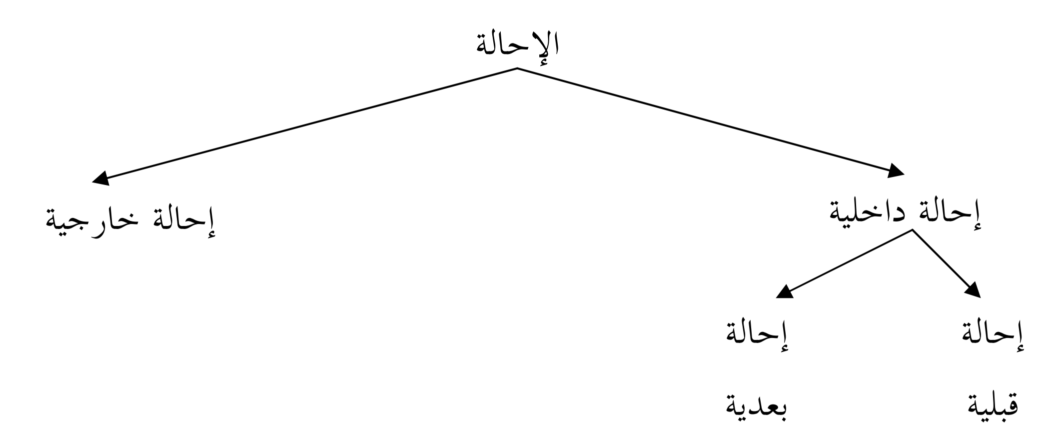
(2) الأزهر الزناد، نسيج النص، ص 120.

(3) ينظر المرجع نفسه، ص 120.

ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقـــام ذاتـــه، في تفصيل أو يكون مجملا.

ومهما تعددت أنواع الإحالات فإنها تقوم على مبدأ واحد هو الاتفـــاق بـــين العنصـــر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع وهو يتوقف على معرفة سياق الحال أو الأحداث والمواقف.

ونمثل الإحالة بنوعيها برسم توضيحي يبين ذلك



وهناك مصطلح آخر له أهمية بالنسبة لعلم النص، وذلك لأنه يربط بين أطراف الكلام من (مرسل-مستقبل وسياق) وهو مصطلح، التداولية.

3-التداولية Pragmatique: وهي الدراسة اللغوية للتواصل وبصفة خاصة تدرس العلاقات بين الجمل والسياقات والأحوال التي استعملت اللغة فيها. وهي تدرس:

أ-كيفية فهم المتحدثين للأحداث الكلامية في إطار نظرية الحدث اللغوي.

ب-كيفية تفسير الأقوال المستعملة أو اعتمادها على المعرفة بالعالم الواقعي المحيط بـــالنص كما اتجه إلى ذلك "بتوفي" في تأسيسه لنظريته الموسعة.

جـــ-كيفية تأثر تركيب الجمل بالعلاقة بين المتحدث والسامع[1].

وفي دراستنا التطبيقية سنربط بين النص والأحداث المحيطة لأن القرآن الكريم نزل مواكبـــا لهذه الأحداث.

والمصطلح السابق يمهد لظهور مصطلح آخر متصل به هو مصطلح الاتصال.

---

[1] ينظر صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2000، ص43.

4-الاتصال أو التواصل communication: لأن جوهر العملية الكلامية يتمثل في الاتصال وتبادل الأفكار والمعلومات وغيرها بين شخصين أو أكثر[2] ونظرا للاهتمام الكبير بالاتصال يسمى علم النص في بعض الأحيان بعلم الاتصال نظرا لقرابة الصلة بينهما، وهذه العملية تظهر بصورة جلية في النص القرآني في ذلك التواصل الروحاني بين الإنسان وربه وبين الإنسان وأخيه الإنسان وهذا ما سنبينه في القسم التطبيقي إن شاء الله.

[2] ينظر المرجع السابق، ص44.

إن دراسة النصوص هي دراسة للمادة الطبيعية الحية، التي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة، ولسانيات النص تمكننا من تشخيص علاقات لم ينظر إليها في نحو الجملة؛ وهي علاقات فيما وراء الجملة؛ بين الجمل والفقرات والنص بتمامه. "والنقلة التي شهدها لسانيات النص ليست مجرد نقلة حجمية وإنما هي نقلة في المنهج وأدواته وإجراءاته وأهدافه"[1]، لأنه إذا كانت الجملة وحدة نحوية، فإن النص ليس مجرد وحدة نحوية أوسع أو مجرد مجموع جمل أو جملة كبرى و "إنما هو وحدة من نوع مختلف، وحدة دلالية التي لها معنى في سياق"[2] هذه الوحدة الدلالية تتحقق أو تتجسد في شكل جمل، وهو ما يفسر علاقة النص بالجملة، إذ الأخيرة مجسدة للوحدة الدلالية التي يشكلها النص في موقف اتصالي ما"[3].

ومن أجل تجاوز إطار الجملة المفرد: عنيت لسانيات النص بالظواهر التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا دقيقا إلا من خلال ما سمي بالوحدة الكلية للنص[4] ومن هذه الظواهر ظاهرة "الترابط النصي" التي تعتمد على تصور يجمع بين عناصر نحوية تقليدية، وعناصر أخرى تستقى من علوم متداخلة مع النحو، ويجب هنا التفريق بين الربط الذي يمكن أن يتحقق من خلال أدوات الربط النحوية وبين التماسك الذي يتحقق من خلال وسائل دلالية في المقام الأول، ومن هذه الوسائل التي يقوم عليها التحليل النصي ما عبر عنه "دو بو جراند" "Doubeaugrand" بالمعايير السبعة للنصية والمتمثلة في: السبك والالتحام والقصد والقبول ورعاية الموقف والتناص والإعلامية: "ومن هذه المعايير معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص هما (السبك والالتحام) (coherence & cohesion)"[5] وهو ما ذهب إليه "جون ليونز" "Jhon Lionz" في قوله: "على النص في مجمله أن يتسم بسمات التماسك والترابط"[6]. ونظرا لأهمية التماسك النصي cohesion فقد نال اهتماما كبيرا من علماء النص بداية بتوضيح مفهومه، ومرورا ببيان أدواته أو وسائله وعوامله وشروطه والسياق المحيط بالنص، وعلاقته بالنص.

---

[1] ينظر جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م، ص67،68.

[2] المرجع نفسه، ص68.

[3] ينظر صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، عدد 164، الكويت أغسطس، 1992، ص122.

[4] ينظر ، المرجع نفسه، ص122-123.

[5] روبرت دوبوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص126.

[6] جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987، ص219.

I–التماسك النصي (مفهومه وأهميته):

والسؤال الذي يطرح هو: ما الفرق بين مصطلحي sohesion و coherence؟

وهما ما ترجمهما كل من "سعد مصلوح" "بالسبك والحبك"[1] وتمام حسان "بالسبك والالتحام"[2] على الترتيب، فمصطلح coherence (الالتحام) يعني "الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"[3] وهو ما عبر عنه بالتماسك في المستوى العميق للنص إذ يقدم إيضاحا لطرق الترابط بين تراكيب ربما تبدو غير متسقة أو مفككة على السطح، ويرى فانديك "vandijk" أن التماسك يتحدد على مستوى الدلالات، حين يتعلق الأمر بالعلاقات القائمة بين التصورات والتطابقات والمقارنات والمشابهات في المجال التصوري، كما يتحدد على مستوى الإحالة أيضا، أي ما تحيل إليه الوحدات المادية في متوالية نصية"[4].

ويجعل هاليداي Halliday ورقية حسن R. Hassen مصطلح cohesion متضمنا علاقات المعنى العام لكل أجزاء النص، والتي تميز النص من اللانص، فالتماسك cohesion إذن لا يركز على ماذا يعني النص بقدر ما يركز على كيفية تركيب النص باعتباره صرحا دلاليا[5] فهما لم يستخدما مصطلح cohrence للتماسك الدلالي ومع ذلك جعل غيرهما معنى coherence مرتبطا بالروابط الدلالية بينما مصطلح cohesion يعني العلاقات النحوية أو المعجمية بين العناصر المختلفة في النص وهذه العلاقة تكون بين جمل مختلفة أو أجزاء مختلفة من الجملة[6]، والذي له معايير تسهم في كفاءة الصياغة والمتمثلة في: إعادة اللفظ والتعريف، واتحاد المرجع والإضمار بعد الذكر (إحالة قبلية) والإضمار قبل الذكر (إحالة بعدية) والإضمار لمرجع متصيد (إحالة خارجية) والحذف والربط[7]. والتي تحقق خاصية الاستمرارية في ظاهر النص ويبقى محتفظا بكينونة واستمراريته والسبك (-cohesion) يتحقق جزء منه عبر النحو وجزء

---

[1] سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، ج1، م10، عدد1، 2يوليو 1991 أغسطس 1991م، ص154.

[2] روبرت دوبوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر تمام حسان، ص126.

[3] سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، ص154.

[4] سعيد البحيري، علم لغة النص، ص122.

[5] Halliday et hassan, cohesion in English, longman, landon, p26.

[6] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص95.

[7] دوبوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص301.

عبر المفردات[1] ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي grammatical dependency الذي يتحقق في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هي:

1-في الجملة.

2-فيما بين الجمل.

3-في الفقرة أو المقطوعة.

4-فيما بين الفقرات أو المقطوعات.

5-في جملة النص[2].

ولقد قدم علماء النص تصورا دقيقا لصور الربط النصي فيذكرون أن التماسك (المقصود هنا الربط النحوي) خاصية دلالية للخطاب. تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى، ويشرحون العوامل التي يعتمد عليها الترابط على المستوى السطحي للنص التي تقوم بوظيفة إبراز ترابط العلاقات السببية بين العناصر المكونة للنص في مستواه الخطي المباشر للقول[3] إذ يعتمد الترابط على المستوى السطحي على وسائل لغوية ذات وظيفة مشتركة أما التماسك الآخر الذي يعني الوحدة والاستمرار والتشابك فيقوم على قواعد وأبنية تصورية تجريدية، وقد أدت هذه الخاصية الجوهرية لها إلى الاختلاف بين علماء النص في محاولاتهم المتكررة والمتباينة لاكتشافها، إذن فالعلاقات التي تقوم بين الجمل أو العبارات في متتالية نصية يمكن أن ترتكز على الدلالات وهي العلاقات الداخلية أو على الروابط بين العناصر المشار إليها أو المدلول عليها في الخارج[121]. ويشرح فانديك "أن الأساس الذي تقوم عليه دراسة النصوص، تقوم على أساس البنية الكبرى للنص باعتبارها بنية تجريدية كامنة تمثل منطق النص"[122]. وعن طريق هذه البنية الكبرى استطاع علماء النص مقاومة الفكرة الشائعة عن أن التماسك النصي يتحدد فحسب على مستوى علاقات الترابط بين المتتاليات والجمل، "لأن هذا الأخير لا يقدم سوى الأبنية الصغرى وتظل البنية الكبرى هي

---

[1] ينظر جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسلانيات النصية، ص77.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص78.

[3] ينظر، سعيد البحيري، علم لغة النص، ص78.

[121] ينظر صلاح فضل، المرجع السابق، ص123.

[122] ينظر صلاح فضل، المرجع السابق، ص266.

التمثيل الدلالي الكلي الذي بموجبه يتحدد معنى النص وبدون هذه البنية الكبرى والقواعد التي تحكمها يمكن أن نتزلق بسهولة إلى اعتبار التماسك النصي مجرد روابط سطحية بين الوحدات الجزئية[123] إذن من كل هذا نرى أن المصطلحين coherenceوcohesion يمثلان معا التماسك النصي.

ومن ثم يجب التوحيد بينهما في مصطلح واحد وليكن التماسك (cohesion) والذي نقسمه إلى التماسك الشكلي (السطحي) والتماسك الدلالي (العميق) وبهذا نكون مع رأي محمد مفتاح في قوله: "المقولة العامة هي التماسك وأما المفاهيم الخاصة فهي التنضيد والاتساق والتشاكل والترادف"[124]وهدف هذه المفاهيم هو النظر في ضوئها إلى مستويات الخطاب المختلفة من حروف وأدوات ومعجم وتركيب ومعنى، وبهذا المفهوم يصبح التماسك يعني العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية والخارجية، وهو الفصل بين نصية نص ما أو عدم نصيته، لأنه بدونه تبقى المقاطع اللغوية غير متماسكة وتمثل جملا غير مترابطة ولا تشكل نصا، ونلخص من كل هذا إلى أن أهمية التماسك النصي تكمن في:

1- التركيز على كيفية تركيب النص كصرح دلالي.

2- إعداد روابط التماسك المصدر الوحيد للنصية.

3- التعرف على ما هو نص وما هو غير ذلك.

ونحن باهتمامنا بعنصر التماسك النصي لا يعني ذلك أننا أهملنا العناصر التي من خلالها يتحقق فهم النص بشكل أفضل، إذ يعد عنصر السياق بوابة من بوابات الولوج إلى عالم النص، لأنه بغياب الأدوات الشكلية مثل الضمائر والعطف والتكرار ...الخ لا نستطيع فهم النص إلا بإدراك السياق المحيط به.

لتوضيح ذلك نضرب مثالا:

أ- كانت فيرقيو تحتضر   ب-ولى عصر فيرقيو الذهبي[125]

---

[123] ينظر صلاح فضل المرجع السابق، ص266.

[124] محمد مفتاح، نحو التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص125.

[125] ج.ب براون و.ج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة، محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، 1997، ص194.

نلاحظ أن الحديث حول موضوع واحد وهو "فيرقيو" لكننا لا نعلم من هيء "فيرقيو" هذه، هل هي فتات أو مدينة أو قرية أو شيء آخر، لكننا من خلال السياق الذي وردت فيه هذه الجمل نجد أنها مدينة كانت كزدهرة في وقت ما لكنها تقصرت بعد دلك فالجمل إذن وأشكال القول الأخرى يتماسك بعضها نع بعضها الآخر دلاليا من خلال المعلومات التي يقدمها النص لكنها إذا فقدت السياق أصبحت غير متماسكة الأجزاء[126]، والعنصر الآخر المهم في فهم النص والحكم على تماسكهع يتمثل في المتلقي الذي يقوم بتفكيك النص إلى جزئياته وإعادة بنائه ليتمكن من فهمه ويعد حق المبدع الثاني بعد المؤلف أو الباث للنص، "فالنص لا وجود له إلا عندما يتحقق، وهو لا يتحقق إلا من خلال القارئ، ومن ثم تكون عملية القراءة هي التشكيل الجديد لواقع مشكل من قبل، هو العمل الادبي نفسه"[127]

II/أدوات التماسك النصي:

من طبيعة العلوم أن تنتج مصطلحات وأدوات تقوم عليها وتميزها عن باقي العلوم الأخرى، لهذاكان من البديهي أن تفرز لسانيات النص العديد منها ومن الأدوات، لكننا نجد أن علماء النص اختلفوا في وصف هذه الأدوات التي تحقق التماسك.

غير أن هناك اتفاق على أدوات مشتركة وهي تمثل الأدوات الرئيسية للتماسك النصي، والشيء الملاحظ أن هذه الأدوات رغم تعددها وكثرته إلا أن علماء النص اهتموا بتوضيح معانيها وحدودها و لم يعطوا لها لحظ الأوفر في الدراسة التطبيقية، ونحن في بحثنا هذا سنعرض لآراء بعض علماء النص لحصر تلك الأدوات مقتصرين في ذلك على الأدوات الرئيسية تفاديا للحشو والإطالة.

-من أبرز من تناول الحديث عن أدوات التماسك النصي هاليداي ورقية حسن في كتابها "التماسك في الإنجليزية"الذي قام على خمس أدوات هي: الإحالة (المرجعية) reference، الاستبدال (الإبدال substitution)، الحذف ellipsis العطف (الوصل conjunction) ثم التماسك المعجمي lexical cohesion[128]

---

[126] ينظر محمد العبد، اللغة والإبداع الادبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزرع، القاهرة، ط1، 1989م، ص37.

[127] نبيلة ابراهيم، لاقارئ في النص، مجلة فصول ، عدد الأسلوبية، مجلد8، عدد1، ص102،101.

[128] Halliday et Hassanm cohesion in englichm p40.

I/الإحالة قسمت بدورها إلى :

1- إحالة شخصية (ضميرية) personel (أنا، أنت ، نحن، هو...الخ).

2- إحالة إشارية de;onstrative: (هذا، هؤلاء، أولئك، ...الخ).

3- إحالة مقارنة compqrqtive (أفضل، أكثر...الخ).[129]

وقسمت كذلك الإحالة إلى نوعين رئيسيين: الإحالة المقامية والإحالة النصية وتتفرع الثانية بدورها إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية[*].

II/الاستبدال: هي عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر شأنه في ذلك شأن الإحالة، إلا أنه يختلف عنها في كونه يتم في المستوى النحوي، المعجمي، بين كلمات وعبارات بينما الإحالة علاقة معنوية وينقسم إلى ثلاثة أنواع:

1- استبدال اسمي ويتم باستعمال العناصر: ...Sone. One

2- استبدال فعلي ويتم باستعمال العنصر: do.

3- استبدال قولي ويستعمل فيه العنصران:: Not. So[130]

وينبغي الإشارة إلى أنه على الرغم من التشابه الكبير في وظيفة هذه الوسائل بين العربية والانجليزية -على سبيل المثال- فإن هناك اختلافا في مثل "الابدال" فالبدل في العربية نوع من أنواع التوابع المعروفة ، وهو يقوم بوظيفة التماسك النصي لكنه يختلف عن الإبدال في الانجليزية لأنه عندهم في مقابل التركيب (كذلك) عندنا ومثل هذا التركيب عندنا ليس بدلا، ومن ثم فلا صلة بين البدل والإبدال، لكننا نعتبر كليهما من الأدوات التي تحقق التماسك النصي في النص، وللتمثيل على ذلك نجد البدل في قولنا: جاء الخليفة أبو بكر الصديق.

فكلمة أبو بكر بدل مطابق من الخليفة لذلك فالتماسك واضح بينهما .

---

(129) Halliday et Hassanm cohesion in englichm p37.

(*) لقد سبق الحديث عن الإحالة وأنواعها وتعريفها في الفصل الأول.

(130) ينظر محمد خطابي، لسانيات النص، ص19، 20.

III/الحذف: "هو علاقة داخل النص وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية"[131]لذلك فهو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة[132].

والحذف فراغا بنيويا يهتدي القارئ إلى ملإه اعتمادا على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق"[133]

VI/الوصل (العطف): وهو يختلف عن كل الأدوات السابقة لأنه لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو ما سيلحق "إلا أنه تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"[134]. فهو يتضمن وسائل متعددة تربط المتواليات السطحية بعضها ببعض كي تدرك كوحدة متماسكة، وقد قسم الباحثان هاليداي ورقية حسن الوصل إلى إضافي وعكسي وسببي وزمني[135]

V/التماسك المعجمي: يعد آخر مظهر من مظاهر التماسك النصي إلا أنه يختلف عنها جميعا لأنه لا يبحث عن عنصر سابق أو عن شكلية للربط بين أجزاء النص، فهو يحد على مستوى المفردات وذلك إما بتكرارها أو بتوارد الكلمات المرتبطة دلاليا، وينقسم إلى نوعين:

أ- التكرير Reccurence (Reiteration)

ب-التضام collocation

والتكرير نوع من أدوات التماسك المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي وذلك بإعادة لفظه أو بإيراد مرادفه أو شبه مراده أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما[136].

التضام هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك وهي تقارب الحقول الدلالية.

---

[131] محمد خطابي، المرجع السابق، ص21.

[132] ينظر، روبرت دوبوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص302،301.

[133] محمد خطابي، المرجع السابق، ص22.

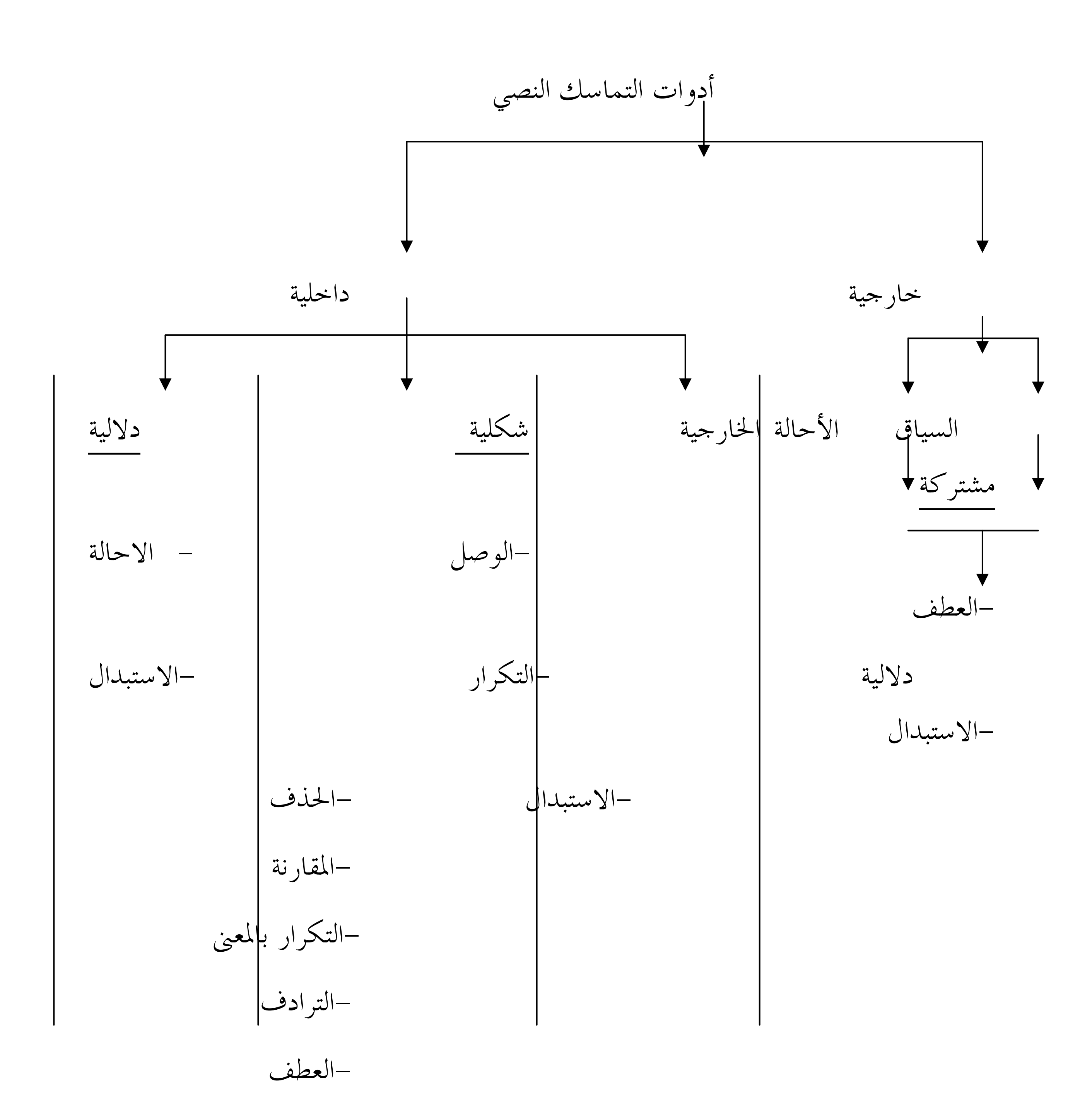
[134] Halliday et Hassanm cohesion in englichm p227.

[135] Halliday et Hassanm cohesion in englichm p227.

[136] ينظر محمد خطابي، المرجع السابق، ص23، 24.

هذا بالنسبة للأدوات الشكلية الظاهرة بينما هناك أدوات ضمنية التي تحقق التماسك النصي كالترادف والمطابقة والسياق الخارجي ...الخ.

وبعد هذا العرض لأهم أدوات التماسك النصي الدلالية منها والشكلية والمشتركة بينهم يمكننا تلخيص ذلك في الشكل الآتي:



وقد ركزنا على أكثر هذه الأدوات شيوعا وبخاصة عند تطبيقنا لها على "سورة الحجر".

III/نظرة القدماء للتماسك

-لقد ذكرنا في فصل سابق أقوالا لبعض البلاغيين والنقاد والمفسرين فيما يعد بحثا نصيا إلى حد كبير، وكانت دراستهم أغلبها منصبة على القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين، وقد احتار العرب في إعجازه وذلك لسمو أسلوبه، وجمال نسجه، وما يشتمل عليه من تشريع وإخبار بالغيب[137] وإعجازه يكمن في نظمه وإن جاء بلسان العرب، وعلى مواضعاتهم اللغوية، ووفق قواعد لغتهم النحوية ولابد والحال هذه من أن يكون نظم القرآن مفارقا لنظم غيره من النصوص ومن ثم معجزا لأن المتكلم بالقرآن –الله سبحانه وتعالى- لا يقارن في علمه بسواه من المتكلمين[138]، إذن فالقرآن الكريم لشدة تماسكه عد كالكلمة الواحدة، على الرغم من اختلاف السور ، فمنها المدنية التي تدور حول موضوع العبادات والتشريع بينما السور المكية ترتكز على حقيقة الألوهية والعبودية، وهذه المواضيع رغم اختلاف أسلوبها وتفاوت فترات نزولها إلا أنها تتميز بالتماسك الموضوعي لأنها تدور حول موضوع عام موحد وهو عبادة الله.

-وإبراز لهذا التماسك الموضوعي تعددت اللمحات النصية، فقد نظر عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـــ) إلى القرآن على أنه بنية كلية واحدة، باعتباره نصا واحدا إذ يقول: "تأملوه سورة ، وعشرا عشرا وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبوبها مكانها، ولفظه ينكر شأنها...بل وجدوا اتساقا هو العقول وأعجز الجمهور ونظاما والتئاما، وإتقانا وإحكاما..."[139]فهو بهذا لاحديث أشار إلى أمور تتعلق بالتحليل النصي وأولها النظرة الكلية للنص، وثانيها ذكره لمصطلحات تندرج ضمن لسانيات النص كالاتساق (التماسك) والذي يعني coheerenc إذ هو مرتبط بالجوانب الدلالية، ومصطلح الإلتئام الذي يقابل التماسك النصي، ويقول أيضا في نص طويل، يفرق فيه بين نظم الحروف في الكلم ونظم الكلمات في النص أن الثاني 'يقتضي آثار المعاني وترتبها في الكلام حسب ترتيبها في النفس... وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الاجزاء بعضها مع بعض، والفائدة في معرفة هذا الفرق أنك إذا عرفته

---

[137] ينظر ابراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1978، ص322.

[138] ينظر نصر أبو زيد، مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني قراءة في ضوء الأسلوبية، ص17.

[139] ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص89.

عرفت أن ليس (النظم) الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها"[140].

ويقول أيضا:"واعلم أن مما هو أصل في أذيدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباطا ثان منها بأول وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هنا في حال ما يضع بيساره هناك، نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به... واعلم أن من الكلام ما أنت تعلم إذا تدبرته أن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية حتى انتظم، بل ترى سبيله في ضم بعضه إلى بعض سبيل من عمد إلى لآل فخرطها في سلك لا ينبغي أكثر من أن يمنعها بالتفرق"[141]إذن هو يؤكد على الربط بين أجزاء الكلام حتى يتحقق التماسك بينها وتصبح نصا واحدا غير منفصل الأجزاء وهذا ما تنشده اللسانيات النصية ونظرياتها.

-وإذا كان هذا شأن البلاغيين فإن علماء التفسير لم يكونوا أقل اهتماما منهم بالقرآن الكريم لأنه كان مصب اهتمامهم ذلك بتفسير آية وتبيان مناسبة نزوله وإبراز تماسك آياته رغم بعدها الزمني في بعض الأحيان، ومن هنا فقد ظهر التماسك عندهم على أبعاد كثيرة منها، التماسك بين الحرف والحرف وبين الكلمة والكلمة والكلمة والجملة وبين الكلمة والفقرة والجملة والجملة..."وذلك بين فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها -والله أعلم- إلى معنى ما رابط بينهما: عام أو خاص، عقلي او حسي أو خيالي وغير ذلك من أنواع العاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض فيقوي بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[142] إنه يتأكد لنا اهتمام المفسرين بقضية التماسك النصي في القرآن الكريم من خلال الادوات الشكلية (التماسك السطحي) والأدوات الدلالية (التماسك الدلالي) ونتيجة لهذا فقد

---

(140) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص89.

(141) عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص73، 76.

(142) الزركشي، البرهان في عوم القرآن، ج1، تحقيق، أبو الفضل ابراهيم، دار الكر، بيروت، ط3، 1980، ص35.

أوبوا اهتمام ما منقطع النظير بسورة الفاتحة التي عدوها الأصل والفاتحة لما يليها واعتبروها أم الكتاب، لأنها تحمل معاني الربوبية والوجود[143].

فهذا الرازي (ت328هـ) يذكر أهمية الفاتحة لما يليها، فيقول: "...هذه السورة المسماة بأم القرآن فوجب كونها كالأصل والمعدن، وأن يكون غيرها كالجداول المتشعبة منه، فقوله: "رب العالمين، تنبيه على أن كل موجود سواء فإنه دليل على إلهيته"[144].

وقد لاحظ السيوطي هذا الأصل بالنسبة لسورة الفاتحة وعلاقة السور الأخرى بها، فقد ذكر (ت 911هـ) أن من أسباب بداية السور المكية بالأنعام، وذلك بعد الفاتحة بالطبع، أن كل ربع من القرآن تبدأ بالحمد، "فالفاتحة تبدأ بالحمد، والكهف للربع الثالث، وسبأ وفاطر للربع الرابع"[145].

وهذه نظرة فاحصة لقضية أهمية السورة الأولى، في القرآن الكريم والتي تعني في اللسانيات النصية الجملة الأولى أو الكلمة الأولى التي تعد المفتاح لما سيأتي بعدها (الإحالة البعدية) وكذلك هي نظرة موفقة لقضية التماسك بين السور وهي تمثل قضية الوحدة الكلية والمتكاملة للقرآن الكريم.

إذا كان هذا شأن المفسرين فإن الأمر بالنسبة للغويين مختلف إلى حد كبير، إذ إنهم يركزون على قضية الإسناد، على الابتداء والفاعلية وغيرهما مما يتعلق بالجملة، وعلى ضرورة وجود الرابط في جملة الصلة والخبر الجملة، وهذا نوع من التأكيد على ضرورة التماسك لكن على مستوى الجملة فقط.

فهذا سيبويه يتحدث عن أهمية وجود الضمير الذي يحيل إلى السابق، وإلا يصبح الكلام غير حسن، ومن أمثلة على ذلك:

يوم الجمعة ألقاك فيه.

أقل يوم لا أصوم فيه.

---

[143] ينظر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، دار الغد العربي، القاهرة، ط1، 1991م، مجلد1، ص227.

[144] الفخر الرازي، المرجع السابق، ص227.

[145] السيوطي، تناسق الدور في كناسب السور، حقق ونشر بعنوان: أسرار ترتيب القرآن، دراسة وتحقيق، عبد القادر أحمد عطا، سلسلة نوادر التراث،دار الاعتصام، مصر، 1978، ص100.

يوم الجمعة صمته.

حيث كان المضمر –الهاء – هو الأول (يوم الجمعة)، ولا يحسن في الكلام أن يجعل الفعل مبنيا على الاسم–(السابق)– ولا يذكر علاقة الإضمار الأول حتى يخرج من لفظ الإعمال في الأول ومن حال بناء الاسم عليه وتشغله بغير الأول...

ولكنه قد يجوز في الشعر، وهو ضعيف في الكلام، قال الشاعر، وهو أبو النجم العجلي: (من بحر الرجز).

قد أصبحت أم الخيار تدعي   علي ذنبا كله لم أصنع

وقال امرؤ القيس: (من بحر المتقارب)

فأقبلت زحفا على الركبتين   فثوب لبست وثوب أجر

وقال النمر بن تولب: (من بحر المتقارب)

فيوم علينا ويوم لنا   ويوم نساء ويوم نسر

...يريدون : نساء فيه ونسر فيه، فهذا ضعيف[146].

ويعلق السيرافي في الهامش قائلا:

"حذف الهاء يكون في ثلاثة مواضع: في الصلة، والصفة، والخبر...وحذفها في الخبر قبيح"[147].

–فقد وقف الإعمال من عدمه على وجود الضمير من عدمه، فوجود الضمير الرابط بين المعمول المتقدم والعامل المتأخر يجيز العمل مثل:

قابلت عليا وزيدا رأيته

ويذكر سيبويه أنه "اختير النصب ها هنا لأن الاسم الأول مبنى على الفعل، فكان بناء الآخر على الفعل أحسن عندهم..."[148].

---

[146] سيبويه، الكتاب، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط3، القاهرة الناشر الخانجي، 1408، 1988، ص88،87،84.

[147] سيبويه، المرجع نفسه، ص84.

[148] سيبويه، المرجع السابق، ج1،ص278.

فهذه كلها تمثل إحالة القبلية وكذلك يجعل سيبويه المبتدأ والخبر كأنهما شيء واحد لشدة التماسك في مكان أو زمان[149].

-وليس بعيدا عن رأي سيبويه نجد المبرد "ت 285هـ" يركز على أن "اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئا، وإذا قرنتها بما يصح حدث معنى"-[150] فهو يشير إلى إفادة المعنى من خلال ضم وتركيب الكلمات بعضها إلى بعض، ومن الجوانب التي أكدها التحليل النصي حين معالجة التماسك الدلالي قضية التفاعل interaction بين المنتج والمتلقي والنص، هذا مما تحدث عنه المبرد في قوله: "نحو قولك زيد، فإذا ذكرته فإنما تذكره للسامع، ليتوقع ما تخبره به عنه، فإذا قلت (منطلق) أو ما أشبهه، صح معنى الكلام وكانت الفائدة للسامع في الخبر، لأنه قد كان يعرف زيدا كما تعرفه، ولولا ذلك لم تقل له زيد، ولكنت قائلا له : رجل يقال له زيد، فلما كان يعرف زيدا، ويجهل ما تخبره عنه ، أفدته الخبر، فصح الكلام..."[151].

فالباث هنا راعى حال المتلقي منحيث العلم بالموضع أو الجهل به، وذكر السياق المحيط من حيث معرفة زيد لدى كل من الباث والمتلقي، والنص نفسه، أو الكلام يعدل حسب معرفة المتلقي من جهله.

ومن هذه اللمحات الموجزة تأكد لنا إدراك البلاغيين والمفسرين واللغويين لكثير من الجوانب المرتبطة بالتماسك النصي، شكليا ودلاليا، غير أن هذا ينته إلى صورة نظرية متكاملة مثل نظرية النحو المتصلة بالجملة.

وهذا يدعونا إلى تطوير النظر للغة من زاوية اعتبار أن النص الوحدة اللغوية الكبرى، ويدعونا لمحاولة وضع نحو يمكن من خلاله معالجة النص ككل.

---

[149] سيبويه، المرجع نفسه، ج1، ص278.

[150] المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1386، ج4، ص126.

[151] المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1386هـ، ج4، ص126، 127.

التكرار:

I/ المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لقيت ظاهرة التكرار اهتماما كبيرا من البلاغيين والنحـــويين، إلا أن دراســـاهم كانت منصبة على ماهية التكرار وأنواعه وأغراضه البلاغية وذكر شواهده. فهي نظـــرة جمالية صرفة تفتقر إلى إبراز الوظيفة التي تفيدها الصيغ المتكررة ودورها وأثرها في مطابقة مقتضى الحال.

وكذلك الكيفية التي من خلالها يساهم التكرار في تحقيق التماسك بين أجزاء النص المختلفة والمتباعدة، وهي الغاية التي تسعى إلى تحقيقهـــا الدراســـات اللســـانية الحديثـــة (لسانيات النص) والتي نالت حظا كبيرا من الاهتمام وخاصة في الدراسات الغربية.

ونحن من خلال بحثنا هذا نسعى للوصول إلى إجابة شافية على أسئلة قد تدور في أذهان كل دارس متأمل منها:

- أيوجد في معنى التكرار (اللغوي والاصطلاحي) ما يوحي بدوره في التماسك ؟
- أتقتصر فوائده على ما ذكره القدماء ؟ أم هناك فوائد أخرى غير التي ذكرهـــا القدماء ؟ ...وغيرها.
- وحين نستعرض المعنى اللغوي لكلمة "كرَّر" نجده يعني "كرَّر الشيء تكريـــرا وتكرارًا، أعاده مرة بعد أخرى "[1]

و" الكَرُّ، الرجوع على الشيء، ومنه التِّكْرَارُ والكُرَّةُ، البعثُ وتجديدُ الخَلْقِ، والكَرُّ الحبل الغليظ، والكَرْكَرَةُ صوت يردده الإنسانُ في جَوْفِهِ، والكُرُّ ما ضم ظلفـــي الرِّجـــل وجمع بينهما" [2] "وهو صوت في الصدر كالحشرجة"[3]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة "كرر"، ج4، ص 3851، 3852.

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج2، ص 813. ، ج3، ص27

. [3] الزمخشري، أساس البلاغة، دار المعالسائررفة، بيروت، لبنان[د.ت] ، ص 389.

[4] جم يل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 76، نقلا عن ابن الأثير، المثل

أما في اصطلاح علماء البلاغة، فهو "دلالة اللفظ على المعنى مرددا " [1]، ويـــذكر الزركشي بأن التكرار من أساليب الفصاحة لا سيما إذا تعلق بعضه بـــبعض؛ وذلـــك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه، كَرَّرَتْهُ توكيدا [2].

فمن خلال التعاريف اللغوية والاصطلاحية لمعنى "كَرَّرَ" نجده يعـــني العـــودة إلى الكلام السابق وهذا ما يشير إلى مفهوم الإحالة القبلية في منظور لسانيات الـــنص والـــتي تؤدي وظيفة هامة في تلاحم أجزاء النص المتباعدة.

ومن معانيه البعث والتجديد، وكأني به يقارب مفهوم الجاحظ في ظاهرة التـــرداد (التكرار) والتي يفيد فيها بأن الظروف التي يجري فيها الكلام عادة ليست ظروفا مثاليـــة، فالمستمع قد يكون مشغول الفكر ساهي القلب فيضطر المتكلم إلى الإعادة لإفهامه[3]، إذن فالمتكلم يعود ليكرر بعض ما قاله أولا ليذكر السامع ويبعث الجملة ويجـــددها بعـــد أن كادت تنسى.

- ومن معانيه أيضا: ضم ظلفيتي الرجل، وفي هذا تجسيد لمعنى التماسك، فالربط بين الظلفيتين يشابه تماسك أجزاء النص.
- من هذه التعاريف اللغوية والاصطلاحية فإنها تحمل بين طياتها معنى التماســـك والذي يحققه عنصر التكرار من خلال مفهوم المرجعية القبلية والبعث والتجديد، وضم الشيئين المتباعدين ليتماسكا.
- واللافت للانتباه أن هاليداي Halliday ورقية حسن R. HASSEN لم يعتـــبرا التكرار من وسائل التماسك النصي وهذا ما اتضح في كتابيهما "التماسك في اللغـــة الإنجليزية" Cohesion in English و"اللغة ،السياق والنص"، " language,context and text"بينما نجد آخرين أمثال "دوبوجرانـــد ودرســـلر" & Deaubaugrand

---

[1] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 76، نقلا عن ابن الأثير، المثل السائر، ج3، ص27.

[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص09.

[3] ينظر محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص 262.

Dresslerيذكران أن التكرار من عوامل التماسك النصي وأطلقا عليه مصطلح "Recurrence"[1].

ويذكر الزناد أن "الإحالة بالعودة نوع آخر من الإحالة تتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد، والإحالة التكرارية (Enaphore) تمثل أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام"[2]

والتكرار لا يقتصر على بداية الجمل بل يكون في ثناياها أو في آخرها، ولا يقتصر على الألفاظ بل يتعدى إلى الجمل أو الفقرات بل إلى القصص والمواقف، الشيء الذي سيوضح في الجانب التطبيقي، إذن فالتكرار هو إعادة ذكر لفظ أو جملة أو فقرة وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصي بين أجزاء النص المتفرقة والمتباعدة.

II / أنواع التكرار:

تحدثت كتب البلاغة والتفسير عن أنواع التكرار واستفاضت في ذلك، ولكننا نذكر أهم هذه الأنواع تجنبا للإطالة، فمن هذه الأنواع ما ذكره محمود السيد شيخون في كتابه "أسرار التكرار في لغة القرآن" والتي تتمثل في:

1. تكرار مفيد، يوجد في اللفظ والمعنى؛ يدل على معنى واحد والمقصود به غرضان مختلفان.
2. تكرار مفيد، يوجد في اللفظ والمعنى؛ يدل على معنى واحد والمقصود به غرض واحد.
3. تكرار غير مفيد، يوجد في اللفظ والمعنى.
4. تكرار مفيد، يوجد في المعنى دون اللفظ ؛ يدل على معنيين مختلفين.
5. تكرار مفيد، يوجد في المعنى دون اللفظ ؛ يدل على معنى واحد فقط.
6. تكرار غير مفيد، يوجد في المعنى دون اللفظ.[3]

---

[1] R. De Beaugrande & W.Dressler, introduction to text linguistics, P54.

[2] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص119.

[3] محمود سيد شيخون، أسرار التكرار في لغة القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1983، ص 09-10.

وتجمع هذه الأنواع في ثلاثة أنواع رئيسية هي: تكرار في اللفظ دون المعنى(التكرار الجزئي) وتكرار في المعنى دون اللفظ (التكرار المعنوي، الترادف، شبه الترادف) وتكرار في اللفظ والمعنى (التكرار اللفظي) وبتعبير اللسانيات النصية إعادة العنصر المعجمي نفسه [*]

والتكرار يكون على مستوى الحروف والكلمات والعبارات والجمل والفقرات أو القصص؛ فالمستويات الأولى تكون في الجمل أو بينها، والعنصر الأخير يكون على مستوى السور (في القرآن الكريم) وذلك مثل تكرار قصة سيدنا آدم عليه السلام، وقصة موسى مع فرعون ونعد ذلك نوعا من أنواع التماسك النصي وعاملا من عوامل استمرارية الدلالة في السور وبينها.

III/ أغراض التكرار ووظيفته:

إن الحديث عن أغراض التكرار ووظيفته قد تناوله العديد من البلاغيين والمفسرين واتفقوا في أشياء كثيرة، فهذا الرافعي يقول في هذا الموضوع:" وههنا معنى دقيق في التحدي ما نظن العرب إلا وقد بلغوا منه عجبا وهو (التكرار) الذي يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف في طرق الآداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة، كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد، وبسط الموعظة، وتثبيت الحجة، وترديد المنة، والتذكير بالنعم، واقتضاء شكره، إلى ما يكون في هذا الباب، وهذا مذهب للعرب معروف، ولكنهم لا يذهبون إليه إلا في ضروب من خطاباتهم للتهويل، والتوكيد والتخويف، والتفجع، وما يجري مجراها من الأمور العظيمة وكل ذلك مأثور عنهم منصوص عليه في كثير من كتب الأدب والبلاغة[1] إذن فالتكرار له فوائد كثيرة وعديدة بينما ما يهمنا هو تبيان أهميته ووظيفته في ضوء التحليل النصي المعاصر الذي نجده يحقق الربط بين أجزاء الكلام والهدف منه تدعيم التماسك النصي[2].

---

[*] عن أنواع التكرار، ينظر، ابن الناظم، شرح الألفية، ص 509

-الزركشي، البرهان، ج3، ص 09.

-السيوطي، الإتقان، ج2، ص 19./ -الرافعي، إعجاز القرآن، ص 22.

[1] ينظر الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الطباعة الشعبية للجيش، رحاب بور سعيد، الجزائر، (د.ت)، ص193.

[2] ينظر جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص92.

- نخرج من هذا بنتيجة مفادها أن مفهوم التكرار لدى علماء الــنص ودوره لا يختلف كثيرا عنه لدى القدماء، لأننا نجد أن الجاحظ أشار إلى أن التكــرار" ظــاهرة طبيعية في كل لغة، وقد يلاحظ في مستوى الحروف، كمــا يلاحــظ في مســتوى الكلمات وما سمعنا بأحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ وتــرداد بعــض المعاني عيا لأن بعض الألفاظ مثل بعض الحروف لا يمكن الاستغناء عنها والــتخلص منها رغم أنها تؤدي وظيفة تبليغية[1] ففي هذا تفنيد لبعض الأقوال التي تقــول بــأن "التكرار يشيع في الكلام العفوي والتلقائي"[2].

لأننا نراه في الشعر العربي من أنواع الكلام العفوي، فالقرآن منــزل مــن لــدن حكيم عليم وعز أن يترل قوله هذه المنــزلة. ولا أنه يعد الشعر من هذا القبيل.

التحليل النصي للسورة:

بسم الله الرحمن الرحيم

مقطع 1:

(ألر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وقُرْآنٍ مُبِينٍ (1) رُبَّمَا يَوَدُّ الذينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِيَن(2) ذَرْهُمْ يأْكُلُوا ويَتَمَتَّعُوا ويُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ(3) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ(4) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ(5))

بقراءة سورة الحجر نلتمس بوضوح اطراد ظاهرة التكرار بتشــكيلات مختلفــة ومتنوعة، مما كان لها الأثر الواضح في توجيه دلالة النص القرآني.

فالسورة استهلها الله سبحانه بالإنذار الملفع بظل من التهويل والغموض، ليــدخل الرهبة والخوف في قلوب المشركين- وهنا تكمن براعة الاستهلال- فهو يستخف بهــم ويهزأ منهم لأنهم سيتمنون حقا لو أنهم أسلموا يوم لا تجدي الودادة، في حين كانوا قبــل ذلك يأكلون ويلهون و قد غرهم الأمل و أنستهم المطامع عقاب الله.

---

[1] ينظر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 275.

[2] R. Debeaugrand & W.Dressler,intruduction teoduction to text linguistics P54.

وهو في قوله:(**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَعُوا وَيُلْهِهِم الأَمَلْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)** جاء بمعنى عام وبثه في ألفاظ متعددة، ففعل الأكل والتمتع واللهو تفيد جميعها معنى انغماس المشركين في ملذات الحياة وتناسيهم ذكر الله، وقد وردت الأفعال هذه بصيغة المضارع، ولا شك أن في تكرار ورودها بهذه الصيغة زادت القارئ إحساسا بتصور الحدث واستحضاره في مخليته كأنما يراه ويعايشه؛ لأن التعبير بالماضي يوحي بالاستقرار والثبات بينما هذه الأفعال أصبحت عادة و دأبا للمشركين.

والمعجز فيها أنه بدأ الحديث بالأكل الذي يعد من سبل التمتع، و هذا الأخير يعد من الملذات التي يتعلق بها الكافر آملا في الخلود، ففيه تفصيل لفعل ثم إجمال لتوابعه مما يوحي بمعنى الاستهزاء المتدرج و الملفع بالوعيد .

وتكرار صيغة المضارع في الآية دليل على استمرار لهوهم وتناسيهم الآخرة، فجميع المشركين تعمهم صورة واحدة في أي مكان أو زمان، وسيظلون عليها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لذلك استحقوا العقاب الذي يعدهم الله به فالآية الكريمة تحمل بين طياتها معنى الآية الكريمة معنى الآية الموالية في قوله: **(وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ، مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ** (5)) .

فهذه الحياة التي كان يحياها هؤلاء الكفار استحقوا من خلالها الهلاك إما باستئصال وجودهم وإما بالموت الذي يكون في وقت معلوم ، لا يتقدمون عنه ولا يتأخرون، و هذا العقاب لم تنج منه الأمم السابقة ولا اللاحقة فجميعها تلقى الجزاء ذاته بما ارتكبوا من ذنوب وآثام ليدخل الرعب والرهبة في القلوب عساها تتعظ، وما استحقوا هذا العقاب إلا لأنهم استهزؤوا بالرسول الذي بعثه الله تعالى إليهم لهدايتهم وتبليغهم رسالته، بينما مضوا في استهزائهم وتمادوا فيه وبلغت منهم مبلغا حتى أنهم طلبوا منه أن يحضر الملائكة دليلا على صدقه و لتشهد على ذلك: **(يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الْذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ(6) لَوْمَا تَأْتِينَا بِالْمَلاَئِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْصَادِقِينَ** (7))، وبهذا استحقوا ردا زاجرا ولاذعا على هرائهم بأن أكد الله لهم بأنه لا يترل الملائكة إلا في وقت معلوم، وهو

منزل الذكر الذي يستخفون به والمتكفل بحفظه، ففي فعل الإنزال والتكفل بالحفظ تبدو مكانة القرآن الكريم بين الكتب الأخرى.

وتكرر الفعل (نزل) بصيغ مختلفة (تكرار صيغي) حيث وردت بصيغة الماضي المبني للمجهول في الآية السادسة وذلك لإبراز صورة استهزاء المشركين بالرسول وبالقرآن، قصد تحقيرهم له وادعائهم عدم معرفة مرسله، لأن صيغة المبني للمجهول تفيد الجهل بالفاعل وزادوا على ذلك الإدعاء اتهامه بالجنون، وطلبوا منه إحضار الملائكة، فالفعل (تأتينا) يدل على اعتبارهم الملائكة مخلوقات بشرية مثلهم، لأنه يفيد إحضار لأشياء في العالم نفسه وفي المرتبة نفسها وهذا حط من درجة الملائكة .

فكان رد الله بأنه لا ينزل الملائكة " -بما تحمل الكلمة من معنى التدلي من علو إلى أسفل-إلا بالحق وهي عند نزولها لا يؤجلون ساعة، وهو المعنى الذي يحيل ويرتبط مع معنى جميع الآيات التي تتحدث عن مصير الأقوام السابقة والظالمة لنفسها.

و إن القرآن الذي تستخفون به نتكفل بحفظه وتأكيدا على ذلك تكرر الحرف المشبه بالفعل (إن) والمتصل بضمير (نا) الذي يرجع إلى الله ثم زيادة على التأكيد جاء بالضمير المنفصل (نحن) فهذا توكيد لا مجال للشك فيه فاعتبروا يا أولي الألباب، إذن فتكرار صيغة المضارع والفعل (نزّل) بما يحمل من معنى تكرار لفظي ومعنوي كان له دور هام في تحقيق التماسك والترابط بين الآيات.

ثم يتجه تعالى بالخطاب إلى رسوله لمواساته على ما يلاقيه من أذى كفار قريش ويعلمه بأن هذا المصير (الاستهزاء) لقيه رسل الله قبله لهذا حق أن يكون مسلكا في قلوبهم لأنهم استهزءوا بالله من خلال استهزائهم برسله فهم بذلك في ضلال يعمهون، وأخبارهم ملأت قصص الأولين والتي سيجيء ذكرها فيما بعد وهنا يبرز الترابط الشكلي والدلالي بين الآيات حتى ولو كانت متباعدة.

وفي قوله تعالى: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَلِينَ(10)، وَمَا يَأْتِيهِمَ مِنْ رِسُولِ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (11))** نجد أن التكرار تحقق من خلال الاشتقاق بين

"أرسلنا ورسول" فهما تشتركان في جذر واحد (رسل) الذي يفيد الإرسال والوحي برسالة إلى عباد الله، وذلك دليل على رحمة الله بعباده، لكنهم قابلوا هذه الرحمة بالكفر والاستهزاء. إنه بهذا التكرار تحقق تماسك شكلي ودلالي بين الآيتين، حيث يبرز حقيقتين متناقضتين.

إرسال الرسل

الله(الرحمة) ←———— الكفار (الإستهزاء).

فهذا السلوك الذي سلكه الكفار استحقوا من خلاله أن يصبح مسلكا في قلوبهم. لا يجدون إلى الهداية سبيلا وهو ما يؤكده قوله تعالى: (**كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ(12)لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ(13)**) . وتكرار الضمائر التي تحيل إلى مرجع واحد تبرز بقوة في الآية: لأن الضمير المتصل في "نسلكه وبه يحيلان إلى مرجع واحد وهو الذكر أي هكذا نسلك القرآن في قلوب المجرمين"[1]. وبهذا توثقت الآية الكريمة(12) بالآية (9) لأنهما تعودان إلى شيء واحد (الذكر) فهو عند الكفار مرفوض ووضيع، بينما عند الله منزه ومحفوظ، فتنشأ هنا صورتان متناقضتان لشيء واحد.

ويستمر استهزاء الله من الكافرين (الضمني) في قوله: (**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ(14) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ(15)**) ؛ لأنهم لا يطلبون الدلالة على صدق نبوة رسوله، فدلائل الصدق بينة، ولكنهم ينتحلون المعاذير المختلفة[2]، فأبرز الله لهم دلائل تفرده بالإلهية من خلق السموات المزينة بالكواكب والنجوم دليلا على حسن إبداعه، فهذه الآية الكونية العلوية (السماء) بدلالتها على السمو والرفعة والعلو لا تدركها أبصار الكافرين؛ لأنها مغشية بالسحر – كما يدَّعون– فهي لا ترى وكل ما رأته هو تخيلات ساحر، إذن فهذه الآية تبين استمرار المشركين في كفرهم وبهذا ترتبط بالآيات السابقة (07) و(13) وهي تبطل جميع

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1984، ج13، ص25.

[2] التحرير والتنوير، ج13، ص26.

معاذيرهم من قولهم: (**لوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ**) وقولهم: (**إنَّكَ لَمَجْنُونٌ**) والتماسك في الآيات (1) إلى (15) تحقق من خلال تكرار الضمائر التي تحيل إلى الكافرين وإلى الذكر والرسل من خلال العلاقة الاستهزائية، فالضمائر تحل محل الأسماء الظاهرة لذا تعد نوعا من أنواع التكرار، ونجد التكرار المعنوي بين (سُكرت ومسحورون) إذ تدلان على معنيين مترادفين وأن المعنى الثاني هو نتيجة في المبالغة في السكر وغياب الوعي.

المقطع الثاني:

(**وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (16) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ(17) إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (18) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ(21) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ(22)وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الوَارِثُونَ(23)**).

فلما أنكر المشركون النبوة والبعث في الآيات السابقة، انبرى القرآن الكريم يبين لهم دلائل تفرد الله بالإلهية، فبدأ بذكر الدلائل السماوية بقوله:(**وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا**) التي صدَّر لها في الآية السابقة (**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ**) فهذه الآية الكونية تكررت في الآيتين بداية بعدم رؤية الكافرين لها ،وانتهاء إلى إظهار صور الإبداع فيها، وهو دليل على وجود الصانع المختار الذي زينها بالشمس والقمر والنجوم للمعتبرين بها المستدلين بها على توحيد صانعها[1] وإخراج للكافرين من زمرة المبصرين لأن نعمة الإبصار لا تكون إلا للمعتبرين بآيات الله، وتأكيد لسمو هذه الآيات الكونية السماوية حفظها الله من الشياطين الملعونة والمرجومة[*]، وزيادة للتأكيد معنى الرجم جاء في الآية التالية (**إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ**) ومن أراد استراق السمع بالغيب من

---

[1] الفخر الرازي، مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ج19، م12، ص172.

[*] الرجم: الرمي بالحجارة. ثم قيل للقتل رجم تشبيها له بالرجم بالحجارة، والرجم أيضا السب والشتم. التفسير الكبير، ص173.

الشياطين المرجومة، ترجم بالشهب اللامعة فتكرار معنى الرجم من خلال لفظي (رجيم، أتبعه شهاب) ورد بقوة في الآيتين ليبين صورة الشياطين المطرودة من السماء ومن رحمة الله لئلا يختلطوا بالملائكة فتسمع أخبار الغيب منهم، وهذه الآية تحمل في طياتها قصة إبليس -عليه اللعنة- مع الله والملائكة حين لعن وأخرج من الجنة لعصيانه أمر الله. فمنزلة الملائكة من منزلة السماء، بينما الشياطين وأولياؤهم مطرودون وتلحقهم اللعنة في كل مكان، فالتكرار بذلك حقق التماسك الشكلي بين آيات السورة.

- وانتقالا من الدلائل الفوقية إلى الدلائل السفلية(الأرضية) في قوله تعالى:

(وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا......وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إَلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ(21)) فجميع الأفعال الواردة مرجعها واحد وهو الله تعالى، وهنا تبرز وظيفة الضمائر المتصلة التي تقوم مقام الاسم الظاهر. فضمير الهاء في (مددناها) وفي الجار والمجرور(فيها) تعود مرجعيتها السابقة إلى الأرض التي هيأها الله لاستيعاب سبل الحياة وجعلها مبسوطة بالخير والرحمة، ومعنى هذه الآية يلتقي مع الآية الموالية لها في قوله: **(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ)** فكل ما يرى موجود بفضل قدرة الخالق الذي ينزله بمقدار لا يعلمه إلا هو فهنا شبهت هيئة إيجاد الأشياء النافعة بهيئة إخراج المخزونات من الخزائن على طريقة التمثيلية المكنية [1]. وأصل هذه الأشياء هي السماء وهذا ما أفاد به الفعل(ننزله) لأن الإنزال لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل والسبب في إيجاد الحياة هو الماء في قوله تعالى: (**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّ**) لكن في الآية السابقة (21) تضمنت دلالة المطر ضمنيا والذي جاء التصريح به في الآية الموالية في قوله:(**وَأَرْسَلْنَا الْرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاًء فَأَسْقَيْنَاكُمُوُه وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22)**) فتبين القدرة الإلهية كيفية تكون المطر في السماء الذي سببه الرياح اللواقح للسحاب فتنزل مطرا يسقي النبت والزرع والمخلوقات. وقد تكرر الجذر اللغوي (حزن) في الآيتين بدلالتين مختلفتين إذ نفى الله عن المشركين ما

---

(1) التحرير والتنوير، ج13، ص36.

أثبته لنفسه في قوله: (**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ**) دليل على عظيم قدرته وإظهار لعجزهم [1] وتأكيد لكل ما تقدم من الآيات يزيل بقوله:(**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ** (**23**)) لأن الإحياء كله بيده مهما تعددت الأسباب والكيفيات وقد تقرر معنى الحياة والموت من خلال الضمير المنفصل (نحن) تؤازرها في ذلك الضمائر المستترة في الفعلين (نحي ونميت).

فمن خلال الضمائر بأنواعها والأفعال المسندة إلى الله تعالى تحقق التماسك الشكلي والدلالي ويتم الارتباط بينها وبين الآيات السابقة التي تحمل تهديدا ووعيدا للمشركين الكافرين وتزجرهم، ففعل الإحياء والإماتة وردا بصيغة المضارع التي تفيد التجدد والاستمرار لذا فهي غير مقيدة بظاهرة زمنية[2] لأن الفعلين كانا في الماضي وما زالا في الحاضر ويستمران في المستقبل وهما مرتبطان بفعل الوراثة الذي يفصل بينهما فترة زمنية لا يعلمها إلا الله، ومعنى هذه الآية يحيل إلى معنى الآية الموالية في قوله:(**وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ**) (**وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**).

فالعلم بما تقدم يفيد معنى المضي، وبالمستأخرين الذين تأخروا وهم الباقون بعد انقراض غيرهم إلى أجل يأتي [3] فالعلم بهؤلاء لا يكون إلا عند خالقها، فتكرار الفعل(علم) المقترن بضمير المتكلم (نا) العائد إلى الله تعالى يحمل دلالة واضحة بلا محدودية علم الله، وأنه لا يخفى عليه شيء من أحوال المتقدمين والمتأخرين ونجد أن هذه الآية تحيل في معناها إلى آيات عديدة سابقة وهي الآية(5) في قوله:(**ماَ تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونْ**) والآية (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيعِ الْأَوَّلِينَ** (**10**)) وتلتقي 5مع الآية السابقة لها (**وإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**) فجميعها مترابطة ومتماسكة دلاليا لاحتوائها معنى الخلق والمتفرد به خالق واحد، والذي يحي الحياة الأولى قادر على

---

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، رتبه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، لبنان، ط3، ج2، 1987، ص575

[2] ينظر فتحي عبد الفتاح الدجني، الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الحياة، الكويت، ط1، 1984، ص173.

[3] التحرير والتنوير، ص40.

الحياة الثانية بالأولى، والذي قدر الموت ما قدره عبثا بعـــد أن أوجـــد المخلوقـــات إلا ليستقبلوا حياة أبدية [1] لذا جاءت الآية (5) نتيجة وتعليلا لسابقتها لأن شـــأن "إن" إذا جاءت في غير معنى الرد على المنكر أن تفيد معنى التعليل والربط بما قبلـــها[2] ومـــا زاد الآيات ترابطا دلاليا والآية شكليا إعادة الضمير (هو) الذي يعود على (ربـــك) وكـــذا الضمير الهاء في (إنه) والذي له المرجع نفسه فتآزر هذه الضمائر في الآية الواحدة دليـــل على أن الله هو الفاعل وأنه يفعل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب [3] وهذا النوع من التكرار يؤكد على استمرارية قدرة الله وعظمته وأنه ما من قدرة تفوقها لأنها تجمع بين الحكمة والعلم، ومعنى الآيات جاء كأنه خيط واحد من المعاني لا ينقطع والـــدليل علـــى ذلك هو بعد انتهائه من الحديث عن خلق الآيات العلوية والسفلية وما بينهما ومناســـبة لذكر الإحياء والإماتة فإن أهم الإحياء هو إيجاد النوع الإنساني [4] وأي مادة خلق منـــها أشرف الخلق ؟ إنها مادة الصلصال الأسود النتن الذي طالت مدة مكثه. وفي آية أخـــرى يقول تعالى:(**إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ**) سورة ص/71 . فخلق الإنسان كان في الأصـــل من تراب الذي شكله تعالى كيفما شاء، وعلى الصورة التي أراد . ثم يقابل خلق الإنسان بخلق الجان من قبل فهو الخالق لكل هذه المخلوقات والعالم بمادة خلقها لذا نجـــد تكـــرر الفعل(خلق) الذي يفيد بأن الله أوجد المخلوقات من العدم أي من أشياء متفرقة وشكلها كيفما أراد، ومادة خلق الإنسان (صلصال من حمإ مسنون) تكررت لتأكيد حقيقة خلـــق أشرف المخلوقات من أنتن مادة، لأن الله لما خلقه على هذا الوجه إما لمحض المشيئة أو لما فيه من دلالة الملائكة ومصلحتهم ومصلحة الجن، لأن خلق الإنسان من هـــذه الأمـــور أعجب من خلق الشيء من شكله وجنسه[5] لذا أمر الله الملائكة بالسجود لهذا الإنســـان

---

[1] المرجع السابق، ج 13، ص40.

[2] المرجع نفسه، ص40.

[3] الزمخشري، الكشاف، ص 576.

[4] التحرير والتنوير، ج13، ص41.

[5] الرازي، التفسير الكبير، ج19، م12، ص183.

وتأكيدا على ضرورة القيام بهذا الفعل (السجود) كرره خمس مرات وبصيغ مختلفة (ساجدين، فسجد، الساجدين، مع الساجدين، لأسجد) إلا أن صيغة اسم الفاعل تفيد منتهى الفعل (الاتصاف به)، لأن الله تعالى أمرهم بالسجود لم يكن بحاجة إليه وإنما أراد أن يظهروا له الولاء والطاعة فتجسدت الصورة المطلوبة (سجود الملائكة لآدم) فكانوا ساجدين عدا إبليس الذي خرج عن زمرتهم وقد خاطبه تعالى باستفهام توبيخي لأنه عصاه و لم يمتثل لأوامره، فكانت إجابته: أنه لا يسجد لمن خلق من مادة حقيرة كأنه يقول له: "البشر جسماني كثيف له بشرة وأنا روحاني لطيف، والجسماني الكثيف أدون حالا من الروحاني اللطيف والأدنى كيف يكون مسجودا للأعلى" [1] فعصيانه استحق من خلاله الرجم وأن تلحقه لعنة الله.

فالتكرار بالاشتقاق عمل على تحقيق التماسك الدلالي بين الآيات، دون أن نتجاهل دور الضمائر المنفصلة والمتصلة لأنها تحوي المرجعية السابقة أو اللاحقة ونجدها في (قال (هو)، إني (أنا)، سويت (أنا)، نفخت(أنا) فجميعها تحيل إلى مرجعية سابقة والمتمثلة في الله. إلى جانب الضمائر المتصلة بالأفعال المسندة إلى الله والتي تحيل إحالة سابقة داخلية إلى آدم (سويته)، الهاء (فيه)، الهاء (له)، خلقته) مع بعض الضمائر العائدة على إبليس (لم أكن (أنا)، لأسجد (أنا)، فاخرج (أنت)) فبتعدد الضمائر برز تعدد الأطراف المشاركة في الحوار إلا أن آدم كان مُغَيَّبًا وقت الحوار، ونلخص أطراف الحوار والعلاقات بينها بالمخطط الآتي:

إكرام   استهزاء

الله ——— آدم ——→ إبليس(استحق الخروج واللعنة).

اللعنة التي لحقت به وبأوليائه

ونتيجة لعصيان إبليس أخرجه الله من رحمته بقوله: (**فاخرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**) فهو لا يستحق البقاء في السماوات لذلك استحق

---

[1] التفسير الكبير، ج19، م12، ص187.

الإخراج فلفظة (أخرج) تدل على غضب الله من (إبليس) وطرده لــه وكــذلك الجــار والمجرور (منها) واللعنة لا تزول عنه في الدنيا إلى أن يلاقي جزاء عمله وذلك يومئذ أشــد من اللعنة [1] فكل من الألفاظ (اخرج، منها، رجيم، اللعنة) تفيد لحاق غضب الله بإبليس وطرده له وهي تتدرج من الأقل وقعا إلى أشدها: فاخرج تفيد الطرد المباشــر، رجــيم: مطرود ترجمه بالحجارة، اللعنة: مطرود ويرجمه بالسب، إذن فهي تشترك جميعا في الاسم الشامل (الإخراج) بينما تختلف فيما بينها في بعض الجزئيات فهذه العلاقة التدرجية أدت دورا هاما في تحقيق التماسك الشكلي والدلالي بين الآيات وهي تترابط بالآية السابقة في قوله تعالى: (**وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ**) فالصورة واحدة وإن تعــددت ســبل التعبير عنها.

وإبليس بعد علمه بأنه ملعون سأل الله النظرة إلى يوم الدين في قوله تعالى: (**قالَ رَبِّ فَأَنْظُرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) قَالَ فَإِنَّكَ مِنْ الْمُنْظَرِينَ(37) إِلَى يَــوْمِ الْوَقْــتِ الْمَعْلُومِ (38)**) فمسألة النظرة"خبث جبلته" البالغ نهاية الخباثة التي لا يشــفيها إلا دوام الإفساد في هذا العالم [2] ولحكمة من الله أنظره إلى اليوم الذي لا يعلمه إلا هــو لأنــه بإنظاره إلى يوم البعث يوجب عدم موته لأنه لا يموت بعد هذا اليوم أحد لكن الله أجابه إلى يوم لا يعلمه إلا هو، فنلاحظ تكرارا ورد بين عبارات (يوم الدين، يوم يبعثون، يــوم الوقت المعلوم) فظاهريا تدل على معنى واحد وهو يوم القيامة وكأنــه " خولــف بــين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة [3]لكننا إذا وضعناها في سياقها المقالي والمقــامي لوجدنا اختلافا بينها، لأنه لو كان يوم الوقت المعلوم هو يوم يبعثون لقال تعالى:(**فإنك مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**) لكنه أراد به يوما معلوما عنده فقط لأنه لا يطلع على غيبــه أحد. فلما رأى إبليس أنه تعالى تسبب في إغوائه عندما أمره بالسجود لآدم " وما الأمــر

---

[1] التحرير والتنوير، ص47.

[2] التحرير والتنوير، ج13، ص47.

[3] الكشاف، ج7، ص578.

بالسجود إلا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله [1] لكن إبليس اختـــار الإباء والاستكبار فهلك، لذا أقسم على غواية عباد الله جميعا بتزيين المعاصـــي لهـــم مـــا سيكون سببا في هلاكهم واستثنى من ذلك عباد الله الذين استقر الإيمان في قلوبهم في قوله تعالى:(**قال رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(39)إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(40)**) نلاحظ أن الفعل (أغوى) قد تكرر تكـــرارا صـــيغيا فـــورد في الآية(39) بصيغة الماضي لذا تحقق فعل الغواية من خلال قصة السجود وبعدما جبل على الغواية أقسم وأكد بأنه يسبب في غواية عباده بتزيين المعاصي لهم وهي سبيل من ســـبل الغواية بقوله (لأزينن) فهذا الفعل يفيد الوقوع في الزمن الحاضر والمستقبل ثم جاء بقـــول "لأغوينهم أجمعين" لإجمال حال عباد الله في الغواية وكأنه يريد الانتصار على الله بغوايـــة عباده جميعا، إلا أنه استثنى فئة من عباده التي لا يستطيع إغوائها إذن ففعل الإغواء تكـــرر وطغى على العناصر الأخرى لتأكيد سعي الشيطان دائما إلى تظليل عبـــاد الله وجعلـــهم شيعة لهم، لأن علمه بموته على الكفر يحمله على الجرأة على المعاصي والإكثار منها، وهذه الآية الكريمة تفسر الآيات السابقة لأنها تفيد السبب الذي من أجله سأل إبليس الله النظرة.

فكان رد الله زاجرا وقاطعا بأنه أعد جهنم لهؤلاء الغاوين لا يستثني منـــهم أحـــد وهي تفيد عموم المصير وكأنه يقابل ادعاء إبليس غواية عباد الله جميعا. فتنشأ طائفتـــان: طائفة أغواها الشيطان فكان مصيرها جهنم، وطائفة تتقي الله وتخشاه فكان جزاؤها الجنة ونعيمها. وما دامت هناك نار وجنة يوم القيامة يخاطب تعالى رسوله بأن يخبر عباده بأنـــه يغفر الذنوب جميعا وأن رحمته وسعت كل شيء إلا أنهم لا ينسون عقابه الأليم في قوله: **(نبئ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيم(49)وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الْأَلِيمُ(50))** وتأكيـــدا على لصوق الرحمة بالله تعالى جاء بالحرف المشبه بالفعل والمتصل بضمير المـــتكلم (إني) ثم الضمير المنفصل(أنا) فكلها تحيل إحالة داخلية سابقة إلى الله تعالى، ثم أكد على هول عذابه لكن بطريقة تبرز انفصال العذاب عن الله تعالى لأن رحمته أسبق ففي الآيـــة(50) جـــاء

---

[1] الكشاف، ج2، ص578.

بكلمة عذاب المتصلة بضمير يعود إلى الله وأورد الضمير المنفصل(هو) تأكيدا على عذابه الأليم. فهاتان الصورتان (الرحمة والعذاب) من خلال التكرار تحقق التماسك الدلالي بين عناصر الآية الواحدة وبين الآيتين، ونجد كذلك ارتباطا وثيقا بين هاتين الآيتين والآيات السابقة في قوله: (**وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم**) وهما تعتبران تصديرا للآيات اللاحقة في قوله:(**وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيفِ إبْرَاهِيمَ(51)إذْ دَخلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إنَّا مِنكُمْ وَجِلُوْنَ(52) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ(53)قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِي الكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ(54)قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ القَانطِينَ(55)قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إلَّا الضَّالُّونَ(56)قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا المُرْسَلُونَ(57)قَالُوا إنَّا أُرْسِلْنَا إلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ(58)إلَّا ءَالَ لُوطٍ إنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ(59)إلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إنَّهَا لَمِنَ الغَابِرِينَ(60)فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ المُرْسَلُونَ(61)قَالَ إنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ(62)قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ(63)وَأَتَيْنَاكَ بِالحَقِّ وَ إنَّا لَصَادِقُونَ(64)فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ(65)وَقَضَيْنَا إلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ(66)وَجَاءَ أَهْلُ المَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ(67)قَالَ إنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ(68)وَاتَّقُوا الله وَلَا تُخْزُونِ(69)قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العَالَمِينَ(70)قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ(71)لَعَمْرُكَ إنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ(72)فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ(73) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ(74)إنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ(75)وَإنَّهَا لَسَبِيلٍ مُقِيمٍ(76)إنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ(77)وَإنْ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ(78)فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإنَّهَا لَبِإمَامٍ مُبِينٍ(79)وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ المُرْسَلِينَ(80)وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ(81)وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ(82)فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ(83)فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(84)**)

إن هذه الآيات الكريمة تحوي قصصا عن إبراهيم وضيفه وعن لوط وقومه وعن أصحاب الأيكة من أهل شعيب وعن أصحاب الحجر(من ثمود) وكيف كان حالها وكيف أصبح بعد هلاكها.

وابتداء الكلام بفعل الأنباء لتشويق السامعين إلى ما بعده[1] لأن الفعل ذاته جاء في الآية السابقة، وإنما قدم الأمر بإعلام الناس لمغفرة الله وعذابه ابتداء بالموعظة الأصلية قبل الموعظة بجزئياتها (حوادث الانتقام) ليعلم مشركو مكة الغافلين من سيعاقب بجهنم ومن سينعم بالجنة، فأخبرهم بعد ذلك عن قصص الأنبياء وأقوام سابقين يعرفونهم زجرا ووعيدا لهم وتسلية لرسوله فكانت القصة الأولى عن إبراهيم عليه السلام وضيفه الذين خاف منهم ، وقد طوي ذكر رده السلام وكذلك سبب وجله منهم لأنه ذكر في سورة هود السابقة في قوله تعالى: (**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ، فَلَّمَا رَأَى أَيْدِيهِمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ**) **هود/ 70،69**.

فذكر هذه الأحداث في سورة هود منعت من أن ترد في هذه السورة.

والشيء الرئيسي في قصة إبراهيم هي بشارة الرسل له لذا تكرر الفعل (بشر) بصيغ مختلفة، فورد بصيغة المضارع في الآية (53) لتفيد عموم البشارة وجاء بصيغة الماضي لإفادة سماعه الخبر في الآية (54) لكنه يستفهم من خلاله لعلمه بأمور (كبر سنه وامرأته عقيم) وتأكيدا على معنى الاستفهام الممزوج بالتعجب والحيرة تكرر الفعل مرة أخرى بصيغة المضارع الذي يفيد المستقبل ، أي علم إبراهيم بوجود حكمة منه هذه البشارة (وهذه ميزة الأنبياء) فكانت إجابتهم بأنهم بشروه بالحق وقد ذكرته الموعظة مقاما نسيه فقال:(**وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِلاَّ الضَّالُونَ**) ، وهو استفهام إنكاري في معنى النفي ولذلك استثنى منه"الضالون" يعني أنه لم يذهب عنه اجتناب القنوط من رحمة الله[2]

---

[1] التحرير والتنوير، ج 13، ص 56، 57.

[2] التحرير والتنوير،ج13،ص67.

وفي الآيات الكريمة نجد التكرار بالضمائر التي منها ما يحيل إلى إبراهيم وهو دليل ارتباطها بالاسم الظاهري الذي عوضته لأنها تقوم مقامه، فيتجسد التماسك بأسمى صوره في هذه الآية الكريمة لأنه يتنوع بامتزاج الضمائر الظاهرة والمستترة إلى جانب التكرار اللفظي، فالآيات متماسكة فيما بينها أشد التماسك، فبعد ذهاب الحيرة والفزع عن قلب إبراهيم سألهم عن سبب مجيئهم لأنهم جاءوا لأمر أهم وأكبر، ففي قوله: **(قالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ .... دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (66))** يبرز سبب نزول الملائكة، وهنا ترتبط الآية الكريمة بآية سابقة في قوله:(**مَا نُنَزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ)**، فمجيئهم إلى قوم لوط الذين سيهلكهم الله جزاء ما كانوا يصنعون من الفواحش ويستثنى منهم آل لوط استثناء منقطعا لأنه لم يكن يوما وأهله يقومون بما يقوم به قومه، لكن زوجته حق عليها الحق أن تهلك مع الهالكين وتكرر خوف لوط من الملائكة لجهله من يكونون فأجابوه بقوله تعالى:**(قالوا بلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (63)، وَآتَيْنَاكَ بِالْحَقِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (64))** ولما كان المتعلق بفعل جئناك أمرا حسيا وهو العذاب الذي كانوا فيه يمترون[1] وأما متعلق بفعل (أتيناك) وهو (بالحق) فهو أمر معنوي لا يقع منه الإتيان فلا يتعلق بفعل الإتيان فغيرت مادة المجيء إلى مادة الإتيان على إرادة معنى غير المراد بالفعل السابق[2] وما يؤكد ذلك أن كلمة الحق في الآية (55) تعني الأمر الحق الصادق ، وفي الآية (63) جاءت بمعنى الخبر الصادق لذا تكررت في المعنى العام.

فكان الحق هو طلب الملائكة من لوط الخروج وأهله من أرضهم إلى أرض أخرى يعلمها الله وذلك أثناء الليل، وكذلك وحي الله إليه بأنه سيهلك قومه في الصباح .

والتماسك تحقق بين الآيات بفضل اتصال الأفعال المسندة إلى الرسل بضمير يعود إلى لوط، فاستمرت الأفعال المضارعة تتوالى في الآية مسبوقة بلا الناهية التي تفيد رفض لوط لأفعال قومه لكنهم لم يصغوا إليه واعترض بجملة – لعمرك إنهم لفي سكرتهم

---

[1] التحرير والتنوير، ج13،ص64.

[2] المرجع نفسه،ص64.

يعمهون- للعبرة عن عدم جدوى الموعظة فيمن يكون في سكرة هواه ، فمن خلال الاعتراض نجد أن الآية (72) تترابط مع الآية (15) لأن الكافرين تتملكهم سكرة الأهواء، وهنا يتجلى التماسك الدلالي بين الآيات المتباعدة.

المقطع الرابع:

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالحَقِ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الجَمِيلَ(85) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ(86) وَلَقَدْ ءاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ المَثَانِي وَالقُرْآنِ العَظِيمِ(87) لاَ تَمُدَّنَ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ(88) وَقُلْ إِنِّ أَنَا النَّذِيرُ المُبِينُ(89) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى المُقْتَسِمِينَ(90) الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ(91) فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92) عَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(93) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرْ وَأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ(94) إِنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ(96) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ(97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ(98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيكَ اليَقِينُ(99)) صدق الله العظيم.

في هذه الآيات الكريمة يبدو عدل الله بالجزاء على الأعمال بما يناسبها فالأفعال الأولى مسندة إلى الله تعالى (خلقنا ، آتيناك) وأوثر فعل "آتيناك" دون أوحينا ، وأنزلنا لأن الإعطاء أظهر في الإكرام والنعمة، أي فضلناك بالعطاء ، لذا فلا تنظر إلى متاع الدنيا **(وقل إني أنا النذير المبين(89))** ، فجاء بالحرف المشبه بالفعل المتصل بضمير التكلم والضمير المنفصل (أنا) لتأكيد المهمة التي بعث من أجلها الرسول (ص) ، ويدعوه بألا يحفل بأمر المشركين الكافرين لأن الله المتكفل بعقابهم وهي تلتقي مع قوله تعالى: **(لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به... (88))** ،ونجد التكرار المعنوي في الآية **(الذين جعلوا القرآن عضين(91))** ومع **(الذين يجعلون مع الله إلها آخر)**، فجميعهم يسعون إلى تقبل بعض ما وافقهم من القرآن وما لم يوافقهم يرفضونه وبذلك قسموه إلى أشتات وكذلك أشركوا وجعلوا مع الله إلها آخر فجميعها أعمال تنم عن كفرهم فاستحقوا ما يوعدون به.

والتكرار ورد بين لفظتي (ربك، واعبد ربك) لأن الله هو الرب وهو خالق لكل شيء والمالك لكل شيء وأنه المحي والمميت والنافع والضار والقادر على كل شيء وهو الذي يرزق مخلوقاته وله الأمر كله [1] ، فهو المستحق للعبودية فعلا، إذن فهذه الآية الكريمة، توحيد الربوبية الذي تجلى معناه في السورة كلها من الآية الأولى إلى الآية (99) فجميعها تدعو إلى توحيد الربوبية (ربوبية الله) لأنه الخالق لكل شيء والمدبر لكل الأمور.

وبذلك تحقق التماسك الشكلي والدلالي بين الآية (99) وجميع آيات السورة فأصبحت جميعها كأنها كلمة واحدة من شدة تماسكها.

---

[1] محمد صالح العيثمين،شرح العقيدة الوسيطية، إعداد فهد بن ناصر إبراهيم السليمان،دار الثريا للنشر والتوزيع،السعودية،ط1998،1،ص239.

2- رد العجز على الصدر:

هو نوع من أنواع التكرير ،يقول فيه السكاكي:"هو أن تكون إحدى الكلمتين المتكررتين أو المتجانستين أو الملحقتين بالتجانس في آخر البيت والأخرى قبلها في أحد المواضع الخمسة من البيت وهي صدر المصراع الأول وحشوه وآخره وصدر المصراع الثاني وحشوه"[1] ويقول أيضا:"والأحسن في هذا النوع أن لا يرجع الصدر والعجز إلى التكرار ومن جهات الحسن القلب كقولك حسامه فتح لأوليائه وحتف لأعدائه وأنه يسمى مقلوب الكل أو كقوله: "اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا وأنه يسمى مقلوبا مجنحا، وإذا وقع قلب الكل في كلمتين أو أكثر شعرا أو غير شعر كقولك كيل ملئك وخان إذا ناخ وقوله:

أَسَ أَرْمَلاَ إِذَا عَرَا   وَارْعَ إِنَّ المَرْءَ أَسَا

مقلوبا مستويا"[2].

وقال ابن المعتز:"هو رد إعجاز الكلام على ما تقدمها، وهذا الباب ينقسم إلى ثلاثة أقسام : ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه، ما يوافق آخر كلمة منه كلمة في نصفه الأول، ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه"[3]

وقال العسكري:«أول ما ينبغي أن تعلمه أنك إذا قدمت ألفاظا تقتضي جوابا فالمرضي أن تأتي تبلك الألفاظ في الجواب، ولا تنتقل عنها إلى غيرها مما هو في معناها (...) ولرد الأعجاز على الصدر موقع جليل من البلاغة، وله في المنظوم خاصة محل خطير وهو ينقسم أقساما*»[4].

---

[1] السكاكي،مفتاح العلوم،ص203.

[2] المرجع نفسه، ص203، 204.

[3] ابن المعتز،كتاب البديع،تعليق أغناطيوس كراتشوفسكي، نشر Mesars and CO,Luzac ،لندن،1935،ص48،47.

* الأقسام هي نفسها التي ذكرها ابن المعتز في تعريفه، إلا أن العسكري استعمل البيت بدل الكلام.

[4] العسكري،كتاب الصناعتين،دار الكتب العلمية،بيروت،1981،ص429.

لمزيد من المعلومات حول تعاريف رد العجز على الصدر ينظر أ–وليد قصاب،البلاغة العربية،دار القلم للنشر والتوريع،الإمارات العربية،ط1997،1،ص386،

ب–السجلماسي،المنزع البديع،في تجنيس أساليب البديع،تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، 1980، ص 406.

من خلال التعاريف السابقة نجدها تتفق على أن رد العجز على الصدر يكمـــن في تكرار اللفظة في الشطر الأول والثاني، لكن موقع هذا التكرار يختلف من تعريف لآخـــر، فمنهم من يرى أن أحدهما في الشطر الأول و الثاني في الشطر الثاني، ويرى آخرون بأنهـــا تكون في الشطر الثاني، وما يهمنا نحن هو إبراز كيفية تحقيق التماسك النصي من خـــلال رد العجز على الصدر لأن هذا الأخير يعد مظهرا خطابيا قائما على الإعادة (إعادة الكلمة نفسها) وقد استدل السكاكي بأمثلة ورود رد العجز على الصدر كالآتي:

مشتهر في علمه وحلمه ***وزهده وعهده مشتهر

في علمه مشتهر وحلمه ***وزهده وعهده مشتهر

في علمه وحلمه وزهده *** مشتهر وعهده مشتهر

في علمه وحلمه وزهده ***وعهده مشتهر مشتهر[1]

إذن على الرغم من اختلاف موقع الكلمة الأولى المعادة في نهايـــة العجـــز إلا أن وظيفة هذا العنصر المعاد والمكرر تكمن في ربط شطري البيت الواحد وهذا مـــا يـــدعم التماسك.

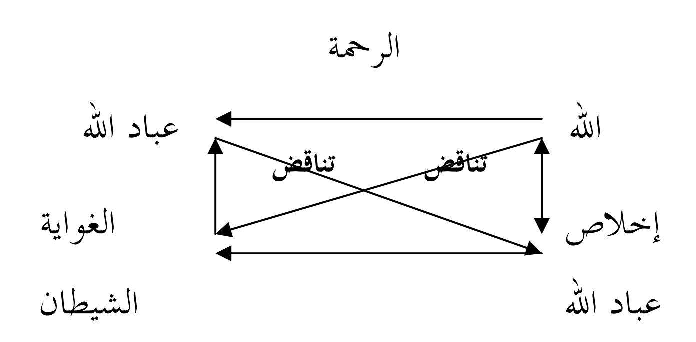
التحليل النصي للسورة

لم ترد آيات كثيرة في سورة الحجر تشمل ظاهرة (رد العجز على الصدر) فقـــد وردت في قوله تعالى: **(رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأَغْـــوِيَنَهُمْ أَجْمَعِـــينَ(39))** الحوار في هذا الخطاب قائم بين الله عز وجل وبين إبليس لعنة الله عليه فنظرا لتيقينه بأنه من الغاوين أراد أن يغوي بني آدم ويزين لهم أعمالهم السيئة ، وينسيهم عقاب الله وجزاءه فهي مهمته ورهطه وشيعته فهم يجتهدون لغواية وإضلال عباد الله ، فكان دور رد العجز على الصدر (تكرار الفعل لأغوينهم) تأكيدا لسعي إبليس إلى غواية عباد الله جميعا فهـــذا التكرار دعم الترابط بين هذه الآية والآية (33) في قوله: **(قالَ لَمْ اَكُنْ لأَسْـــجُدَ لِبَشَـــرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صُلْصَالٍ من حمإ مَسْنُونٍ)** فهذه الغواية صورت له بأنه أفضل المخلوقات وكيف

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 205.

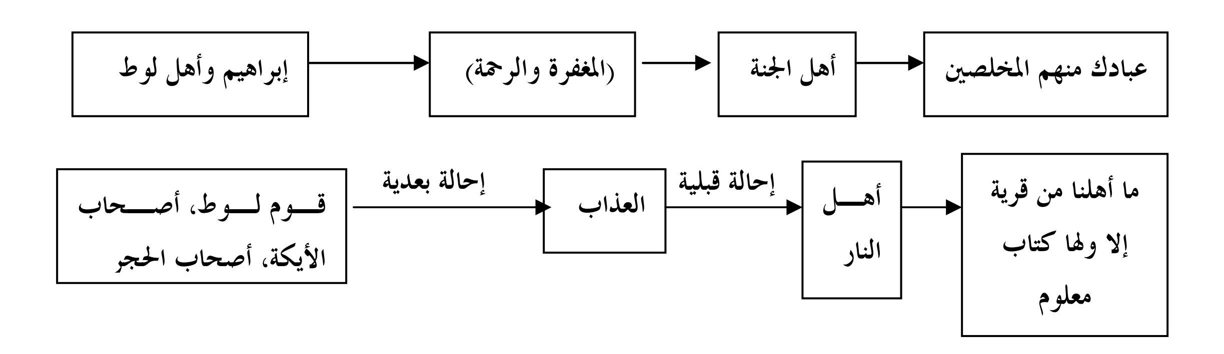
يسجد لمن هو دونه فجبلة الكفر والعصيان أراد أنه يزرعها في عباد الله ليصبحوا جميعا في شيعته دون أن يستثني منهم أحدا لذا طلب من الله النظرة إلى يوم البعث كي تكون لـــه الفرصة في إغواء جميع الخلق دون استثناء على حسب اعتقاده لكنه لا يســـتطيع غوايـــة الجميع لأن هناك فئة تمكن الإيمان من قلوبها وبهذا فهو يحمل إحالة بعدية إلى الآية التالية في قوله تعالى: **(إِلاَّ عِبَادَكَ منهمْ المُخْلِصِينَ)** فمن خلال علاقة الترابط والتلاحم بين الآيات التالية وإذا أنعمنا النظر نجدها تحيل إلى جميع آيات السورة وكأن كل آية تمهد للآية التي تليها دون أن تنقطع الصلة بما قبلها وهو ما يمثل التماسك الشكلي والدلالي بين عناصـــر الآية الواحدة وبين آيات السورة كلها وتمثل لهذه العلاقة بمخطط سميائي:



ونجد رد العجز في الآية (50) في قوله تعالى : **(وأَنَّ عَذّابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمْ)**

في هذه الآية الكريمة بعد أن أنهى الله من وصف حال عباده المخلصين المتقين وهم في الجنة يتنعمون بخيراتها كلف رسوله بأن يخبر عباده عموما بأنه غفور رحيم وان رحمته وسعت كل شيء كي لا يقنطوا من رحمته فيزيدهم بذلك مواظبة على فعل الخير وبرحمته تقل معاصيهم لكن لا يجب تناسي عقاب الله وعذابه لأنه عادل حكيم يجازي كل بعمله، وإن بالغ في وصف رحمته ومغفرته بألفاظ ثلاثة: قوله (أني) ثانيها قوله (أنـــا) وثالثهـــا (إدخال حرف الألف واللام على قوله (الغفور الرحيم) وأخر العذاب لترغيب عبـــاده في الرحمة وفعل الخير والضمير المنفصل (هو) في قوله (وأن عذابي هو العذاب الأليم) يعـــود على العذاب وليس على الله ، وتأكيدا على شدة عذابه وبأنه آت لا محالة لـــذلك كـــرر

لفظة العذاب في آخر الآية ومما زاد من قوة وقعه على النفوس لصوقه بالصفة (أليم) التي وصف بها عذابه ، وهذا التكرار أضفى على الآية جوا مهيبا ومفزعا من هول العذاب في ذلك اليوم وهذه الآية تحيل إلى الآية (35) في قوله تعالى:(**وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ)** وإلى الآيات الأولى من مثل قوله تعالى:(**وإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**، دليل على أن يوم القيامة يوم موعود يجازى فيه المحسنون بالجنة ويعاقب المسيئون بالعذاب (جهنم) فهذه الآية تحيل إحالة بعدية إلى مصير أقوام لوط والأيكة والحجر فمن خلال العلاقة المعجمية تم توثيق الصلة بين آيات السورة التي تبشر بعذاب أليم لكل كافر وعاص لأوامر الله مستخف بعقابه.



ونجد الظاهرة في قوله تعالى:(**قالَ أَبَشَرْتُمُونِي عَلَى أَنَّ مَسَنِي الكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِرُونَ)**

فهذا القول لإبراهيم عندما جاءه المرسلون من الملائكة يبشرونه بغلام عليم (إسحاق) وقد استفهم إبراهيم عن البشارة (استفهاما تعجبيا في المرة الأولى (أبشرتموني) يوضح لهم كبر سنه وهل يولد له غلام وهو كبير أم يرجع إلى شبابه وعندما ذهب الذهول عنه تساءل فبم تبشرون ؟ أي ما هي الدلائل التي جئتم بها دليلا عن البشارة، فهذا السؤال يتطلب جوابا وقد جاء في الآية الموالية أما إذا تأملنا الفعل " بشر " فإننا نجد بأنه أضفى جوا من الفرح الممزوج بالتعب والاستفهام لأنها رحمة الله بعباده وبخاصة أنبيائه وهذا ما تضمنته الآية السابقة: (**نبئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ** وتثبيتا القلب الرسول (ص) لما يلاقيه من قومه وتسلية له ، وهي ترتبط كذلك بالآية اللاحقة في قوله تعالى:

(قالوا إِنَّا أُرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (58) إِلاَّ ءالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُوهُمْ أَجْمَعِــينَ (59)) ، فكذلك نجى الله رسوله لوط وأهله من العذاب رحمة به وبالرسل جميعا.

في الآية (85) نجد ضربا من رد العجز على الصــدر في قولــه:(**وَمَــا خَلَقْنَــا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيــلَ)** إذ وقع الاستدلال على المكذبين بالبعث بخلق السماوات والأرض قوله: **(ولم فتحنا علــيهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مســحورون ولقد جعلنا في السماء بروجا)** وختمت بآية: **(وإنا لنحن نحي ونميت ونحن الوارثــون)** وإلى قوله تعالى: **(وإن ربك هو يحشرهم)** وانتقل إلى التذكير بخلق آدم عليه السلام ومــا فيه من العبر ثم إلى سوق قصص الأمم التي عقبت عصور الخلقة الأولى فآن الأوان للعــود إلى حيث افتراق طريق النظم حيث ذكر خلق السماوات ودلالته على البعث بقوله تعالى: **(وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بــالحق)** فجــاءت علــى وزاه قولــه تعالى:**(ولقد جعلنا في السماء بروجا)**: فأن ذلك خلق بديع فصفة الخلق خاصة بالله تعالى ويأتي بها الله تعالى بعد استعراض كفر المشركين برسله وبرسائله دليلا على قدرة الله التي لا حدود لها فمن أوجد هذه الآيات الكونية لا يعجزه خلق الإنســان وهدايتــه أحــد السبيلين.

II – المطابقة :

قال السكاكي:"وإن قدر تقرر أن البلاغة بمرجعيها وأن الفصاحة بنوعيها ممــا يكســو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسن، فها هنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأطراف منها وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ فمن القسم الأول: المطابقة، وهي أن تجمع بين متضادين كقوله: (طويل)

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر

وقوله علت كلمته : (قل اللهم مالك الملك تؤتي أمات وأحيا

من تشاء وتذل من تشاء) [آل عمران/ 26]، و والذي أمره الأمر

وقوله:(**وتحسبهم أيقاظا وهم رقودا**)[1] [الكهف

علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية

وهذه الوجوه ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى و

المطابقة، وتسمى الطباق والتضاد أيضا، وهي ا

الجملة "[1].قال ابن المعتز : " قال الخليل رحمه

بينهما على حذو واحد ... "[2] قال العسكري

الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الر

مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار و

فلان بين ثوبين ثم استعمل في غير فقيل : طبا

يده"[3]نلاحظ من خلال تعرفي السكاكي والق

وبأنه قسم من أقسام البديع المعنوية بحيث يحد

بمقتضى الحال (السياق) وبدلالة الألفاظ دون أ

مطابقة خلاف ما نجده لدى ابن المعتز والعسك

طباق دون الاهتمام بالفرق بين المعنى اللغوي و

بالحديث عن المعنى الاصطلاحي وانتقل إلى المع

شواهد الشعر والقرآن للاستدلال على مفهوم

في مؤلفاتهم على الترتيب: من الشعر قوله:(طوي

---

(1) : مفففتاح العلوم، ص 200

(1) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص348.

(2) ابن المعتز، البديع، ص 36.

(3) العسكري، كتاب الصناعتين، ص 339.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار:" إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع "، وقوله تعالى: **(لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)** [البقرة/ 286]

ومن أمثلة طباق السلب قوله تعالى: **ولكن أكثر الناس لا يعلمــون ، يعلمــون ظاهرا من الحياة الدنيا)** [الروم/ 6، 7] وقوله: **(ولا تخشوا الناس واخشوني)**[1]

من خلال الشواهد السابقة نلاحظ أن المطابقة اعتبرت كعلاقة بين بعض عناصــر القول أو البيت الشعري لكنها لا تتجاوز حددوها إلى النص برمته هذا ما يمز نظرة القدماء ومفهومهم للمطابقة دون إظهار دورها في تحقيق تماسك الخطاب / القصيدة لأن همهــم كان منصبا على إبراز الوظيفة الجمالية التي تقوم بها هذه العلاقة من تحسين الكلام كمــا ذهب إلى السكاكي، وتنميقه ومهمتنا تكمن في إظهار دور هذه العلاقــة بالمســاهمة في تماسك أجزاء النص متقاربة أو متباعدة.

التحليل النصي للسورة:

في الآيات الأولى يهدد تعالى يهدد الكافرين بأنهم سيتمنون لو كانوا مسلمين قبل هذا اليوم وجاء بصيغة المضارع دليلا على استمرار التمني في الماضــي ويبقــى حــتى في المستقبل ومن خلال المطابقة صور لنا حال الكافرين مقابل حــال المســلمين ، فتتضــح الصورة البائسة للكفار والتي يستحيل أن تتغير، وبهذه العلاقة اتضحت معالم التماسك بين الآية الأولى والثالثة هذه الخيرة التي تعتبر تتمة وتفسيرا لحالة الكفار في الحياة الدنيا وكيف أنها غرتهم وأنستهم اليوم الآخر وهو ما أشارت إليه الآية الأولى: **(ألــر تلــك آيــات الكتاب وقرآن مبين).**

وفي الآية الرابعة: **(وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم)** يبين تعالى بأنه لا يترل هلاكه على أمة إلا وجاء أجل ووقت محدود " فهي ممتعة قبل حلوله ، وهي مأخوذة عند إبانه "[2]

---

[1] ابن معتز، كتاب البديع، ص 370.

وتأكيدا على هذا القول لأن الأمم تحيا زمنا محدودا ومعينا فلا هي سابقة ميعـــاد ذلك اليوم ولا هي بمتأخرة عنه لذا جاءت علاقة المطابقة في الآية الموالية بين الفعلين مـــا نبقى وما يستأخرون ، وجملة "ما تسبق من أمة أجلها " بيان لجملة " ولها كتاب معلوم البيان فائدة التحديد في أنه عدم المجاوزة بدءا ونهاية "[1]وإنما ذكر حال القرى التي أهلكت من قبل للتذكير هؤلاء بنسبة الله في إهمال الظالمين لئلا يغرهم ما هم فيـــه مـــن التمتـــع فيحسبوا أنهم أفلتوا من الوعيد ، إذن فعلاقة المطابقة هي تأكيد لوعيد وتهديد المشـــركين بأن الله أمهلهم ومتعهم إلى أجل مسمى ومعين فلا هم بسابقيه ولا يتمنـــون أن يتـــأخر عنهم.

ويستمر تكذيب الكافرين للرسول والاستهزاء به فكان أن استهزأ بهم الله استهزاء ضمنيا لأنهم لا يحتاجون إلى صدق دلائل خلق الله لكنهم يدعون انهـــم مســـحورون ولا يرون إلا أباطيل وكيف لا يرون السماء التي رفعها وزينها بالكواكب المنيرة والمضـــيئة ، والأرض التي تحويهم ومنها سبب معاشهم وإنزال المطر فلما جرى ذكر إنزال المطر وكان مما سبق أسر الأذهان عند ذكر المطر إحياء الأرض به ناسب أن يذكر بعده جنس الإحياء كله لما فيه من غرض الاستدلال على الغافلين عن الوحدانية "[2]

فحدوث المطابقة بين فعلي " نحي ونميت " دليل على أن الله بيده كل شيء وبأنه قادر على إحياء كل ما هو مخلوق وانه قادر على إماتته ومعز الإحياء تضمنته الآية السابقة **(فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه)** ففعل الإحياء والإماتة مستمران إلى أن يـــرث الله الأرض ومن عليها فهذه الآية تمثل الجملة البؤرة (المحور) التي تدور حولها الآيات كلـــها في هذه السورة التي تلخص بروبية الله لكل شيء.

---

[2] التحرير والتنوير، ج13، ص 14.

[1] التفسير الكبير، ج19، م12، ص 39.

[2] المرجع نفسه، ص 39.

ولما ذكر تعالى الإحياء والإماتة وكان الإحياء يذكر بالإحياء وكانت الإماتة تذكر بالأموات تخلص منها بالاستدلال بالأحياء، والإماتة على عظم القدرة علـــى الاســـتدلال بلازم ذلك على عظم علم الله وعلمه بالأمم البائدة وعلـــم بـــالأمم الحاضـــرة، فأريـــد بالمستقدمين الذين تقدموا الأحياء إلى الموت أو إلى الآخرة وبالمستأخرين الذين تـــأخروا وهم الباقون بعد انقراض غيرهم إلى أجل يأتي والسين والتاء في الوصفين للتأكيـــد مثـــل استجاب[1]

فكانت الآية (24) تتضمن علاقة المطابقة بين لفظتي (المستقدمين والمتـــأخرين) فالله يعلم هؤلاء جميعا وقد جاء بصيغة التأكيد بواسطة لام التأكيد قبل قد الـــتي تفيـــد التحقيق وزيادة على ذلك فإن الفعل علم من أفعال اليقين فهو يقين علـــى يقـــين يخـــبر المتقدمين وكذا يخبر المتأخرين وهذا تهويل وتفخيم لقدرة الله وتهديد للمشركين من سوء العاقبة فالصورة واضحة لعلم الله الواسع وهي تأكيد لقدرته وتلتقي مع الآيات الســـابقة مثل: **(وإنا نحن نحي ونميت ونحن الوارثون)** وتستند معناها وتوثقه.

في الآية (43) قوله تعالى:**(إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين)** وبين الآية (45) في قوله:**(إن المـــتقين في جنـــات وعيون)**

فبعد ذكر قصة البشرية وأصل الهدى والغواية في تركيبها وأسبابها الأصلية[2].

انقسم العباد إلى قسمين: قسم اتبع خطوات الشيطان فأغواهم لذا كان مصيرهم جهنم يصلون فيها وتوزعون على أبواب كل حسب درجات معصيته لله تعالى.

وقسم لم يستطيع الشيطان غوايته فكانت لهم الجنة، متنعمين فيها بما ستبشرهم الله به متقابلين على سررها.

---

[1] التحرير والتنوير، ج 13، ص 39.

[2] في ظلال القرآن، ج4، ص 2124.

من خلال المقابلة بين صورة الغاوين ومصيرهم وبين صورة المتقين تتجلى المطابقة الصارخة بين هذين القسمين واستحق الغاووين هذا المصير بما كذبوا الرسل واستهزءوا بهم وتكذيبهم لآيات الله**(وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون لوما أتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين)** فبهذا الإصرار على الكفر والتكذيب تتجلى سماجة النفس الكافرة وتصور حالتها الأصلية الدائمة التي لا يرجى معها أن تستفيق فحقت عليهم كلمة الله **(وإن جهنم لموعدهم أجمعين** (43)) وتظهر بالمقابل صورة المتقين مناقضة تماما لصورة الكافرين لأنهم (المتقين) فعلوا ما أمرهم تعالى به و لم يضلهم الشيطان و لم يغوهم مع الغاوين، وهذه الصورة مرتبطة بقصة أصل الغواية " فحقيقة العصيان والطاعة موجودة منذ خلق الله للإنسان (آدم) وأمره الملائكة بالسجود له فسجد الملائكة عدا الشيطان الذي أخذته العزة بنفسه، فأصبح العصيان والكفر جبلة جبل بها فأراد أن يزينها لعباد الله فمنهم من اتبعه فأصبح الكفر مسلكا يسلكه ومنهم من لم تجد فيه غواية الشيطان له.

فعلاقة المنافرة ساهمت في بناء النص وقامت بتحقيق التماسك الشكلي والدلالي بين آيات السورة المتقاربة والمتباعدة.

وفي الآية (55) قوله: "**(قالوا إنا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين)** فنبي الله إبراهيم بشر بالحق من ربه، فعليه أن يحمد الله على ذلك ولا أن يستكين ويقنط الآن القنوط صفة اليائسين من رحمة الله فهم ظالمون لنفسهم وحاشا أن يكون نبي الله من هؤلاء فمن خلال جملة (بشرناك بالحق) و (القانطين) تظهر المطابقة واضحة جلية لأن رحمة الله لحقت أنبياءه وعباده المتقين لكن غضبه وعذابه ينال من الظالمين ومن بينهم قوم لوط الذين نالهم عقاب الله بما كذبوا رسول الله لوط وعصوا الله وتمادوا في فعل الفاحشة.

إذن فعلاقة المطابقة قامت بربط أواصر الآيات بعضها ببعض منصهرة في بنية دلالية واحدة لكنها تحمل معنى التضاد فيما بينها.

إن دراسة (التماسك النصي) في نص ما يقتضي توافر علاقة المرجعية بين العناصر اللغوية المختلفة؛ لأن هذه الأخيرة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها[1]. وباستقصاء العناصر التي تملك خاصية المرجعية (الإحالة) في الدراسات النصية لوحظ أنها متعددة ومتنوعة ومن أهم عناصرها: الضمائر وأسماء الإشارة والموصول وأدوات المقارنة- حسب هاليداي ورقية حسن.

والسؤال الذي يطرح هو: ما دور الضمائر في تحقيق التماسك النصي في السورة؟. وهل هذا الدور مقتصر على مستوى الجملة الواحدة؟ أم هل يتجاوز إلى مستوى الجملتين وإلى مستوى النص؟. أهذا التماسك شكلي أم دلالي؟...الخ.

ومن أجل تأصيل هذه المسألة نرجع إلى تراث القدماء في هذا المجال ونقابلها مع الدراسات التي قام بها المحدثون لإبراز دور الضمائر في تحقيق التماسك النصي.

وبداية نشير إلى أن الضمائر تكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، ولا تقف أهميتها عند هذا الحد، بل تتعداه إلى الربط بين أجزاء النص المختلفة شكلا ودلالة، لذا لم يغفل القدماء والمحدثون دورها-كل حسب اتجاهه وما يهدف إليه من التحليل- فمنهم من قصرها على مستوى الجملة الواحدة أو الآية الواحدة مثل النحاة، ومنهم من تعدى هذا الحد ليعالج دورها على مستوى النص الكامل مثل المفسرين).

والضمائر التي نعنيها بالبحث ليست ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب فحسب بل تشمل كذلك ضمائر الإشارة وضمائر الموصول[*]، إذ تقوم الإشارة والموصولات بنفس وظيفة الضمائر من حيث المرجعية والإشارة والربط.

---

[1] محمد خطابي،لسانيات النص ،ص16،17.

[*] حسب رؤية تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها.

I/ الضمائر عند علماء العربية:

تلجأ العربية إلى الربط بواسطة لفظية حين تخشى اللبس في فهم الانفصال بين معنـــيين، أو في فهم الارتباط بينهما، والواسطة اللفظية ،إما أن تكون ضميرا منفصلا وإما متصلا، وما يجـــري مجراه من العناصر الإشارية، كالاسم الموصول واسم الإشارة، وإما أن تكـــون أداة مـــن أدوات الربط.

"وليس الربط بالضمير كالربط بالأداة، فوظيفة الربط بالضمير ناشئة مما سبق الضمير مـــن إعادة الذكر، وفي هذا تعليق وائتلاف وربط".[1]

عن هذا الحديث يقول سيبويه(ت180 هـــ) "، "وإنما صار الإضمار معرفة لأنك إنما تضـــمر اسما بعدما تعلم أن من يحدث قد عرف من تعني وما تعني، وأنك تريد شيئا يعلمه".[2] وتحدث عن التماسك على مستوى الجملة الواحدة، وعن قوة التماسك بين المبتدأ أو المبني عليه في قولـــه:"وأن المبني عليه هو هو".[3] أو كما يقول في باب المسند والمسند إليه:"...وهو مالا يغني واحد منـــهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا فمن ذلك الاسم المبتدأ أو المبني عليه، وهو قولك عبد الله أخوك وهذا أخوك".[4] فنلاحظ أن التماسك قائم بين المبتدأ والخبر، هذا الأخير بما يحمل مـــن علاقـــة المرجعية بواسطة الضمير (الكاف) الذي يربطه بالمبتدأ.

ويقول المبرد (2850هـــ):"فالخبر هو الابتداء في المعني"[5]وفي هذا القول إشارة إلى قـــوة التماسك الدلالي"أما إذا كان غير الأول، لأنه إذا كان غير الأول فإنه لا بد أن يكـــون في الخـــبر ذكر، فإنه لم يكن على أحد هذين الوجهين فهو محال، ونظير ذلك: زيد يذهب غلامه، وزيد أبوه

---

[1] مصطفى حمودة، نظام الربط والارتباط في تركيب الجمل العربية، الشركة المصـــرية العالميـــة للنشـــر،لونجمان،بيروت،لبنان-الطبعـــة الأولى-1997،ص155.

[2] سيبويه الكتاب، ج1،ص278.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص278.

[4] نفسه، ج1، ص23.

[5] المبرد، المقتضب تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،القاهرة،1399هـــ،ج4، ص127.

[6] المقتضب-الجزء الرابع-ص128.

كريم...ولو قلت: زيد قام عمر ... لم يجز".[1] وذلك لخلو جملة الخبر من الضمير العائد على المبتدأ ومن اختل المعنى وأصبح لا وجود لرابط في مثل هذه الجملة.

وقد قسم القدماء الضمائر الضمائر إلى نوعين:متصل ومنفصل."فالمنفصل ما لا ينفك عن اتصاله بكلمة،كقولك أخوك وضربك ومر بك، وهو على ضربين بارز ومستتر فالبارز ما يلفظ به كالكاف في أخوك والمستتر ما نوي كالذي في زيد ضرب، والمنفصل ما جرى مجرى المظهـــر في استبداده كقولك هو أنت".[2]

فهذه الألفاظ –كما ذكرنا– قامت مقام ما يكنى بها عنه، وقد قال شارح كتاب المفصـــل أن"لا فرق بين المضمر والمكنى عند الكوفيين فهما من قبيل الأسماء المترادفة فمعناهما واحـــد وإن اختلفا من جهة اللفظ، أما البصريون فيقولون أن المضمرات نوع من المكنيات فكل مضمر مكنى وليس كل مكنى مضمر"[3].

فالضمائر إذن تقوم مقام الأسماء وتنوب عنها، وهي تحيل إحالة قبلية في مثل قولنا: فتـــاة حسنة أخلاقها، فذكر الهاء هي إضمار الفتاة، غير أن هذه الإحالة لم تتعد مستوى الجملة الواحدة.

وإذا كان النثر يشترط وجود الضمير العائد على عنصر سابق (في الجملة الفعلية والاسمية) فإنه يجوز عدم ذكره في الشعر، وقد مثل سيبويه لمثل هذا الحذف بشواهد شعرية عديد منها: قول أبي النجم العجلي (رجز)

قـــد أصبـــحت أم الخـــيار تدعـــي   علـــي ذنبـــا كلـــه لـــم أصنـــع

وقول امرىء القيس (متقارب)

فأقبلـــت زحفـــا علـــى الركـــبتين   فثـــوب لبســـت وثـــوب أجـــــر

---

[1] المرجع السابق، ج4، ص 128.

[2] الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، دار ومكتبة الهلال،بيروت،لبنان، الطبعة الأولى–1993،ص166.

ينظر: أ– الكتاب،ج1،ص85–89.

ب– المقتضب،ج4، ص128.

د– ابن هشام، مغني اللبيب،ج2، ص106.

[3] ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ج1، د ت، ص 84.

وقول النمر بن تولب (متقارب)

فيـــوم علـــينـــا ويـــــوم لـــنـــا   ويـــــوم نســـــاء ويـــــوم نســـــر

يريدون: نساء فيه ونسر فيه، وهذا ضعيف،وإنما شبهوه بقولهم:رأيت فلان،حيـــث لم يـــذكروا الهاء..."[1]

ولقد ظهر في القرن الثامن الهجري ابن هشام (ت 761هــ) المفكر لغوي، الذي تحدث عن مرجعية الضمائر القبلية والبعدية، وبين مواضع وجوب وجود الضمائر.

فقد تحدث تحت عنوان "روابط الجملة بما هي خبر عنه" عن هذه الروابط مشتملة بـــذلك على أغلب الروابط التي أشار إليها الناصيون المعارضون، والتي من أهمها:

1- **الضمير**: وهو الأصل، ولهذا يربط مذكورا كزيد ضربته،محذوفا نحو(إن هذا ن لساحران) طه/63....".[2]

وقد جعل الضمير أصلا للروابط، وهو ما يوضح إدراكه لأهمية الضمير النصـــية، الشـــيء الذي مع اهتمامات التحليل النصي المعاصر.

2- **الإشارة** : نحو قوله تعالى:(**والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النـــار**)الأعراف/36.وقوله: (**والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وســـعها أولئـــك أصحاب الجنة**) الأعراف/42. وقوله أيضا:(**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا**) الإسراء/36".[3]

فالإشارة لها دور يماثل دور الضمائر السابقة، فهي تعمل على تحقيق التماسك النصي بـــين العناصر المشيرة والمشار إليها لهذا وردت بقوة في النص القرآني.

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج1، ص85-89.

[2] ابن هشام، مغني اللبيب، دار إحياء الكتب العلمية، فيصل عيسى البابي الحلبي،ج2،ص.106،107

[3] المرجع نفسه، ص107.

3-إعادة المبتدأ بلفظه: نحو(**الحاقة ما الحاقة)** الحاقة/1،2.و(**وأصحاب اليمين مـــا أصـــحاب اليمين)** الواقعة/27.[1] ولا يقتصر على إعادة اللفظة الواحدة وإنما يتجاوز إلى تكـــرار العبـــارة والجملة بل عدة جمل،كما هو موضح في الدراسة التحليلية للسورة.

4-إعادته بمعناه: نحو جاءني زيد أبو عبد الله، إذا كان أبو عبد الله كنية لزيد[2]والترادف هـــو نوع من أنواع التكرار،لأن المعنى يتكرر دون تكرر لفظي وهنا تظهر أهميـــة التكـــرار اللفظـــي والمعنوي في الدراسات المختلفة (البلاغة، التفسير، النحو) والذي صنف لغويا من قبيل التوكيـــد اللفظي.

5- العطف بالفاء: ويكون بعطف جملة ذات ضمير على جملة خالية منه أو بالعكس نحو:(**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة)** الحج/63.[3] فحرف الفاء هنا ربـــط بـــين أكثر من جملة عن طريق العطف الذي يعد من التوابع والتي لها دور فعال في تحقيـــق التماســـك النصي، ووظيفتها مزدوجة لأنها ذات وظيفة شكلية ودلالية، فقد قامت بالربط بـــين الجملـــتين، وكذلك ربطت بين السبب والنتيجة من الناحية الدلالية.

6- العطف بالواو: ..نحو: زيد قامت هند وأكرمها...بناء على أن الـــواو للجمع،فالجملتـــان كالجملة".[4] وبإعادة الترتيب في المثال السابق تكون الجملة: هند قامت وأكرمها زيد فالربط كان بحرف الواو الذي يفيد مطلق الجمع.

و لم تقف دراسة ابن هشام عند هذا الحد بل أبرز المواضع التي يعود الضمير فيهـــا علـــى متأخر لفظا ورتبة[5]، والتي يطلق عليها في لسانيات النص بالمرجعية اللاحقة.

---

[1] مغني اللبيب، ج1، ص107.
[2] المرجع نفسه، ج1، ص107.
[3] نفسه، ج1، ص107.
[4] نفسه،ج1، ص108.
[5] نفسه، ج2، ص 102-104.

فمن خلال استعراضنا لما قدمه ابن هشام حول الروابط في الجملة نقول أنه كان من بين النحاة المهتمين بإبراز مواطن الربط بين عناصر الجملة الواحدة وبين الجمل المتعددة لكن دراسته لم تخرج عن إطار الجملة الوحدة ألا إذا استثنينا أدوات العطف لأن هدفه هي تأسيس القواعد النحوية للغة العربية، خلاف ما نجده لدى المفسرين الذين اهتموا ببيان مواطن الربط على مستوى أكبر من الجملة الواحدة، حتى أنهم بدراستهم بلغوا مستوى السورة الواحدة وحتى السور المختلفة، ومن هؤلاء نجد الرازي في تفسيره الكبير يشير إلى الإحالة القبلية في تعليقه على قوله تعالى:(**ألر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين)** الحجر /01 بقوله"اعلم أن قوله تلك إشارة إلى ما تتضمنه السورة من آيات"[1]

ويشير الفراء (ت 207 هـ) إلى مرجعية الضمير على مستوى النص في تعليقه على قوله تعالى: **(يأتيكم به)** الأنعام/46، قائلا :"يقال عن الهاء التي في "به" كناية عن الهدى"[2] والهدى ذكر في الآية (35) من السورة نفسها في قوله:(**ولو شاء الله لجمعهم على الهدى)** /(25). وهو هنا تعدى تحليله الآية الواحدة إلى ما سبقها بعشر آيات وهذه معبرا بذلك عن المرجعية الداخلية السابقة، وقد أدرك الفراء أيضا المرجعية الخارجية مع اعتماده في معرفتها على مناسبة النزول أو السياق المقامي، فيعلق على قوله تعالى:**(وأقسموا بالله جهد أيمانهم)** الأنعام/109، قائلا: المقسمون الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالآية التي زلت في الشعراء **(إن نشأ نزول عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين)** الشعراء /04.

فسألوا رسول الله أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا، فأنزل الله تبارك وتعالى:(قل للذين آمنوا): (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) الأنعام/ 109[3]

فالمرجعية هنا للكفار، وهي خارجية لأنهم لم يذكروا صراحة، وهي ارتبطت بالسياق المتمثل في مناسبة النزول.

---

[1] الرازي، التفسير الكبير، ج1، م10، ص 155.

[2] الفراء، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين، ط1، الهيئة العامة، 1980، ج1، ص 335.

[3] معاني القرآن، ج1، ص 349، 350.

وقد أكد السيوطي أهمية مناسبة النزول، وعلاقتها بالتماسك النصي بين الآيات فقـــال:"- فهذا هو الأمر الكلي- أي معرفة أسباب النزول المعين على حكم الربط بين جميع أجزاء القـــرآن، فإذا فعلته بين لك وجه النظم مفصل بين كل آية وآية وفي كل سورة وسورة"[1] وأسباب النزول يحمل علاقة المرجعية الخارجية وتعين على فهمها.

ومن المسائل التي تحتاج إلى تخريج حسب المستوى الدلالي ما نجده من اختلاف في مرجعية الضمير، فمثلا في قوله تعالى:(**واستعينوا بالصبر والصلاة، وإنها لكبيرة إلا علـــى الخاشـــعين)** البقرة/ 45، نجد أن الهاء في (إنها) تعود على الصلاة أو الاستعانة، ويجوز أن تكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها[2]

فنحن هنا أمام ثلاثة احتمالات، الأولى عود الضمير على "الصلاة" وهـــي أقـــرب مـــن الاستعانة، والثانية عوده إلى الاستعانة وفي كلتا الحالتين هناك تطابق بين الضمير (الهاء) وبين المحال إليه إفرادا وتثنية[3] فهذه الأمور كل دلالية تعتمد على الاختلاف في فهم الآية، وهذا الفهم يقوم على الدلالة.

إذن كانت تفسيرات المفسرين تقوم على اعتبار النص القرآني كلمة واحدة على الرغم من تفاوت أوقات نزوله واختلافها لذلك تجاوزت تحليلاتهم مستوى الجملة إلى مستوى السورة أو إلى السور المختلفة[4]

وإذا كان هذا حال المفسرين فإن الشراح عملوا كذلك على شرح مختلف القصائد الـــتي اعتبرت نصا واحدا، فكان تحليلهم أقرب إلى التحليل النصي المعاصر ومن بين هؤلاء نجد العكبري

---

[1] السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة الدراسات القرآنية، دار الفكر العربي، (د. ت) ج1، ص 62

[2] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 278.

[3] ينظر محمد خطابي، لسانيات النص، ص 173.

[4] ينظر:

أ/ الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، ط3، د. ت، ص 194/189.

ب/ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيد، بيروت، ج2، 1997، ص 19.

في شرحه ديوان المتنبي حيث أكد على دور الضمير في الربط بين أبيات القصيدة، ومن أمثلة ذلك قول المتنبي: (كامل)

من للسيوف بان تكون سميه　　　في أصله ووفائه

طبع الحديد فكان من أجناسه　　　وعلى المطبوع من آبائه

الضمير في البيت الأول –للسيوف، والضمير في كان– في البيت الثاني– للحديد[1]

وقوله: (متقارب)

فيا لك ليلا على أعكش　　　أحم البلاد خفي الصوى

وردنا الرهيمة في جوزه　　　وباقية أكثر مما مضى

الهاء في (جوزه) ... هي (الأعكش) ... ويجوز أن يكون الضمير في (باقيـــة) (الليـــل) أو (للجوز)[2]

يدل المثالان السابقان على مرجعية الضمير الداخلية، حيث كانت المرجعية في المثال الأول على مستوى البيت الواحد وتجاوزت في المثال الثاني البيت الواحد إلى البيتين المتجاورين.

و لم يقتصر تحليل العكبري على مرجعية الضمير الداخلية فقط بـــل تعـــداه إلى المرجعيـــة الخارجية (السياقية) إذ يقول المتنبي (وافر)

وأنت المرء تمرضه الحشايا　　　لهيمته وتشفيه الحروب

وما بك غير حبك أن تراها　　　وعيثرها لأرجلها جنيب

---

[1] العكبري، شرح ديوان المتنبي المسمى بالتبيان، ضبط وتصحيح وفهرسة، مصطفى السقا، إبراهيمي الأبياري، عيد الحفيظ الشلبي، دار الممعرفة، بيروت د. ت، ج1، ص 08.

[2] شرح ديوان المتنبي، ج1، ص 04.

يعود الضمير في (تراها) إلى الخيل، ولكنه لم يذكرها، إلا أنه قدم ما دل عليها من ذكـــر الحرب والطعان ثم ذكر بعدها ما يدل عليها في ثلاثة أبيات تالية[1]

نستنتج مما سبق ذكره أن القدماء كانت لهم جهود كثيرة في التحليلات لنصوص كاملة، فكانت أقرب إلى التحليلات النصية، لكنها لا تعدو أن تكون إشارات متفرقة،مفتقرة بدلك إلى تكوين نظرية نصية متكاملة.

---

[1] المرجع نفسه، ج1، ص 73.

II الضمائر عند علماء لسانيات النص

تقوم الضمائر مع غيرها من عناصر الإحالة بدور فعال في تماسك النص، لذا أولى علماء النص الضمائر أهمية بالغة في دراساتهم، فهي تقوم على مفهوم الشخوص المشاركة في عملية التلفظ وإذا نظر إليها من زاوية التماسك أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام (SPeach roles) التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم، والمخاطب[1]

وإذا أريد تشكيل المعنى وإبرازه نعتمد في ذلك على وضع الضمائر داخل النص، إذ أن هذه الضمائر من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي، في كونها تحيل إلى عناصر سبق ذكرها في النص (مرجعية سابقة) .وإذا وقعنا في غموض الإحالة، لجأنا إلى السياق الخارجي وذلك لأن سياق المقام في الخطاب يتضمن (سياقا للإحالة) وهو تخيل ينبغي أن يبنى انطلاقا من النص نفسه، بحيث أن الإحالة داخله يجب أن تكون نصية[2]

وقد أكد علماء النص على أن المرجعية علاقة دلالية تربط المثال من اللغة بالبيئة[3] إذا كانت خارجية أما الداخلية فتعرف من خلال تركيب النص.

فالضمائر مع غيرها من الوسائل تكون نسيجا نصيا عاليا لذا إذا ظهرت الضمائر مثل them, they, these فإنها لا تشير إلى أناس أو إلى أشياء فقط، بل ترجع إلى فقرات مذكورة فيما سبق[4]

وقد ذكر هاليداي Halliday ورقية حسن R. Hassen أمثلة كثيرة تبرز دور الضمائر في تحقيق التماسك النصي عن طريق مرجعية الضمير منها:"

الإضمار بعد الذكر Anaphora مثل: thise my book هذا كتابي

الإضمار قبل الذكر CATA Phora مثل:

"wash and coré six cooking Apples, pet them into a firereprof dish"

---

(1) الأزهر الزناد، نسيج النص، ص 117.

(2) HA lliday & l. HAsEm cohosion in English, P 50.

(3) ه P 50.

(4) holliday & l. Hosom cohosion in english, P 305.

نجد أن them في الجملة الثانية تحيل إلى التفاحات الست في الجملة الأولى وهذه المرجعية تقوم بوظيفة تحقيق التماسك النصي بين الجملتين[1]

وتجدر الإشارة إلى إسهام آخر من إسهامات المحدثين في التحليل النصي تتمثل في تأكيدهم على دور السياق في معرفة مرجعية الضمير، خاصة إذا كانت مرجعيته غامضة ، وكذا إذا كانت خارجية، فتعتمد على سياق الحال، لأنه في الغالب، بدون السياق نقف عاجزين أمام تفسير ما يقال"[2]

من هذا وذاك ندرك أهمية الضمائر في الإحالة، وفي الربط بين أجزاء الجملة الواحدة، أو النص ومن ثم أهميتها في التحليل النصي.

فالوحدة الأساسية الكبرى هي النص، بحيث تمثل في لبنة من لبنات كثيرة تساهم مع مثيلاتها في تكوين النص وفهمه وننطلق على أساسها في التحليل حتى نبلغ حدود النص.

سورة الحجر بمنظور لسانيات النص:

لتطبيق الدراسة النصية على السورة يستلزم النظر إليها نظرة كلية شمولية لأن البحث عن الفكرة الرئيسية أو الموضوع العام يعدان من أهم عناصر التحليل النصي، الشيء الذي تفتقد إليه معظم التفاسير القديمة، لأنها تكتفي بالتفسير الحرفي أو المعجمي على مستوى الآية الواحدة –إذا استثنينا بعض التفاسير مثل التفسير الكبير للرازي والتحرير والتنوير لابن عاشور، وفي ظلال القرآن للسيد قطب.

وبعد القراءة والتفكير في دلالات السورة، تبين أن الموضوع الرئيسي لها يتمثل في موضوع العقيدة شأنها شأن السور المكية، وكيف كذب المشركون الرسل وتمادوا في كفرهم فاستحقوا العقاب الذي وعدهم الله به.

وهذه السورة جاءت في الفترة الحرجة التي عاشها الرسول ص مهددة للمشركين المكذبين وتتوعدهم، وتعرض عليهم مصارع المكذبين الغابرين ومصائرهم، وتكشف للرسول صلى الله عليه

---

[1] halliday & R. Hassan cohesion in English, P 23.

[2] halliday & R. Hassan cohesion in English, P 33.35.

وسلم عن علة تكذيبهم وعنادهم، وهي لا تتعلق به ولا بالحق الذي معه، لكنها ترجع إلى العناد الذي لا تجدي معه الآيات البينات، ومن يسلي الرسول صلى الله عليه وسلم ويواسيه، ويوجه إلى الإصرار على الحق الذي معه والصدع به بقوة في مواجهة الشرك وأهله، والصبر بعد ذلك على بطئ الاستجابة ووحشة العزلة وطول الطريق[1].

فالسورة عبارة عن نص أنزله الله تعالى، وتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم، ليبلغه للناس فينذر به الكافرين ويبشر المؤمنين، ليصحح في النهاية قضية العقيدة والعبودية وأن الأمر كله بيد الله تعالى، ومن ثم تتوزع الضمائر في معظمها على هذه المستويات الأربعة:

1-الله تعالى.

2-الرسول صلى الله عليه وسلم.

3-المشركون.

4-المؤمنون.

ومن خلال الاستعانة بالجداول الإحصائية وجدنا أن الضمائر التي تحيل إلى المشركين تغلب على الضمائر التي تحيل إلى الأطراف الأخرى، لأن السورة جاءت ردا على اجتراء المشركين على الرسول(ص) واستهزائهم به وبالقرآن الذي نزل عليه. فكان الخطاب القرآني –عموما- موجها إلى المشركين مهددا لهم بالعذاب الذي سيلاقونه كما لاقته الأمم السابقة، فلم يبق منها سوى آثارها لتشهد على ما اقترفته من معاص وآثام وتكون عبرة للمتأخرين من الأمم.

وبتتبعنا حركة الضمائر التي تعود على المشركين نلاحظ أنها في الآيات الأولى تصور حال الكافرين، إذ لا يجديهم سوى التمني لو أنهم كانوا مسلمين يوم لا تجدي الودادة، في الفعل(يود) الذي يحمل معنى الاستمرارية، لأن الفعل يصدق على المتقدمين وعلى المتأخرين من المشركين، وهو ممزوج بمعنى الاستهزاء لأنه جاء بعد (ربما) التي تفيد الظن الكبير، وكأن حالهم تتأرجح بين واقع كفرهم وبين أمانيهم في كونهم مسلمين، هذه الأمنية المستحيلة التحقق، فكان من بلاغة

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط16، 1990، ج4، ص 2121.

القرآن أن وصفهم باسم الموصول الذي لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسما فإذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة[1] فالكافرون كأنهم ذوات مجهولة لا تعرف هويتها إلا من خلال ارتباطها بفعل الكفر وكأنهما جزءان لا ينفصلان. لذلك فارتباط اسم الموصول بالكافرين ارتباط وثيق ويحيل إليه إحالة بعدية، وبهذا تبرز وظيفة أسماء الوصول في تحقيق التماسك بين المحيل والمحال إليه.

وإذا كان هذا شأن أسماء الموصول فكيف هو دور الضمائر المتصلة والمنفصلة في تحقيق التماسك النصي بين آيات السورة.

إن وظيفة الضمائر الشخصية بنوعيها (المنفصلة والمتصلة) تقوم –عموما- بوظيفة المرجعية السابقة، لأنها تحيل إلى مذكور سابق. وهو ما ينطبق على الضمائر المتصلة بالأفعال المسندة إلى الكافرين في (كفروا، يأكلوا، يتمتعوا، يلههم، يعلمون، قالوا، تأتينا...) فجميع الضمائر المتصلة بالأفعال تحيل إحالة داخلية سابقة إلى الكافرين الوارد ذكرهم في الآية الثانية، فالارتباط إذن وثيق بين الآية الثانية وبين الآيات الموالية لها بما تحمل مرجعية قبلية وبهذا تحقق التماسك الدلالي والشكلي بين الآيات.

واستمرارا في وصف الله تعالى، كفر المشركين وعنادهم وتماديهم في كفرهم واستهزائهم بالرسول أسندت إليهم الأفعال في (ما كانوا، ما يأتيهم، كانوا، يستهزئون، لا يؤمنون) فجميعها تحليل إحالة سابقة إلى الكافرين وتبرز مكابرتهم وتماديهم في الكفر والعصيان. وتعرض للمحاجة الشديدة لمشركي مكة واستهزائهم اللامحدود على الرغم من يقينهم بأنه مرسول من عند الله، وبأن كلامه ذكر متزل من الله تعالى، وهذا الكفر شمل جميع الأمم المتواعدة على طريق واحد من الظلال فلم تفدهم دعوة الرسل عليهم السلام، ولذلك شملهم اسم الكافرين الذي يناسب حالهم، فمرجوع هذه الضمائر واحد ويتمثل في الكافرين(سواء كانوا من المتقدمين أو المتأخرين). إذن

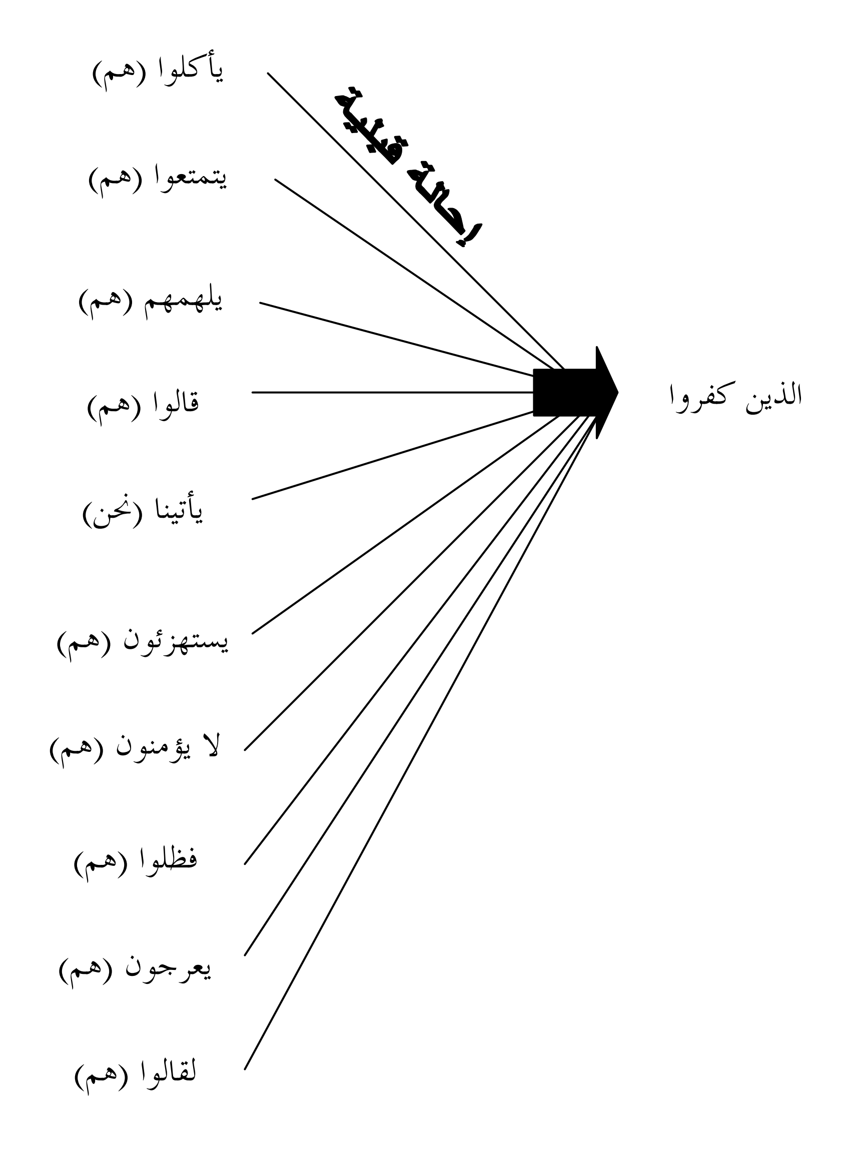
---

[1] ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص138.

فهذه الآيات مرتبطة بالآية الثانية(الآية النواة) وبذلك تحقق التماسك "cohesion " بنوعيه الشكلي والدلالي في اتفاق الضمائر وفي الإسناد والتماسك المعنوي بين الآيات.

ومواصلة لوصف عناد الكافرين بين لهم تعالى أنه لو جعل لهم بابا في السماء يصعدون إليه لادعوا السحر وعدم الرؤية من خلال الأفعال الآتية (فظلوا، يرجعون، لقالوا) فجميع الضمائر المتصلة بالأفعال (ظل، يعرج، قال) تتبين مدى ارتباطها الوثيق بها بحيث تقوم الاسم الظاهر(مرجوعها) الذي تحيل إليه حالة قبلية، فكأنها تواصل إبراز مهاترة المشركين وتقطع الحجة عليهم لأنهم ليسوا بحاجة إلى أدلة عن صدق الرسول بل إنهم يرضون العمر عن رؤية هذه الآيات. فتحقق بهذا التماسك الدلالي فيما بينها وبين الآية الثانية لأنها تحليل إلى مرجوع واحد (الكافرين).

ونمثل لهذه المرجعية بمخطط يوضح ارتباط الضمائر المتصلة بالأفعال المسندة إلى الكافرين بمرجوعها من خلال المرجعية السابقة.



تحيل جميع هذه الضمائر المتصلة إلى مرجوع واحد، ورد ذكره في الآية الثانيـــة. "فهـــي قامـــت بتعويض لفظ المفسر المذكور، وتكون الإحالة بناء للنص على صورته التامة التي كان من المفروض أن يكون عليها"[1].

وبعد ذكر الضمائر التي تحيل إلى الله تعالى لأنه بعد إبراز مهاترة المشركين والصورة الفجة لمكابرتهم ورضاهم بالضلالة عن الهدى، جاء الحديث عن خلق الآيات الكونية لتبين عظمة الخالق وتؤكد على تفرده بالخلق والصنع.

واستهل آياته بالآيات الكونية الفوقية في قوله:(**ولقد جعلنا في السماء بروجـــا وزيناهـــا للناظرين، وحفظناها من كل شيطان رجيم (16)**) فنلاحظ أن الأفعال في هاتين الآيتين مسندة إلى فاعلها وهو الله سبحانه وتعالى، فهو الذي أوجد السماء والكواكب التي تزينها لمن ينظـــر في حسن صنعه وحفظها من أن تبلغها الشياطين وتتجسس على الغيب لـــذا نجـــد أن الضـــمائر في (جعلنا) و (زيناها) و (حفظناها) مرجعها واحد هو الله بجلاله إذ هو الفاعل الوحيـــد والصـــانع القدير.

أما ضمائر الغيبة في الأفعال (زيناها وحفظناها) تحيل إلى السماء والقرينة في الآية **(وجعلنا في السماء بروجا)**؛ أي أن الجعل والتزيين والحفظ خاصة بالسماء ولتفادي التكـــرار عوضـــت بضمير الغيبة (الهاء) المتصلة بالأفعال المذكورة. وبهذا نجد تطابقا بين ضمائر المتكلم ومرجوعهـــا وبين ضمائر الغيبة ومرجوعها كذلك وبـــذلك يتجلـــى التماســـك بـــين الآيـــات المتجـــاورة (14،16،17) وبينها وبين الآية الأولى.

وهذا الخلق الخاص بالدلائل الكونية السماوية لا يقف عند حدودها، بـــل يتجـــاوز إلى الدلائل الأرضية، لأن قدرة الله لا تحدها الحدود،ففي قوله تعالى: **(والأرض مددناها وألقينا فيهـــا رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون (19) وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين (20) وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم (21))**. فمن يخلق السماء ومـــا

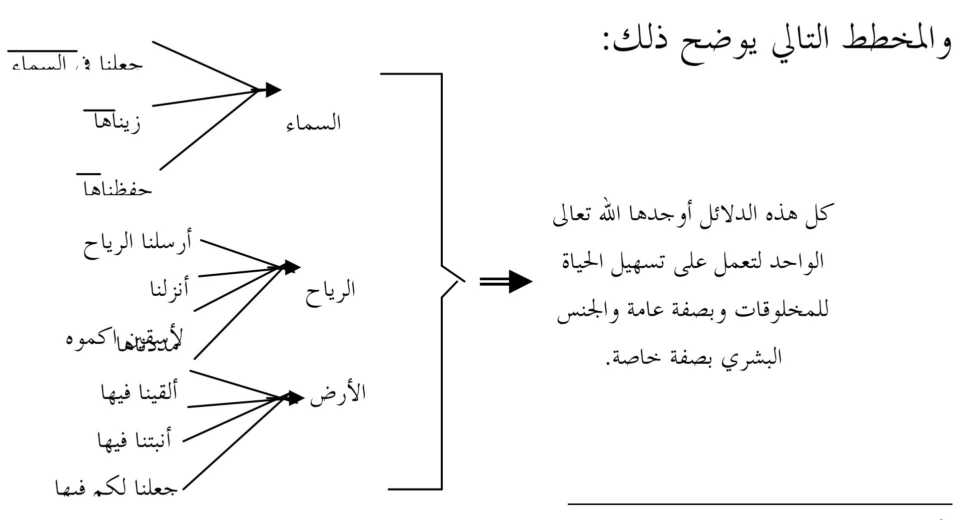
[1] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص119.

فيها لا يعجزه خلق ما دونها فهو الباسط للأرض لتسعى المخلوقات ووزع فيها الجبال الراسية لتكون دلالة للناس على طرق الأرض ونواحيها لأنها كالأعلام فلا تميل الناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال" [1] وأخرج من صلب الأرض النبات وقدره بمقدار مضبوط فجميع الأفعال متصلة بضمائر المتكلم التي تحيل إحالة داخلية سابقة إلى الله (خالقها) وتتصل بضمائر الغيبة التي تحيل إلى الأرض.

ومن خلال المزاوجة بين ضمائر المتكلم وضمائر الغيبة في الأفعال المسندة إلى الله ويتجلى إعجاز القرآن الكريم ومن غيره يجمع بينهما بهذه الصورة اللطيفة لذا في هذه الآيات مرتبطة ارتباطا وثيقا فيما بينها ومتماسكة تماسكا ظاهريا من خلال المطابقة بين الضمائر ومتماسكة تماسكا دلاليا بينها وبين الآيات السابقة (التي تظهر الدلائل الفوقية) لأن الفاعل الواحد فيها هو الله وهو مرجوع مشترك.

واستمرارا في إظهار الدلائل الكونية لعظمة قدرة الله انتقل بالحديث إلى الكتلة الهوائية الواقعة بين السماء والأرض والمتمثلة في الرياح التي تنقل السحب من مكان إلى آخر لتكون سببا في نزول المطر. فالضمائر المتصلة بالأفعال (أرسلنا، فأنزلنا،فأسقيناكموه) جميعها تحيل إحالة سابقة إلى الله تعالى لأنها جميعا مسندة إليه لذا فالتماسك واضح وجلي بين هذه الآيات والآيات السابقة لأنها تظهر هيمنة الله على الكون بأسره، وأن كل سائر بيده تبارك وتعالى يسيره كيفما شاء بميزان وجميعها تؤدي في النهاية إلى تأكيد قضية الألوهية والربوبية وتؤكد على ذلك في تناسق عجيب.

والمخطط التالي يوضح ذلك:



[1] الرازي، التفسير الكبير، ج19،م12، ص175.

فالآيات السابقة تتماسك تماسكا دلاليا مع الآية الأولى وتحيل إليها (إحالة قبلية) وتـــرتبط ارتباطا وثيقا بالآية اللاحقة؛ لأنها تعتبر إجمالا لها ومرجوع هذه الأمور هو الله تعالى في قولـــه: (**وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون)** . فالضمائر هنا ظاهرة (متصلة) كانت أم (منفصـــلة) إلى جانب الضمائر المستترة في (نحيي ونميت)، فجميعها تحيل إحالة سابقة إلى الله تعالى وكأنها اتجهت من الارتباط إلى الانفصال لتبرز عظمة الذات الإلهية التي تملك الحياة والموت؛ أي لا قدرة علـــى الإحياء ولا على الإماتة إلا لله[1].

ويبرز الإعجاز القرآني في المسافة الفاصلة بين الضمير المنفصل (نحن) الأول والضمير الثاني. **(وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون)**.(23).

فهذه المسافة بين نحن الأولى والثانية تمثل المسافة بين الخلق الأول وبين الخلق الثاني (الحيـــاة الأولى والثانية). فعليه الإحياء والإماتة موكول إلى الله تعالى، فهل من مهرب منه إلا إليه.

ولما ذكر الإحياء والإماتة ذكر تعالى كفار قريش بأنه عليم بالأموات الماضين وبالأحيـــاء المتأخرين. للاستدلال على عظيم علمه وأنه بعد موت هؤلاء تأتي حياة ثانية قدرها بعـــد المـــوت يجمعهم جميعا ليستقبلوا الحياة الأبدية. فهاتان الآيتان تتوزع فيها الضمائر المحليـــة إلى الله تعـــالى، فالضمائر المتصلة بالفعل (علم) في (لقد علمنا، ولقد علمنا) تدل على علم الله اللامحدود؛ أي إلى صفة من صفاته المتمثلة في العلم الواسع التي لا تنفصل عن ذات الإله يأتي دور الضمير المنفصـــل (هو) المرتبط بفعل الحشر والذي يحيل إلى الاسم الظاهر قبله (المفسر) (ربك) ليدل كذلك علـــى قدرة الله وحكمته، وهذه الآية مرتبطة ارتباطا وثيقا مع الآية الســـابقة لأن مرجوعهـــا واحـــد. وبمناسبة ذكر الإحياء والإماتة فإن أهم الإحياء هو إيجاد النوع الإنساني؛ ولأنه لابد من الانتهاء إلى أول الناس لاثبات قدرة الله وعلمه ،فهو الخالق والموجد للجنس البشري عن عدم محض"[2] مـــن مادة هي أحقر المواد وتتجلى المزاوجة في خلق جنس آخر يتمثل في الجان منة مادة تناقض مـــادة خلق البشر. فهذا الخلق الثنائي (إنسان،جان) بما يحمل من تضاد بين الجنسين إلا أن خلقه مرجوع

[1] الرازي، التفسير الكبير، ج19، م12، ص181.

[2] المرجع نفسه، ج19، م12، ص182.

إلى الله تعالى. وتتحقق من خلال الضمير المتصل (نا) في الفعل (خلقنا). إذن الضمائر في الآية ما دامت تحيل إلى مرجوع واحد فهي تتماسك مع الآيات السابقة من خلال تطابق الضمائر فيها وكأنها جميعا تنصهر في بنية واحدة أساسها تفرد الله في الخلق والصنع.

ولما كانت الآية السابقة تصديرا لبيان نشأة العدوان بين بني آدم وجند إبليس، فصل الله بذكر قصة أصل الغواية وعصيان إبليس لأوامره، فبإعلامه الملائكة عن خلقه لآدم من صلصال من حمإ مسنون، وطلبه منهم السجود له امتثالا لأوامره فسجدوا جميعا إلا إبليس الذي عصى أوامره. فنجد الضمائر تحيل إلى مرجوعات ثلاثة هي: (الله، آدم، الملائكة). فالضمائر التي تحيل إلى الله نجدها في (إني)، خالق، (أنا)، نفخت(أنا)، روحي (أنا) فهي ضمائر متصلة بالأفعال والأسماء بحيث تدل على مراحل خلق الله لآدم وتدل على معنى الحضور الفعلي والتام لله.

أما الضمائر التي تحيل إلى آدم فنجدها في (سويته، فيه، له) وهي ضمائر الغيبة (غيابا وإما حقيقيا أو معنويا) بينما الضمائر التي تحيل إلى الملائكة نجدها قليلة تحمل دلالة الخضوع الكامل لأوامر الله في (فقعوا، كلهم).

ولما كان من إبليس العصيان استنكر الله عليه ذلك، فكان الخطاب بين الله وإبليس لتوضيح أسباب عصيانه أوامره تعالى فجاءت الضمائر مزاوجة بين ما تحيل إلى الله وبين ما ترجع إلى إبليس، فجاءت الضمائر مستترة في الفعل (قال) وعندما تحيل إلى إبليس وفي جميع الأفعال المسندة إليه مثل (قال 'هو'، لم أكن'أنا'، اخرج'أنت' إنك ، عليك، قال'هو'، أنظرني، فإنك، قال'هو'، أغويتني، لأزينن، لأغوينهم) فجميعها تحيل إلى إبليس إحالة داخلية قبلية إما بضمائر المتكلم أو الخطاب أو الغيبة فهذا التعدد والتنوع في الضمائر دليل على استمرار إبليس في عناده عصيانه وسعيه إلى غواية عباد الله (نقل الغواية إلى الجنس البشري) وهي جبلة جبل عليها.

فالضمائر جميعها تحيل إلى مفسر واحد وهي ذات مدى بعيد، لان المسافة الفاصلة بينها وبين المفسر تعدت الجملة الواحدة إلى الآية (32). مما خلق تماسكا دلاليا وشكليا بين الآيات

فجميع هذه الأقوال مسندة إلى مسند واحد (إبليس) والإسناد كما نعلم علاقة معنوية تدعم التماسك الدلالي.

وبعد ما ادعى إبليس مقدرته على غواية عباد الله جميعا ثم استثنائه منهم المخلصين المتقين، كان الحديث عن هؤلاء وتجلى من خلال الضمائر المحيلة إليهم في (عبادك، منهم، عبادي، عليم، اتبعك). فهي تشترك في مرجوع واحد.

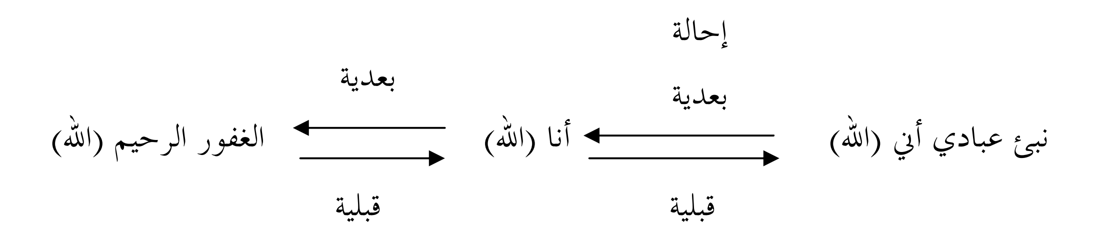
وما دام الكون مخلوقا على أساس ثنائية متناقضة، فهناك الضالون (الغاوون) في مقابل (المتقين)، لذا الضمائر التي تحيل إليهم في:(صدورهم، لا يمسهم، وما هم).

إلى جانب الضمائر التي تحيل إلى الجنة التي وعدوا بها (ادخلوها، فيها، منها) وهي تفيد مع الألفاظ التي تقترن بها الطمأنينة والسكينة.

وبعد الانتهاء من الحديث عن أصل الغواية وعن الغاويين ومصيرهم والمتقين وجزاءهم بدليل قوله تعالى: **(فنبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم، وأن عذابي هو العذاب الأليم)** فمالك الأمر هو الله، لذا فالتوازن الذي يضمن مترلة خلق الإنسان والجان ليس أصل خلقه (تراب/نار) بل مدى القيام بالتكليف المنوط بهما، ولن يتم القيام بذلك التكليف قياما متوازنا دقيقا إلا عن طريق الاقتراب من العلم الرباني[1]. لذا جاء فعل نبئ الذي يحمل معنى الإعلام والإخبار بأن من يملك المغفرة والرحمة هو الله لكن عذابه عذاب شديد، وقد وردت الضمائر المحيلة إلى الله بكثرة فنجدها في (عبادي، أمني، أنا، عذابي، هو) فجميعها تعلن بقوة لصوق صفة الرحمة بالله وهذه الآية تحيل إحالة بعدية إلى الآية الموالية، لأن ضمير المتكلم (ي) في عبادي يحمل دلالة تشريف الله لعباده وتقريبهم منه، وتجلت رحمته من خلال الحرف المشبه بالفعل المتصل بضمير المتكلم (إني) ويؤكد على ذات الله الرحيمة من خلال الضمير المنفصل (أنا) فجميعها تحيل إعادة بعدية، حيث أن كل ضمير بقدم للضمير الذي يليه.

---

[1] ينظر عبد القادر دامخي، دلالة الميزان في سورة الرحمان دراسة تحليلية فنية المجلة العربية للعلوم الإسلامية، عدد 76، الكويت، 2001، ص 20.



فالضمير المتصل بـــ (عبادي) يحيل إلى عبادة الله المخلصين الوارد ذكرهم في الآيـــة(ص) فالإحالة ذات مدى بعيد إلا أنه رغم الفاصل بين هاتين الآيتين نلمس تماسكا دليلا بينها، بينمـــا الضمير المتصل بـــ (أن) يحيل إحالة قبلية ذات مدى بعيد إلى الآيات السابقة **(إنا لـــنحن نحيـــي ونميت ونحن الوارثون)**، وإحالة قبلية ذات مدى قريب مع الآية **(إلا عبادك منهم المخلصـــين)**، فرب الجميع واحد فذلك التشابك يحمل دلالة اتحاد ذات الله بصفاته وتشريفه لعباده المخلصـــين والرحمة ليست صفة شاملة لجميع العباد بل هي مقتصرة على فئة (العباد المخلصين) فما ســـواهم يلحقهم عذاب الله في قوله: **(وأن عذابي هو العذاب الأليم)** فنجد أن ضمير الياء المتصل بالعذاب يعود إلى الله تعالى بينما الضمير المنفصل(هو) يحيل إحالة بعدية (إلى العذاب الأليم)، فضمير الغيبة يحمل دلالة التجهيل (الغياب المعنوي) للاستدلال على انفصال ذات الله عن العذاب لأنـــه يقـــدم الرحمة على العذاب.

من خلال الآية الكريمة نلمس الوظيفة التي تؤديها الضمائر وما تحمل من معـــان ودلالات في سياقاتها المختلفة وكذا تحقق التماسك الدلالي والشكلي في الآية الواحدة وبين الآيات المتباعدة لتصبح بناء واحدا.

ويأتي العطف مع اتحاد الفعل المعطوف بالفعل المعطوف عليه في الصيغة دليـــل علـــى أن المقصود بالأنباء بكلا الأمرين لمناسبة ذكر القصة أنها من مظاهر رحمته وعذابه والضمير في الفعـــل (نبئهم) راجع إلى قوله: (عبادي) والتقدير فنبىء عبادي عن ضيف إبراهيم[1] وكما هو معلوم أن الضمائر تجنب مستعملها إعادة وتكرار العناصر الإشارية نجدها موزعة في الآيات الموالية توزيعـــا منتظما حيث تحيل إلى المرجعين المذكورين (ضيف وإبراهيم) وبتعددها وتنوعها تنوع الخطـــاب

---

[1] الرازي، التفسير الكبير، ص200.

بين مخاطب وغائب وبين ظاهر ومضمر، فمرة يكون ضيفه في موقف المتكلم وإبراهيم المخاطب، ومرة أخرى تتغير الأدوار، فهذا التنوع أضفى على الحوار ديناميكية إلى جانب التماسك بين الآية وآيات سابقة فمثلا ترتبط مع الآية **(ما نترل الملائكة إلا بالحق)** فضيفه جاءوه بالحق والبشـــرى وكذلك تلتقي مع الآية **(ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين)**، فهذا دليل على بعث الله الرسل قبل محمد ومن بينهم إبراهيم-عليه السلام- وبهذا يتجلى التماسك الدلالي بين الآيات المتباعـــدة شكلا والمتقاربة دلالة.

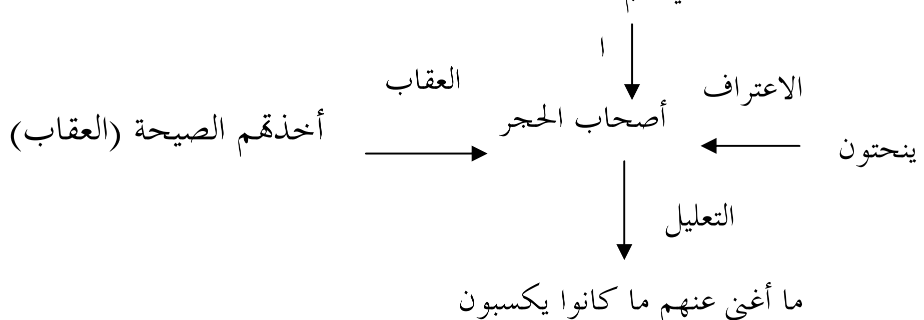
وتنظم ضمائر أخرى إلى مجموع الضمائر العائد إلى إبراهيم وضيفه إذ نجد الضمائر الـــتي تحيل إلى آل لوط أو زوجته. وبتغير المكان والزمان توضحت الأمور وأصبح الجواب بـــين لـــوط والملائكة فنجد الضمائر متمثلة في الضمائر المحيلة إلى لوط في (قال(هو) جئناك وأتينـــاك، فاســـر أنت)، واتبع(أنت) فإعلامه بطبيعة الرسالة وكذا توجيه الأمر إليه، فهذا التنوع أدى دلالته إذ نجد ائتلافا بين الضمائر من الناحية الشكلية (السطحية) بينما من الناحية الدلالية نجد حقا تآلفا مع الآية (8) والآية (55)، وكأنها شبكة من الدلالات متصلة بعضها ببعض فيتحقق من خلالها التماسك الشكلي والدلالي بين الآية والآيات السابقة.

وينتقل الحديث إلى قوم لوط الذين تسيرهم الأهواء والغرائز وتدفعهم إلى فعل الفاحشـــة بمجرد سماعهم وصول أناس غرباء فأقبلوا على دار لوط يستبشرون، فكانت الضـــمائر تحيـــل إلى طرفي الحوار(لوط وقومه) فالضمائر التي تعود إلى المرجعية القبلية إلى لوط هي: (قـــال (هـــو) ، ضيفي، لا تفضحون، ولا تخزون، قال(هو) وقد تنوعت بين ضمائر مستترة للغيبة وضمائر محذوفة، لكن السياق اللفظي دل عليها بينما الضمائر التي تحيل إلى قوم لوط نجدها متصلة بفعل واحد وهو (أو لم تنهك) وكأن لهم السلطة عليه. إنها مواجهة بين الإيمان والكفر، فقد أباحوا لأنفسهم حـــق التحليل والتحريم فأخذهم الظنون حتى صورهم الله حالهم بقوله: **(لعمرك إنهم لفـــي ســـكرتهم يعمهون)** فالضمائر تضافرت في آية واحدة لتحيل إلى مرجوع واحد ألا وهو الكفار من قوم لوط الذين غلبت عليهم دواعي الهوى على دواعي الرشاد فأضلتهم وهذه الآية الكريمة ترتبط ارتباطـــا وثيقا مع الآية (15) في قوله: **(إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)** فالســـكرة الأولى

تخص العقول والألباب والثانية تخص الأبصار وهنا يتجلى التماسك الشكلي والدلالي بين الآيـــتين المتباعدتين شكلا المتقاربتين دلالة.

فكان جزاؤهم أن عوقبوا بالصيحة مع شروق الشمس ،وكأن الشمس حملت مع فروعها فجرا جديدا يفصل بين الظلام الذي كان يخيم عليهم جراء أعمالهم السيئة، والنور الذي ســيحل على قراهم بعد هلاكهم، فأمطر عليهم حجارة من سجيل حتى تمحو آثارهم وتطمسها حتى لا تبقي أحدا عليها، وضمير عليهم عائد إلى ما عادت عليه ضمائر الجمع قبله[1]

ولما كان الحديث عن المشركين ومصيرهم جاء ذكر أصحاب الأيكة من قوم شعيب – عليه السلام– الذين كذبوا الرسل فاستحقوا بذلك العذاب في قوله: **(فانتقمنا منهم)** والضمير في (منهم) يعود على أصحاب الأيكة أو عليهم وقوم لوط، وجمعت قصة أًصحاب الحجر مع القصتين السابقتين (قوم لوط، أصحاب الأيكة) وذلك لتماثل حال العذاب الذي سلط عليها وهو عـــذاب الصيحة والرجفة والصاعقة[2]فكانوا أن كذبوا رسول الله إليهم (صالح) وأعرضوا عن آيـــات الله التي جاءهم بها (الناقة) فكان اهتمامهم منصبا على تحصين بيوتهم الحجرية وتحسينها ضانين أنهـــا مانعتهم من عذاب الله. وعملت الضمائر المتصلة على إبراز حالهم باتصالها بالأفعال التامة والناقصة فجميعها تحيل إحالة قبلية إلى أصحاب الحجر ونجد أن عددها بلغ الثمانية دليلا على اتجاه الخطاب نحو هؤلاء لأن غضب الله لحق بهم بما كذبوا رسل الله إليهم، ونمثل هذه الصورة بالمخطط التالي:



---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص69.

[2] التحرير والتنوير، ص72.

من خلال المخطط يبرز التماسك بمعناه العام، لأننا نلاحظ أن جميع هذه الضمائر ترجع إلى أصحاب الحجر بالتبليغ أو بالفعل (الدنيوي) أو العقاب أو التعليل فجميعها تحيل إحالة داخلية سابقة إلى أصحاب الحجر وتبرز مصيرهم، فهذه الآيات المتضمنة لقصة أصحاب الحجر تتآلف وتتماسك مع آيات القصص الأخرى.

وذيل تعالى الحديث عن قصص المشركين بآية بديعة مفادها أن ما أصابهم من عقاب قد استحقوه فهو من عدل الله بالجزاء على الأعمال بما يناسبها في قوله : **(وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية، فاصفح الصفح الجميل)** وكأن الله أعرض عنهم بذكره أنه الخالق لجميع أعمال العباد[1] وإذا تأملنا الآية وجدناها تتقاطع مع الآيتين (14) و (15) من ذكر الآيات الكونية والبعث، والفاصل بين هذه الآيات كأنه الفاصل بين بداية الخلق (الكون) والله لعباده وفي هذا خلق بديع تحقق من خلاله التماسك بنوعيه بين الآيات المتباعدة.

وحركة الضمائر نجدها اتجهت إلى المرجعية الشاملة والأساسية المتمثلة في الله تعالى أنه بعد انتهائه من الحديث عن أخبار المشركين وجزائهم توجه إلى رسوله لمواساته وتسليته وأنه فضله على الخلق أجمعين بما أنعم عليه في قوله: **(ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم...)** فالخطاب موجه برمته إلى رسول الله (ص) لذا فالصورة مكثفة جدا وتصب جميعها في بنية واحدة.

2-ضمائر الموصول: شأنها شأن الضمائر الأخرى لا تفيد معنى بمفردها وإنما تحتاج لغيرها من الاسم أو الفعل أو الجملة، فهي ذات افتقار إلى الضمائر: ومن هنا لا يكتمل معناها إلا بها[2]

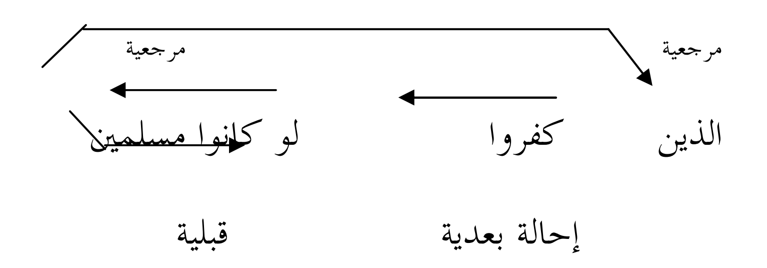
فالعلاقة التي تربطها بهذه الضمائر هي علاقة معنوية تتمثل في الإحالة وأول ضمير فصل نجده في قوله تعالى: **(ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين)** فضمير الموصول(الذين) يعود بالإحالة البعدية إلى القوم الذين كفروا بالله ورسوله وسعوا خلف ملذاتهم الدنيوية. إنه من خلال ضمير الموصول نجده لا يحيل إلى الجملة الفعلية (كفروا) فحسب بل يحيل إلى ما بعدها من آيات

---

[1] التفسير الكبير، ص210.

[2] مصطفى النحاس، دراسات في الأدوات النحوية، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1979، ص 27.

أخرى، لأنها مواصلة لكفرهم واستهزائهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وإعراضهم عن آيات الله الساطعة واتباعهم خطوات الشيطان الذي أضلهم عن ذكر الله (قصة إبليس) فكانوا مثل الأقوام السابقين الذين استحقوا الاستئصال الكلي إما بالموت أو بالصيحة، فهي تحقق التماسك الداخلي بينها وبين الآيات المختلفة في السورة القريبة منها والبعيدة، فالملاحظ إذن أن هذه الآية تعد النواة للنص، وذلك باتصالها بجميع آيات السورة، فسيلحق فضاعة اجتراء الكفار على الرسول فاستحقوا من خلاله العقاب الذي لحق بهم، وسيلحق.



وفي آية أخرى تفصلها عن الآية (2) ثلاث آيات في قوله تعالى:(**يا أيها الذين نزل عليه الذكر إنك لمجنون**) فضمير (الذي) يحيل إحالة بعدية إلى الرسول (ص) وقد ساعدنا على فهم ذلك الرجوع إلى السياق المحيط بالنص القرآني "الذي يحكي سوء أدبهم مع الرسول (ص) وقد جاءهم بالقرآن والكتاب المبين، يوقظهم من الأمل الملهي ويذكرهم بسنة الله فإذا هم يسخرون منه ويتوقحون"[1] فالرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم وهؤلاء المكذبين والكفار هم كفار قريش الذين تمادوا في استهزائهم وكفرهم واختيار الموصولية لما في الصلة من المعنى الذي جعلوه سبب التهكم وقرينة التهكم قولهم:(**إنك لمجنون**) [2]

فاستعمال ضمير الموصول يفيد تجاهل كفار مكة للرسول واستهزائهم به وبالقرآن الذي أنزل عليه لذا فدور الضمائر بأنواعها هام جدا في تحقيق التماسك بين آيات السورة.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2127.

[2] التحرير والتنوير، ج13، ص16.

التوابـــــع:

I/أهمية التوابع عند القدماء:

إن البحث عن المعنى الدلالي للجملة هو الغاية المنشودة للباحثين في الدراســـات اللغويـــة والأدبية والنقدية ولو اختلفت مناهجهم ووسائلهم ولا يتأتى الوصول إلى المعـــنى الـــدلالي دون الاستعانة باللفظ لتحقيق تلك الغاية .

فالملاحظ أن العلاقة بين المفردات في الجمل العربية تقوم على أساس الاتصـــال التـــركيي الدلالي، بينما الأصل في الجمل الانفصال والاستقلال [1] ، فكان لا بد من أداة تربط بين الجملتين لتصير جملة واحدة تؤدي معنى دلاليا واحدا وعن هذا المفهوم يقول ابن جـــني(ت392هـــــ) في حال الوصل أعلى رتبة من حال الوقف، وذلك أن الكلام إنما وضع للفائدة والفائدة لا تجني مـــن الكلمة الواحدة وإنما تنجر من الجمل ومدارج القول، فلذلك كانت حال الوصل عندهم أشـــرف وأقوم وأعدل من حال الوقف[2]. لهذا تلجأ اللغة إلى قرائن لفضية حددها لتكون معالم واضـــحة تعين على إبراز العلاقات السياقية النحوية بين المعاني الجزئية داخل الجملة، أو بين معاني الجمل[3] وتتمثل هذه القرائن اللفظية في أدوات الربط أو الضمائر البارزة التي تعد مـــن وســـائل تحقيـــق التماسك النصي، بينما تنشأ علاقة معنوية بين المفردات في الجملة لا تحتاج إلى واسطة لفظية، لأنها علاقة تشبه علاقة الشيء بنفسه، أو تشبه علاقة صدر الكلمة الواحدة بعجزها[4] .

وتعد قرينة الإسناد بؤرة الجملة ونواها، وتكون توسعة الجملة البسيطة بإنشـــاء علاقـــات ارتباط أخرى واصطناع علاقات ربط، وذلك خاضع لسياق المقام والغرض المتكلم مـــن نظـــم الجملة.

---

(1) مصطفى حمودة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص157.

(2) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط3، مصر 1986، ج1} ص 120.

(3) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص157.

(4) المرجع نفسه، ص 161.

وما يهمنا بالبحث هي الوسائل التي تحقق التماسك النصي بين عناصر الجملة الواحدة وبين الجمل المتعددة والعناصر التي من خلالها يتم الالتئام والتلاحم بينها حتى أنها تعد كالكلمة الواحدة، وهذا ما يندرج ضمن باب التوابع في كتب النحو، إذ التابع يتبع متبوعه في كثير من الأمور (التعريف والتنكير، التذكير والتأنيث، الإعراب....الخ) لذلك سميت بالتوابع ، يقول عنها سيبويه:" هي الأسماء التي لا يسميها الإعراب إلا على سبيل التبع لغيرها وهي خمسة أضرب، تأكيد وصفة وبدل وعطف وبيان وعطف بحرف"[1] ويقول شارح المفصل :"التوابع هي الثواني المساوية للأول بمشاركتها له في العوامل ومعنى قولنا ثوان أي فروع في استحقاق الإعراب لأنها لم تكن المقصود وإنما هي من لوازم الأول كالتتمة له"[2].

فتم التأكيد بهذين القولين على الارتباط الوثيق بين التابع والمتبوع فصارا كالكلمة الواحدة، غير أن إشارات النحاة القدامى بخصوص التوابع اقتصرت في الغالب على ذكر التابع ومعناه الاصطلاحي، وأدوات كل تابع وذكر شروط عمل بعض التوابع...الخ: ومع ذلك وجدت إشارات خفيفة توضح وظيفة التوابع في الربط بين التابع والمتبوع.

ومن أبرز الأبواب التي تسهم في إبراز الفكر العربي المتعلق بالتماسك من خلال التوابع باب الفصل والوصل، من خلال تبيان حالات الاتصال أو الانقطاع بين الكلمات أو الجمل وهو باب وجه إليه اللغويون والبلاغيون والمفسرون الاهتمام، فهذا الجاحظ (ت 255هـ) يورد تعريفا بخصوص هذا الباب فيقول:"قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال معرفة الفصل والوصل"[3].

وسار على نهجه كل من الجرجاني والسكاكي الذين يعتبران الفصل والوصل أصعب وأدق مبحث في البلاغة ، إذ يقول الجرجاني:"واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول أنه فيه خفي غامض، ودقيق صعب، إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب"[4]، ويعرفه السكاكي بقوله:"...ترك العاطف وذكره على هذه الجهات، وكذا طي الجمل عند البين ولاطيها

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 35.
[2] ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص38.
[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص111.
[4] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص187.

وإنما لحنك البلاغة ومنتقد البصيرة ومضمار النظار ومتفاضل الأنظار ومعيار قدر الفهم ومسبار غور الخاطر"[1]، وأهمية باب الفصل والوصل تكمن في إبراز حالات وجوب إيراد العطف بين العناصر المكونة للجملة أو بين الجمل وحالات عدم وجوب إيراده (كامتناع ذكر الواو بين الوصف والموصوف، أو بين التأكيد والمؤكد، أو امتناع عطف جملة على الأخرى لا محل لها من الإعراب...الخ)[2]. وقد عرض القدماء العطف على ثلاثة محاور:

1-كمال الاتصال: متى نزلت الجملة من الأولى مترلة نفسها(لا يجوز العطف فيه)

2-كمال الانقطاع: متى لم يكن بينها وبين الأولى جهة جامعة (لا يجوز العطف فيه)

3-التوسط بينهما: متى وجدت جهة جامعة تجيز العطف.[3]

فالحالة الأولى متى نزلت الأولى مترلة نفسها، أي بمترلة الصفة من الموصوف والتأكيد من المؤكد، فلا يدخلها عطف لشدة الامتزاج[4]مثال ذلك قولك :"جاءني زيد الظريف: وجاءني القوم كلهم، فإن الظريف وكلهم غير زيد وغير القوم، فالأول صفة ليزيد والثاني تأكيد للقوم، لذا لم يحتاجا إلى رابط يربط بينهما[5] .

أما في الحالة الثانية متى لم تكن بينها وبين الأولى جهة جامعة، أي ما يغاير ما قبلها وليس بينهما ارتباط بوجه، فلا عطف أيضا، إذ شرط العطف المشاكلة وهو مفقود وذلك قوله تعالى: **(إن الذين كفروا سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)** البقرة/05،06. بعد قوله تعالى: **(وأولئك هم المفلحون)** [6] . وقد ربط النحاة والبلاغيون غياب الرابط بافتراض ذهني تقتضيه عملية التواصل وجدليته وجرى عندهم تحليل الانقطاع، بين العمل في مواطن الاستئناف البياني.

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 119.

[2] ينظر أ-الإيضاح في علوم البلاغة القزويني، ج1، ص147 وما بعدها.

ب-الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، ص43.

ج-وليد قصاب ، البلاغة العربية، دار القلم، دبي، الإمارات،ط1، 1419هـ، 1998م، ص164 وما بعدها.

[3] ينظر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 176، 185،180.

[4] الزركشي، البرهان، ج4، ص104.

[5] ينظر المرجع نفسه، ص 106.

[6] المرجع نفسه، ج4، ص105.

الحالة الثالثة أن تكون جهة جامعة تجيز العطف، وقد ذكر الجرجاني شروط عطف جملة على أخرى متمثلة في:

1-أن يكون حكمها حكم المفرد .

2-أن يكون للأولى محل من الإعراب.

3-أن تنتقل الواو إلى الثانية حكما وجب للأولى.

فهو ينطلق من عطف المفرد على المفرد ليصل إلى عطف جملة على جملة بينما إذا تم العطف بين جملتين لا محل للمعطوف عليها من الإعراب، كان المبرر وجود حكم مشترك بينهما والحكم في هذه الحالة منعدم[1] .

والبحث عن العلة يكمن فيما يسمى(معنى الجمع)[*]

فشرط العطف وجود علاقة مشتركة بين المعطوف والمعطوف عليه، لذا يستخدم عبد القاهر الجرجاني يستخدم مصطلحات الاشتراك والتضام التعالق والمشاكلة والمناسبة، وهي جميعها تقارب مصطلح التماسك.

وما يمكن قوله إن العطف وسيلة لفظية معينة على إبراز علاقات النحوية السياقية ويضاف إلى هذا أن الربط يحتل المكان الأوسط بين علاقتين على طرفي نقيض هما: الارتباط والانفصال، وهو بهذا يؤدي وظيفته التركيبية المهمة في بناء الجملة والنص[2] وأدواته علاقات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك الجمل وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص [3].

والمخطط الآتي يلخص حالات الانقطاع والانفصال والتوسط بينهما:

---

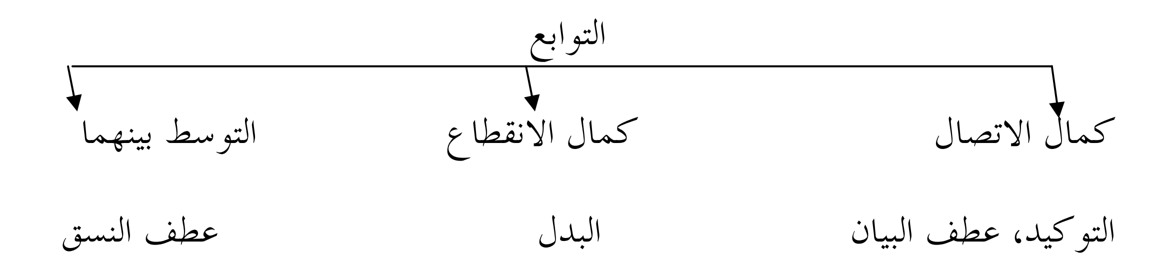
[1] ينظر . أ-دلائل الإعجاز، ص175، 176.

ب-الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، ص147.

[*] معنى الجمع هو المبرر المعنوي الجامع بين المعطوفين عندما تنعدم الجهة الجامعة بينهما، وجا الجرجاني بمثال: "زيد قائم وعمرو قاعد" ومبرر العطف هو "إما أن زيد كائن بسبب من عمرو، وإما أن زيد وعمرو كالنظيرين والشريكين بحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني"ص 176.

[2] نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص158.

[3] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص37.



الصفة

ونظرا لأهمية حروف العطف(حروف النسق) في الربط بين المفردات والجمل قسمها ابـــن الناظم إلى ضربين:

1-ما يعطف مطلقا، أي يشرك في الإعراب والمعنى وهو (الواو، ثم، الفاء، حتى، أم، أو)

2-ما يعطف لفظا فحسب، أي يشترك في الإعراب فقط وهو(بل، لا، لكن)[1] .

فالنوع الأول يقوم على التماسك الدلالي والشكلي بينما النوع الثاني يقوم على الاشتراك الشكلي فقط (الإعراب)، لأنها غير عاطفة دلاليا، مثل تفيد الإضراب، و "لا" تفيد النفي و"لكن" تفيد الاستدراك.

وما يمكن قوله إن علماءنا القدامى كانت لهم مساهمات بارزة بخصوص أبـــواب نحويـــة بلاغية كالفصل والوصل التي اعتبرت جذورا معرفية تصلح أن تكون محل اهتمام اللسانيين النصيين ليستقوا منها ما يعنيهم في التحليلات النصية المعاصرة.

II- أهمية التوابع عند النصيين:

لقد صنف النصيون ومنهم هاليداي HALLIDAY ورقية حسن HASSEN Rوســائل التماسك النصي إلى خمس وسائل وهي: (الإحالة، الاســتبدال، الوصــل(العطــف، التماســك المعجمي)[2] .

---

[1] ابن الناظم، شرح الألفية، ص519،520.

[2] HAlliday et Hasson, cohésion in Enlish, P 48, P13, P 29.

فالعطف مثلا له دور هام في تحقيق هذا التماسك، ويعتمد في وظيفته على أدوات ولكل أداة معنى خاص يؤديه في السياق. وتوضيحا لذلك نعرض الأمثلة الآتية:

جاءني زيد وعمرو

جاءني زيد فعمرو

جاءني زيد ثم عمرو

فالأول تفيد مجيء زيد وعمر معل في آن واحد والثاني، مجيء زيد وبعده مباشرة جاء عمرو، والثالث مجيء زيد وبعد فترة جاء عمرو.

فوظيفة أدوات الربط هنا تكمن في الربط بين المعطوفين من ناحية، وكذلك الاختزال والاختصار، فعوض أن نقول : جاءني زيد وجاءني عمرو نقول: جاءني زيد وعمرو. لأن فعل المجيء مشترك بينهما وما عدا هذه الأدوات الثلاث فلها دلالات مختلفة بحسب السياق الذي ترد فيه[1].

إذن تقوم الواو بالربط بين الجملتين، فتفيد مجرد الترتيب في الذكر بينما الحروف الأخرى تقوم بوظيفة الجمع إلى جانب كونها تظهر العلاقة المنطقية بين العنصرين المربوطين (المعطوفين) وبها تتماسك الجمل وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص[2].

وأكد النصيون على أهمية وظيفة الربط بين الجمل، فهذا كريستال يذكر أن الجمل المركبة " تتكون من عبارة أساسية بسيطة وعبارة أو عبارات أخرى بسيطة تعتمد على العبارة الأولى، ويربط بين هذه العبارات كل أدوات العطف"[3] .

---

(1) ينظر حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية ص158، 159.

(2) الأزهر الزناد، نسيج النص، 37.

(3) D.CRISTAL ET D. DVOG.ivestigting English stih , alangmkan poper lak london ,p47.

ونظرا إلى أن حروف العطف تكتسب معانيها من السياق الذي ترد فيه فكانت العلاقة التي تربط بين المعطوفين هي الجهة الجامعة التي أباحت العطف بينهما، ومراعاة لهذا الأساس قسم النصيون العطف إلى فروع وأقسام وهي:

1-الربط بالعطف الإضافي (additive) بواسطة الأداتين "و"، و"أو" وتندرج ضمن المقولة العامة للعطف الإضافي علاقات أخرى مثل: التماثل الدلالي المتحقق في الربط الجمل بواسطة تعبير من نوع: بالمثل، وعلاقة الشرح وتتم بتعابير بين مثل:

أعني بتعبير آخر وعلاقة التمثيل المتجسدة في تعابير مثل: مثلا، نحو...[1] إلى جانب مصطلحات

أخرى مثل:"بالإضافة إلى ذلك، كذلك، إضافة..."[2]

2-الربط العكسي (ADDERSATIVE) الذي يتم بواسطة أدوات مثل: (BUT ,yet) وأهم أداة تعبر عن ذلك حسب الباحثين (هاليداي ورقية حسن) هي: yet[3] وما يقابلها في العربية حسب اعتقادنا هي: لكن إضافة إلى أدوات أخرى ذكرها بول و بروان في كتابهما: "تحليل الخطاب" متمثلة في: مثل، إلا أن، من جهة أخرى، ومع ذلك..[4]

3-أما العطف الثالث هو العطف السببي(**) ويعبر عنه بعناصر مثل(then, so. this therfore)

وتندرج ضمنه علاقات خاصة مثل:النتيجة والسبب والشروط وما يقابلها في العربية أداة التفسير "أي"[5].

4-ويجسد العطف الزمني temporal مبينا علاقة بين جملتين متتابعتين زمنيا وأهم عنصر من عناصره هو:[6] then إضافة إلى : ثم، بعد ذلك، بعد ساعة، أخيرا، في آخر المطاف[7].

---

[1] ينظر محمد خطابي، لسانيات النص ص23.

[2] براونة ويول، تحليل الخطاب، ص228.

[3] hallday 2 hassan, cohesion in inglish, p29.

[4] بوان وبول، تحليل الخطاب، ص29.

[5] ينظر محمد خطابي، لسانيات النص، ص 23ة24.

[6] hallidang hassan, cohsion in english, p 29, 30.

والشيء الملاحظ أن أدوات العطف لا تقف هنا عند حدود الحـــروف بـــل تتعـــداها إلى الكلمات والعبارات، وتكمن وظيفتها في الربط بين ما سبق ذكره بما يلحق ذكره في النص، وهي وظيفة نصية ضرورية لتحقيق التماسك النصي لكننا إذا قابلناها بما يوافقها في العربيـــة فإننـــا لا نستطيع أن نعدها من أدوات العطف[*] . لكن يمكنا إدراجها تحت عنوان (أنماط أخرى للعطف). لأنه لو عدت هذه العبارات من أدوات الربط بين العاطفة لاحتجنا إلى تصـــنيف جديـــد لبـــاب العطف في النحو العربي.

وإذا ما أردنا معرفة رأي المحدثين العرب بخصوص العطف فهذا الزناد يقول:" بعد النظر في وجوه الربط بالأداة بين الجمل في النص نتبين أن حضور أداة الربط مشروط بخلاف بين الجملتين أو المقطعين المتصلين أو المتباعدين[1] .فالجهة الجامعة هي أساس التماسك بين العناصر المختلفـــة. وهي ما عبر عنها بالتوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع. وقد لخصها الزناد في قوله: كل جملتين متتاليتين في النص، ثانيتها تخالف الأولى، ترتبط بأداة ربط.

نص:(ج1،ج2) ⟵ ج1 بغير أداة ج2.

شرط ج2 خلاف ج1.

وكل جملتين متتاليتين في النص ثانيهما بيان للأولى، ترتبطان ارتباطا مباشرا بغير أداة

نص: [ج1، ج2] ⟵ ج1 بغير أداة ج2.

شرط ج2 بيان لـــ ج1[2]

وبعد حديثنا عن دور العطف في تحقيق التماسك النصي لا ننسى ما للتوابع الأخرى مـــن دور هام في تحقيق هذا التماسك، لكن النصيين اهتموا بالإبدال (الاستدلال) وعدوه من وســـائل التماسك بينما لم يعدوا النعت من وسائله.

---

[7] تحليل الخطاب، ص 29.

[*] لأن شغل النحو يبين الأوائل هو ظاهرة الإعراب والعامل.

[1] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص56.

[2] المرجع نفسه، ص 57.

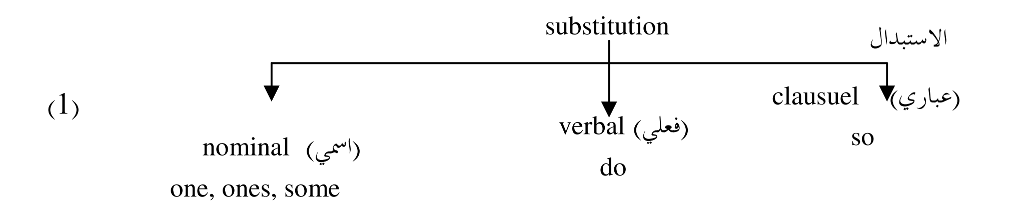
وبخصوص الإبدال فإن علماء النص أفاضوا في الحديث عن أقسام البدل، والمتمثلة في:

-الإبدال الاسمي ويتم: some, ones, one

-الإبدال الفعلي ويتم ب:.do

-الإبدال القولي: (العباري) ويتم بـــ: .not, so

ونمثل هذه الأقسام بالمخطط التالي:



(1)

وترجع أهمية الإبدال (الاستبدال) في تحقيق التماسك إلى ملاحظة "العلاقة بـــين العنصـــر المستبدل والمستبدل منه، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وعنصر لاحق فيه، ومـــن ثم يمكن الحديث عن الاستمرارية (أي وجود العنصر المستبدل) بشكل ما في الجملة اللاحقـــة[2] ".

ومثال ذلك في القرآن قوله تعالى: **(يا أيها المزمل، قم الليل إلا قليلا، نصفه أو انقص منه قليلا)** المزمل/3،2.

فالعلاقة مستمرة بين المبدل منه والبدل التي تكونت من خلال ذكر الضمير العائـــد علـــى المبدل منه، ومن خلال الدلالة أيضا.

---

[1] ينظر أ- lliday et hassan , cohesion english,p 89

ب- دوبوجراند، النص والخطاب، والاجراء، ص

ج- بروان ويول، تحليل الخطاب، ص 30.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص، ص20.

وعلى الرغم من الاختلاف بين الاستبدال في الإنجليزية والمبدل في العربية إلا أننا أنهما يقومان بدور كبير في تحقيق التماسك النصي، غير أن البدل في العربية مقتصر على مستوى الجملة الواحدة في الغالب.

وبعد هذا العرض لأهم أقوال علمائنا العرب والنصيين لدور التوابع في تحقيق التماسك النصي، نحاول أن تعرف على دورها من خلال السورة الكريمة.

بالإضافة إلى العطف هناك النعت الذي يربط بين النعت والمنعوت في آية واحدة، فهو بيان معنى في المنعوت وتوضيح للإبهام الموجود فيه، وعلاقة الارتباط بين النعت المفرد و منعوته علاقة وثيقة لذلك لا يجوز الفصل بينهما إلا بجمل الاعتراض وهـي كعلاقة الشيء بنفسه .

و من الآيات التي تشمل علاقة الارتباط بالنعت قوله تعالى:"

(و حفظناها من كل شيطان رجيم) / 17 .

(و الأرض مددناها وألقينا فيها رواسي و أنبتنا فيها من كل شيء موزون)/ 19

(و إن من شيء إلا عندنا خزائنه و ما نتزله إلا بقدر معلوم) /21

(و إن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم) / 25

و مما قيل عن علاقة الارتباط بين النعت و المنعوت أنها تدل على ثبوت المعنى للشيء " " ففي الآية 17 نجد " رجيم " نعت للمنعوت " الشيطان " فدلالة الرجم متصلة وملصوقة بجنس الشياطين بحيث بينت دلالة الرجم على إرادة حفظ الله للذكر في السماوات و للغيب كذلك ، وهذه الصفة كذلك تحيل ضمنيا إلى الآيات اللاحقة التي تذكر قصة أصل الغواية و كيف أخرج الله إبليس من السماوات و من رحمته فلحقت لعنته و أصبح مرجوما .

إذن يعمل النعت على تحقيق التماسك بين عناصر الآيات الواحدة وبين الآيات المتباعدة وكأنها كلمة ذات دلالة محورية والتي تناسلت منها دلالات مختلفة ومتعددة وما قلناه عن علاقة النعت في الآية " 17 " نقوله عن النعوت الأخرى في الآيات " 19 " و"21 " و " 25 " وهي تدور حول ثنائية (الخلق الموزون / القدر المعلوم) فأساس الخلق والإيجاد قائم على أساس الميزان والعدل لتتجلى بذلك حكمة الله الربانية في خلقه، فالنعوت إذن بهذه السورة حققت التماسك في الآيتين و بين الآيات في السورة.

أما النعت في بأية "25" في قوله: **(إنه حكيم عليم)** فصفة العلم الصيغة بصفة الحكمة الواقعة خبر لأن ،وكل من الصفتين تحيلان إلى الله تعالى الحكيم في خلقه العليم

بمخلوقات ، وبهذه العلاقة التكاملية تحقق التماسك بين هذه الآيات وآيات السورة كلها لأنها جميعا تعبر عن قدرة الله اللامحدودة وبأنه سيتحقق العبودية وكل من كفـــر بآياتـــه ورسله استحق غضبه و كانت له جهنم مأوى و بئس المصير.

من خلال ما سبق نجد أن التماسك من خلال التوابع يسير على مستويين، الأول داخلي " أفقي" وهو متعلق بالتماسك داخل الآية الواحدة، و الثاني " خارجي " وهـــو متعلق بالتماسك بين هذه المحاور الثلاثة والملاحظ أن الآيات المتباعدة قد تحقـــق بينـــها التماسك لأن هناك وسائل شكلية و معنوية ساعدت على ذلك منها:

1- الضمائر .

2- أدوات العطف " حرف الواو خاصة " .

3- علاقة الإسناد " لأن الأفعال جميعها مسندة إلى الله تعالى "

و بانتقالنا إلى المقطع الثالث في قوله تعالى : " ولقد خلقنا الإنسان من صلصـــال من حمإ مسنون " 26 " إلى قوله تعالى: **(و نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم (49) وأن عذابي هو العذاب الأليم(50)).**

ففي الآيات تتوزع أدوات العطف وتتنوع، وإذا كان دور العاطف هو المشاركة بين المتعاطفين ، فإن علاقة المشاركة تمثل تماسكا دلاليا، كما أن علاقة الإســـناد هـــي كذلك علاقة دلالية[1] فدلالة الآيات الأولى تتمثل في كونه مسندة إلى الله تعالى لـــذا تم العطف بين فعلي خلق الإنسان من صلصال وبين خلق الجان من نار ، وفي علاقة العطف نجد الاختلاف بين نوعي الخلق وذلك إدماج وتمهيد إلى بيان نشأة العداوة بين بـــني آدم وجند إبليس[2] من خلال خلق الجان منذ مدة النار المناقضة لمادة خلق الإنسان ، وبانتهاء فعل الخلق والانتقال من حال الخلق إلى حال الإعلام بإخبار اله و ملائكته عـــن خلقـــه البشر من مادة حقيرة فاكثر منه و أمرهم بالسجود له ، فكانت الطاعة من الملائكة لـــذا برز دور أداة العطف " الفاء " التي تفيد العطف مع التعقيب والسرعة[3] أي أن الملائكة

---

(1) ينظر صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 280.

(2) ينظر الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 13، ص 42.

(3) ينظر مصطفى النحاس، دراسات في الأدوات النحوية، ص 24.

لم تتوان عن فعل ما أمرها الله به ، لكن حدث انفصال دلالي بعصيان إبليس أوامر ربه فكانت القطيعة والاستنكار و سؤاله سؤالا توبيخيا فكان كمال الانقطاع من خلال الاستئناف البياني في قوله تعالى : **(قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين (32))** إلى قوله : **(و إن عليك اللعنة إلى يوم الدين (35))** فهذه الآيات بيان سبب عصيان إبليس أوامر الله لذلك استحق الإخراج من رحمة الله وعطفت جملة أمره بالخروج لان ذلك الأمر تفرع على جواب المنبئ عن كفره و عدم تأهله للبقاء في السماوات[1]

فتم العطف بين الآيتين " 34 " و " 35 " بواسطة حرف الواو وذلك إيماء إلى سبب إخراجه من عوالم القدس و هو ما يقتضيه وصفه بالرجيم من تلوث المطلية و خبث النفس[2] و أدوات العطف هنا لم تقتصر على حرف الواو فقط بل شاركته أداة أخرى في عملية الربط بين الآيات وهي "الفاء" التي ربطت بين الآيتين " 29 " و " 30 " في قوله تعالى:(**فإذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (29) فسجد الملائكة كلهم أجمعون (30))** فكانت الآيات بذلك عقدا من اللآلئ واضحة بمعاقد الربط الذي يظل معلما على وظيفة الربط العطف في الربط بين الجمل والآيات وجعلها متصلة خشية اللبس في فهم الانفصال بين معانيها .

فجميعها مسندة إلى الله تعالى بخلقه لآدم وإخباره ملائكته بذلك، وأمره لهم بالسجود لآدم فكانت الآيات متصلة المعاني متسلسلة لكن حدث الانفصال من خلال استنكار الله عصيان إبليس أوامره و عدم امتثاله لها.

لكن بعد تيقن إبليس " بأنه ملعون إلى يوم الدين فاض به خبث جبلته البالغ نهاية الخباثة التي لا يشفيها إلا دوام الإفساد في هذا العالم[3] فكانت رغبته في البقاء لاستمرار عمله في غواية عباد الله فتم العطف بين الفعلين المسندين في قوله تعالى:(**قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين (39))** وذلك تماديا في العصيان والكفر لما جبل عليه من الخبث .

---

(1) التحرير والتنوير، ج13، ص 46.

(2) المرجع نفسه، ص 47.

(3) المرجع نفسه، ص 47.

فكان جواب الله له بأنه سيجازي كل حسب عمله ، فمن اتبعه كانت جهنم مصيره، وأعد الجنة بشارة المتقين .، فنلاحظ في الآيات من " 45 " إلى " 47 " توزع وظيفة حرف العطف الواو بين ربطه بين المفردات في الآية الواحدة كما هو الشان في ربطه بين "جنات" و "عيون" و بين ربطه بين الآيتين " 45 " و " 47 " .

فالربط في هذا المقطع حقق التماسك بين الآيات المتجاورة والمتباعدة من خلال ثلاثة محاور أساسية:

1- خلق الله لآدم و أمر ملائكته بالسجود له.

2- عصيان إبليس أوامر الله وتماديه في العصيان.

3- بيان الله مصير كل فريق من العباد.

ومن خلال تتبع حركات أدوات العطف في الآيات السابقة لاحظنا انه تم العطف بين الجمل و العبارات و بين الآيات التي أفعالها مسندة إلى الله تعالى أو إلى إبليس عليه اللعنة، و التماسك تحقق من خلال التماسك الشكلي بين عبارات الآية الواحدة والدلالي بين الآيات المتجاورة و المتباعدة .

المقطع الرابع قوله تعالى: **(نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم (49) و أن عذابي هو العذاب الأليم (50))** إلى قوله تعالى: **(فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (84))** .

إن المقطع من خلال الآيتين " 49 " و " 50 " المعطوفتين يصدر للآيات اللاحقة بما تتضمنه من نماذج رحمة الله وعذابه ممثلة في قصص إبراهيم و بشارته على الكبر بغلام عليم، و لوط ونجاته و أهله إلا امرأته من القوم الظالمين وأصحاب الآية وأصحاب الحجر و ما حل بهم من عذاب أليم، فجاءت بعض آيات مصداقا لنبأ الرحمة وأخرى مصداقا لنبأ العذاب[1] .

وأول أداة عطف تبرز تتمثل في حرف الواو الذي قام بالربط بين الآيتين "49" و"50" فقد كتب الله الرحمة على نفسه و إنما ذكر العذاب لحكمة خاصة في السياق تقتضي إفراده بالذكر و تتبع توزع أدوات العطف في الآيات نجد أن الواو كانت شيوعا،

---

[1] ينظر سيد القطب، في ظلال القرآن، ج4، ص 2146.

وإذا حاولنا استعراض الآيات المعطوفة لتشكل لدينا نص متكامل منسجم يعبر عن بنية دلالية واحدة و هذه الآيات هي قوله تعالى:

(قالو ا: جل جئناك بما كانوا فيه يمترون) / 63 .

(و أتيناه بالحق و إنا الصادقون) / 64 .

(فأسر بأهلك بقطع من الليل و أتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وأمضوا حيث تؤمرون) / 65 .

(و قضينا إليه المدينة يستبشرون) / 67 .

(قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) / 68 .

(و اتقوا الله و لا تخزون) / 69 .

(فجعلنا عاليها سافلها و أمطرنا عليهم حجارة من سجيل) /74

(و إن كان أصحاب الأيكة لظالمين) / 78 .

(و لقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) /80 .

(و آتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) / 81 .

(و كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) / 82 .

أدى الربط بحرف الواو إلى تحقيق التماسك بين الآيات من خلال محوريين هما:

1- رحمة الله بعباده المتقين من خلال قصة بشارة إبراهيم و نجاة لوط وأهله.

2- تسليط عذابه على الأقوام الكافرين بما كذبوا برسل الله إليهم وتماديهم في الكفر والعصيان.

وما يمكن الإشارة إليه في هذا المقطع أن أداة الفاء قامت بالربط بين عناصر الآية الواحدة وبين الآيات كذلك لكنها لا تفيد العطف هنا تفيد الجزاء و بما أننا بصدد الحديث عن التوابع لم نفرد لها بالذكر .

المقطع الخامس : في قوله تعالى:**(و ما خلقنا السمات و الأرض و ما بينهما إلا بالحق و إن الساعة لآتية فأصفح الصفح الجميل (85))** إلى قوله: **(وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين (99))** .

فموقع الواو في صدر الجملة بديع ، فهذه الجملة صالحة لان تكون تذييلا للقصص الأمم المعذبة ببيان أن ما أصابهم قد استحقوه فهو عدل الله بالجزاء على الأعمال بما يناسبها[1].

وكان العطف بالواو و الفاء متوزعين بطريقة بديعة فسنعرض الآيات التي تم ربطها بينها بهاتين الأداتين قوله تعالى:

(وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فأصفح الصفح الجميل) /85.

(و لقد آتيناك سبعا من المثاني و القرآن العظيم) / 87.

(لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم و لا تحزن عليهم و اخفض جناحك للمؤمنين) / 88 .

(و قل إنني أنا النذير المبين)/ 89 .

(فأصدع بما تؤمر وأعرض المشركين) / 94 .

(فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) / 98 .

(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) / 99 .

نلاحظ في الآيات السابقة أن العطف تم بين عناصر الآية الواحدة و بين الآيات ، و الحديث نجده متوزع بين مخاطبة الرسول تسلية ومواساة له وبين الإعراض عن المشركين الكافرين، و الدعوة الموجهة إلى الرسول في جمل الرسالة التي حملها الرسول قبله، و أنه فضله بها على العالمين ، مقابل ألا يناله الغيض من الكافرين لأن أمرهم موكول إلى الله تعالى .

---

[1] ينظر التحرير والتنوير، ج13، ص 56.

من خلال تتبعنا لوظيفة و دور عطف النسق من خلال أدواته نجد أنها قامت بتحقيق التماسك النصي من خلال الربط بين أجزاء الآية الواحدة و بين الآيات المختلفة لكن بالاستعانة بوسائل أخرى متمثلة في :

1- الضمائر .

2- علاقة الإسناد لأنها علاقة معنوية تسند فيها الأفعال إلى طرف واحد وما يمكن استنتاجه أن أدوات العطف تمثل امتدادا بين عناصر النص المختلفة، و أن دورها لا يقتصر على الربط بين الجمل المتجاورة أو الكلمات المتجاورة بل يتعدى إلى الربط بين آيات غير متجاورة ليتحقق التماسك النصي بناء عليه .

لكن هذا التماسك لا يقتصر على العطف فقط بل يتجاوز إلى توابع أخرى كالصفة و البدل و التوكيد.

لقد جمع النحاة التوابع في خمس علاقات هي: النعت، عطف البيان، و التأكيد، والبدل، وعطف النسق ويلاحظ أن هذا الجمع قائم على أساس الناحية اللفظية المتمثلة في العلامة الإعرابية .

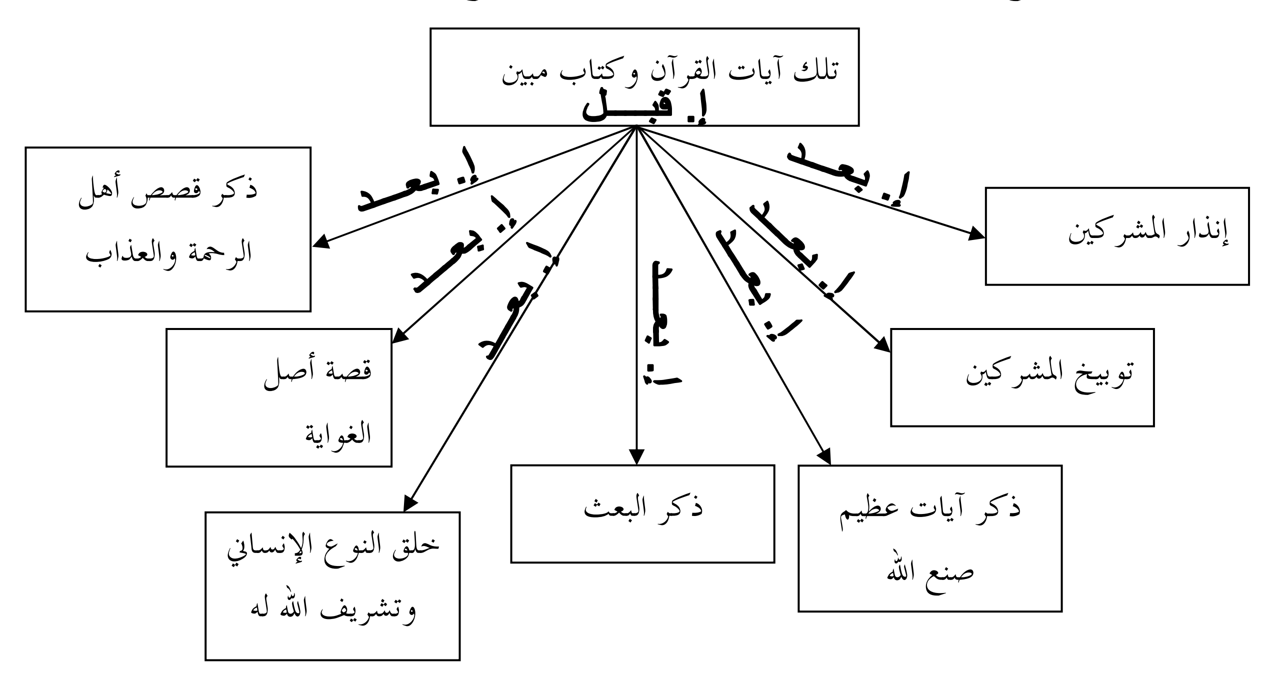
و لقد علمنا أن عطف النسق يقوم على المغايرة المعنوية بين المعطوف و المعطوف عليه ، " و أنه يختلف عن سائر التوابع لأنه ينشأ بواسطة هي حرف العطف، كما أنه يفترق عنها بأن المعطوف لا يزيل إبهاما عن المعطوف عليه، في حين تتفق التوابع الأربعة الأخرى في أن التابع يرفع الإبرام عن متبوعة "[1]

فالعلاقة بين الصفة والموصوف تلازمية بحيث يزيل النعت ما في المنعوت من إبهام ببيان معنى فيه، وذلك في حدود الجملة الواحدة لكننا في النص القرآني يجدها تزيل الإبهام عن المنعوت التي يرتبط بآيات كثيرة وربما يصل حد بيان معنى السورة كل كما هو الشأن في الصفة الموجودة في الآية الأولى في قوله تعالى:**(ألر تلك آيات الكتاب و قرآن مبين)**

---

[1] مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 182.

فالصفة نجدها في وصف القرآن بالمبين، ولصوق صفة الإبانة بالقرآن دليل قاطع على صدق آياته، المبينة لدلائل قدرة الله وبأحقيته للعبادة، فكان من حكمته وعدله أن يجازي كل حسب عمله، فمن خلال صفة (مبين) نجد أن هذه الآية تعد منطلق جميع آيات السورة؛ لأن هذه الإبانة كانت من خلال تنزيل هذه السورة وغيرها من السور لتظهر للناس أي السبيلين يسلكون: سبيل عبادة الله والإيمان به، أم سبيل الكفر به واتباع خطوات الشيطان. فهذه الآية بما تحمل من دلالات تعتبر نواة السورة (البنية الدلالية الكلية) وجميع الآيات متولدة عنها وتصب فيها، ولتوضيح ذلك نمثلها بالمخطط الآتي:



فهذه الصفة تحمل مرجعية قبلية عن طريق الرجوع إلى لفظ القرآن مفتاح السورة الذي يرتبط به ما جاء بعده وهي مرجعية داخلية، وبهذا فهي أسهمت في تحقيق التماسك النصي بين آيات السورة وجعلتها تدور في فلكها.

وفي الآية الرابعة (04) نجد (إلا ولها كتاب معلوم) فمعلوم صفة للكتاب الذي يعني القدر المحدود عند الله. [1]، فمن خلال هذه الصفة يحدد الله تعالى للناس أجلا تنتهي حياتهم بانقضائه، وهذه الآية من خلال الصفة نجدها ترتبط بالآية السابقة في قوله: (فسوف يعلمون) أي أن لإمهالهم أجلا معلوما كما انتهى اجل الأقوام السابقة وفي هذا تترابط مع الآية اللاحقة في قوله: **(ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون)/05**، وتحيل

[1] التحرير والتنوير، ج13، ص 15.

إحالة بعدية إلى قصص لوط وقومه وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر، فجميع هذه الأقوام كذبت رسل الله إليها فاستحقت عقاب الله في يوم معلوم.

فالصفة إذن أسهمت في تحقيق التماسك الدلالي بين آيات السورة المتجاورة والمتباعدة.

وتتبعنا لتوزع الصفات في السورة نجدها في قوله تعالى:

(وحفظناها من كل شيطان رجيم) /17.

(إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) /18.

(والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) /19.

(وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) /21.

(وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم) /25.

وفي الآية (17) نجد صفة (رجيم) متصلة بالشيطان، هذا الأخير الذي يلحقه غضب الله ولعنته، فهو يعد عنصر غريب عن السماوات بما يحمل من خبث، وفيه تنويه بعصمة الوحي من أن يتطرقه الزيادة والنقص، وبان العوالم التي يصدر منها الوحي محفوظة، وهو بهذا يرتبط في دلالته مع الآية: **(وإنا له لحافظون)**[1]، فالسماء وعناصرها ترتفع عن هذه العناصر الخبيثة؛ لأنها تحمل الذكر الذي تحمله الملائكة.

وقد ورد ذكر سبب رجم وإخراج إبليس من السماوات عند عصيانه أوامر الله فاستحق بذلك غضبه يفي قوله تعالى: **(فاخرج منها فإنك رجيم)**/ 34. وإذا أراد الشيطان أن يخطف الخطفة السريعة يرمى بالشهاب فيحرقه ولا يقتله،[2] وهذا الشهاب ظاهر للمبصرين،[3] وهو يتخطف الأبصار فيحار الرائي لم تطلق هذه الشهب؟

فمن خلال صفة مبين في الآية (18) تبدو الحكمة من الرمي بالشهب التي تظهر طرد الشياطين من السماوات، وتضفي صورة جمالية للمنظر حيث تبقى أنظار الناس

---

(1) التحرير والتنوير، ج13، ص 29، 30.

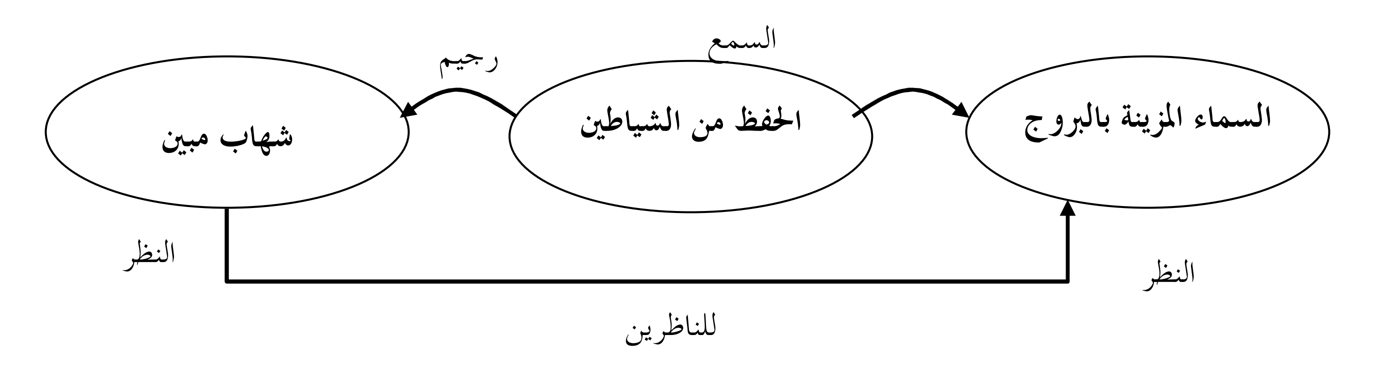
(2) ينظر التفسير الكبير، م12، ص 173.

(3) ينظر الكشاف، ج7، ص 574.

مشدودة إلى عجيب صنع السماوات المزينة بالكواكب والنجوم وصورة الشهب الساطعة تقذف منها إلى الأرض فتبرز عظمة وقدرة الخالق.

فنحن من خلال الآيتين (17) و(18) أمام ثنائيتين: (السمع) و(الرؤية) ولكننا وجدنا أن الرؤية أكثر تأثيرا وتبيانا من السمع، فحركة الرؤية مجلية للحقائق بينما حركة السمع يشوبها بعض الإبهام والغموض.

وتوضيحا لهاتين الثنائيتين نمثل بالمخطط التالي:



وبعد الحديث عن آيات الخلق العلوي (السماء والكواكب) وحفظ الله لها من الشياطين ينتقل إلى آيات الخلق السفلي (الأرض والجبال والإنبات) فكان مد الأرض بخفضها لتمكين الخلق من الانتفاع بجميع ما لهم من منافع ومعالجات، فكان إيجاد الموزون الأرضي (من كل شيء موزون) هذا الموزون هو موزون مرئي ملموس.

فصفة "موزون" ارتبطت بلفظة (شيء)، فالموزون هو نتاج الأرض وحصيلها، وقوام انتفاع الناس منها، والوزن لا يكون إلا بما تقتضيه حاجة الناس والمخلوقات الأخرى،[1] فتبدو حكمة الله التي اقتضت ميزان الخلق فلا تصلح فيه زيادة ولا نقصان،[2] فهذه الصفة بهذا المعنى ترتبط مباشرة بالصفة الواردة في الآية الموالية في قوله تعالى:(**وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما نتزله إلا بقدر معلوم)/21**.، فصفة معلوم تمثل

---

[1] ينظر دلالة الميزان في سورة الرحمن، ص 16.

[2] ينظر الكشاف، ج7، ص 574.

استمرارية وامتدادا لمعنى (من كل شيء موزون) والمراد من الآية أن سبب الأرزاق ومعايش بني آدم وطيورهم يتمثل في المطر[1]

وأن تنزيله لا يكون إلا بمقدار الكفاية حيث يصرفه لمن يشاء وحيث يشاء، فهنا تتجلى الدقة المتناهية في توزيع سبب الحياة، وعلم الله بكل شيء.

وإذا تمعنا الآيتين جيدا وجدناهما من خلال الصفتين الواردتين فيهما تمهدان لصفة الواردة في الآية (25) في قوله تعالى: **(وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم)** فصفة عليم تحيل إحالة سابقة ذات مدى قريب لأنها ترجع إلى موصوف حكيم إلى وهي ذات إحالة سابقة ذات مدى بعيد لرجوعها بالمرجعية إلى (كل شيء موزون) و (بقدر معلوم) فارتبط إيجاد الموزون الأرضي بالميزان المرتبط بالعلم الرباني، لذا ذكرت صفة عليم التي تدل على المبالغة في العلم مباشرة ببعد الحديث عن (الموزون المرتبط بالعلم الرباني).

من خلال ما سبق نجد أن الصفة شدت العلاقة بين الآيات المتجاورة بما تحمل من مرجعية داخلية سابقة، وبذلك ساهمت في تحقيق التماسك الدلالي بينها.

وتأكيدا على علم الله الواسع جاء بالحديث عن خلقه للإنسان من مادة وضيعة في قوله: **(ولقد خلقنا الإنسان من حمإ مسنون)** /26. فوصف الصلصال بالحمإ لسواده، وكره رائحته، ولأنه طالت مدة مكوثه وصفه بصفة أخرى هي (مسنون)، فحمأ صفة للصلصال ومسنون صفة للحمأ أو (الصلصال) وإن كان الصلصال من الحمأ فصفة أحدهما صفة للآخر[2] وفي هذا إشارة إلى عجيب صنع الله تعالى إذ أخرج من هذه الحالة المهينة نوعا هو سيد أنواع عالم المادة ذات الحياة[3]

فهذا الارتباط الوثيق بين حمأ ومسنون وبين صلصال دليل على علم الله المفصل لمراحل خلق الإنسان وكيف شكله ونفخ فيه من روحه، والحكمة من هذا تتمثل في إعلامه ملائكته بخلقه لمخلوق آخر يختلف عنهم ليظهر من يطيع أوامره ومن يعصيها، وهو بهذا تترابط الآية مع الآيات السابقة وهي تمهيد للآيات اللاحقة لها، ومن خلال

---

[1] ينظر التفسير الكبير، ج 9، م 12، ص 178.

[2] ينظر التحرير والتنوير، ج13، ص 42.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص 42.

عصيان إبليس لأوامر ربه اتخذ حجة خلقه من مادة أفضل من مـــادة خلـــق الإنســـان، فظهرت الجبلة التي جبل بها وتعاليه الذي استحق الرجم والإخراج من رحمة الله.

وفي الآيات اللاحقة نجد توزع وتنوع الصفات، فمنها ما يتصف بها يوم القيامة في قوله: **(فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم)/ 38**. هذا اليوم الذي لا يعلمه إلا الله، وهذه الصفة نجدها ذات مرجعية سابقة بالآية **(إنه عليم حكيم)** فيتجلى العلم الرباني بأجل معانيه حيث يعلم الغاوين من عباده والمتقين.

وإذا حاولنا استعراض الآيات المشتملة على الصفات في المقطع الثالث نجـــدها في قوله تعالى: **(قل هذه صراط علي مستقيم)/ 41**.

(لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم)/ 44

تذييل وتصدير }

(نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم) /49.

(وأن عذابي هو العذاب الأليم) /50.

فبعد طلب إبليس من الله النظرة لغواية عباده، فكان جواب الله له بأن الأمـــور تفوض إليه وإلى إرادته، فكان بهذا القول إظهار طريق الحق الذي يراعيه بأن لا يكـــون للشيطان سلطان على عباده، إلا من اختار اتباعه من الغاوين.

فكانت جهنم مصيرا للغاوين حيث يتوزعون على أبوابها في أقسام كل حســـب درجة غوايته من خلا صفة (مقسوم) التي ترجع إلى جزء، فعدل الله يقتضي عدم مساواة الجزاء لجميع الناس، فهذه الآية لها مرجعية سابقة إلى الآية (25) وحكمة الله تقتضي هذا الجزاء.

وتقسيم أبواب جهنم بالتعيين يعلمه الله تعالى[4]وإذا وجدت جهنم بالضـــرورة توجد بالمقابل الجنة للمتقين الذين لم يتبعوا الشيطان و لم يتأثروا بغوايته.

وبعد ذكر حال هؤلاء وأولئك ذيل الآية بقوله: **(نبئ عبادي أني أنـــا الغفـــور الرحيم. (49) وأن عذابي هو العذاب الأليم (50))**، أي أن كل من اعترف بالعبودية

---

[4] ينظر التحرير والتنوير، ج13، ص 53.

استحق المغفرة والرحمة، وصفة الرحمة لصيقة بالمغفرة، وتأكيدا على رحمة الله بعباده اشتق اسمه (الرحمن) من الرحمة، ومن أنكر ذلك كان مستحقا للعقاب الأليم.

وكان من لطائف أسلوبه انه قرن بينه وبين الرحمة، ولما ذكر العذاب لم يقـــل إني أنا المعذب، وما وصف نفسه بذلك بل وصف به عذابه،[1] فهاتان الآيتـــان مرتبطتـــان ارتباطا معنويا بالآيات السابقة في قوله تعالى: **(وإن جهنم لموعـــدهم أجمعـــين) /43.** وقوله: **(إن المتقين في جنات وعيون) /45**، فكانت رحمته حرية بعباده المتقين بمجازاتهم بالجنة والتنعيم فيها، وعذابه استحقه الغاوون من خلال جهنم التي يصـــلونها، وكـــذلك هاتان الآيتان ترجعان مرجعية لاحقة بالآيات اللاحقة لها عند الحديث عن إبراهيم وقوم لوط وأصحاب الأيكة والحجر، ونمثل هذه العلاقات بالمخطط التالي:

إ. سابقة

الغفور ⟵ **الرحيم**

العذاب

عذابي ⟵ **هو** ⟵ **الأليم**

إ. لاحقة **إ. سابقة**

إذن هذه النعوت أسهمت في تحقيق التماسك النصي عن طريق رجوع الرحمة إلى الله تعالى والألم إلى العذاب، فتتجلى صورة لصوق النعت بمنعوته فكانت الرحمة والمغفرة لصيقتان بالله تعالى، بينما العذاب منفصل عن ذاته متصل بعذابه.

وكما قلنا أن هاتين الآيتين تعتبران تذييلا للآيات السابقة وتصـــديرا للآيـــات اللاحقة المتضمنة قصص إبراهيم ولوط وقومه وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر، فنجد أن الصفات توزعت عليها بأن كونت نصا متكاملا منسجما من خلال مرجعيتها.

وباستعراضنا لهذه الآيات نجد الصفات ببارزة في قوله تعالى:

(قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم) /53.

(قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) /58

(قال إنكم قوم منكرون) / 62.

---

[1] ينظر التفسير الكبير، ج9، م 12، ص 199.

(وإنها لبسبيل مقيم) /76

(فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين) /79.

فكانت رحمة الله بعباده وخاصة أنبيائه بأن بشر نبيه إبراهيم بغلام عليم بالشريعة،[1] فمرجعية الصفة (عليم) مرجعية سابقة مرتبطة بغلام (إسحاق عليه السلام) وهذه الآية من خلال صفة العلم ارتبطت دلاليا بالآية (49) في قوله تعالى: **(إني أنا الغفور الرحيم)** فكانت رحمته متمثلة في ولادة إسحاق بعد الكبر، بينما عذابه مسلط على قوم مجرمين، فصفة (مجرمين) تعود بالمرجعية السابقة إلى قوم لوط والتي جاء تفصيل قصتهم في الآيات اللاحقة، وقد استحقوا عقاب الله تعالى بما أجرموا وبما ارتكبوا من معاص وفاحشة فكانت صفة الجرم لصيقة بقوم لوط، وقد وردت صفة مجرمين بصيغة اسم الفاعل التي تحمل دلالات الثبوت أي ثبوتهم على إجرامهم والتجدد[2] أي تجددهم في الكفر إما بتجدد الأقوام أو الأسلوب.

فكان استنكار الله لفعلتهم بأن وصفهم بصفة نكرة لعظيم ما اقترفوا من فاحشة.

وبعد ذهاب المرسلين إلى لوط نكرتهم نفسه، فكان أن وصفهم بصفة منكرون، لأنهم جاءوه بهيئة غريبة تخالف هيئة القبائل المعروفة، وهذه الصفة تعود بالمرجعية السابقة إلى قوم (المرسلون) وترتبط الآية السابقة في قوله تعالى: **(قال إنا منكم وجلون)** / 52. لأن إبراهيم خاف من ضيفه لامتناعهم من الأكل[3]

إذن فكل من إبراهيم ولوط عليهما السلام خافا ونكرا المرسلين لمجيئهم بهيئة غريبة وسلوك غريب يخالف سلوك البشر، لأنهم ملائكة مرسلون برسالة من الله فجاءوا حاملين لها منفذين أوامر الله وذلك باستحقاق عباده المتقين بالرحمة والنجاة، وتسليط العذاب على عباده الكافرين الغاوين.

---

[1] ينظر التحرير والتنوير، ج13، ص 58.

[2] ينظر عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم "دراسة نظرية تطبيقية"، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص 212.

[3] ينظر التفسير الكبير، ج9، م 12، ص 200.

فكان بعد تسليط العذاب على قوم لوط بأن جعل مدينتهم طريقا باقية شاهد اعلى ظلم قومها وعبرة لكفار قريش لأنهم عليها في طريقهم إلى الشام[1]، فكانت صفة مقيم لصيغة بالموصوف (سبيل) أي أن هذه الآثار باقية مستقرة وذلك تشبيهها بالشخص المقيم.

وهذه الآية من خلال الصفة ترتبط بالآية (3) في قوله تعالى:(**ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون)** أي أنهم سيعلمون بان مصيرهم سيكون مثل مصير هؤلاء إن بقوا على كفرهم وعصيانهم إذن فمرجعية هذه الصفة (مقيم) مرجعية سابقة ذات مدى قريب في الآية ذاتها وذات مدى بعيد في الآية (3)، ومرتبطة بالآية (79) في قوله تعالى: **(فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين)** فأدخل كل من قوم لوط وأصحاب الأيكة في حال واحدة أبعد مضي العقاب الذي أهلكهم و لم يترك منهم سوى آثارهم فأصبحوا طريقا بينة لقوافل بها[2] فهذه الآية تأكيد (76)

وبعد التوجه بالخطاب إلى الرسول (ص) ذكره بخله للسماوات والأرض وما بينها بالحق وأن عقاب الكافرين ومجازاة المتقين موكول إلى الله لذا "أمر بنيه بالإعراض عن أذاهم وسوء تلقيهم للدعوة"[3] وليعف عنهم لأن في العفو مصلحة له ولهم يعلمها الله، فهو فجئ بصفة الجميل التي تعود بالمرجعية إلى الصفح وهي من أخلاق الرسول الأمين وهي مرتبطة ارتباطا شديد من خلال علاقة التضاد بالآية (6) بحيث أن الكافرين استهزءوا به وبغيره من الرسل واتهموه بالجنون، لكن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف لا ترد بالمثل بل إنها توصي بالعفو والصفح علهم يؤمنون، وإذا لم يؤمنوا يجيء الله بأقوام غيرهم مؤمنين كما هو موضح في الآية (86) في قوله تعالى: **(إن ربك هو الخلاق العليم)** فهو الخلاق لكم ولهم ولنفسك وأنفسهم، العليم بما يأتيه كل منكم.

فصفة العليم يحتل بالمرجعية السابقة ذات المدى القريب إلى الخلاق (الله) وبالمرجعية السابقة ذات المدى البعيد بالآية (25) في قوله:**(وإن ربك هو يحشدهم إنه حكيم عليم)**.

---

[1] ينظر التفسير الكبير، ج9، م12، ص 208.

[2] التحرير والتنوير، ج 13، ص 72.

[3] المرجع نفسه، ص 77.

فعلم الله واسع بعباده لا تحده الحدود، وأتبع الآيات السابقة التي فيها تسلية للرسول والوعد بالمهنة ليذكر رسوله بالنعمة العظيمة فيكمن قلبه لأن الله منجز وعوده

وأعظم نعمة انعهما غليه تمثلت في قوله:(**ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم)/87**.

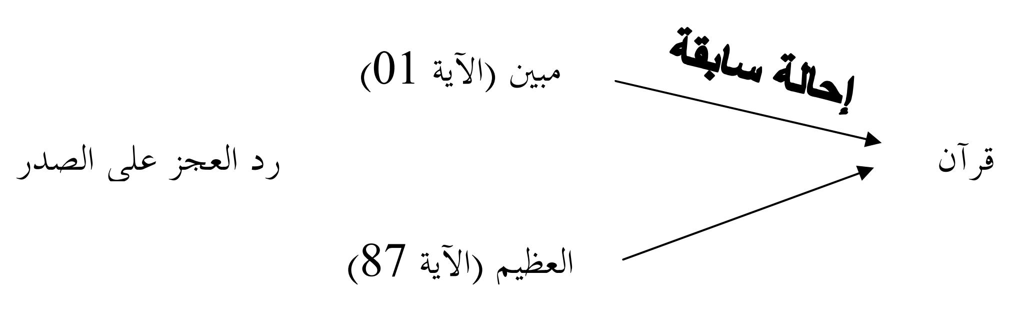
فصفة العظيم تنويه بالقرآن وبمكانته العالية ومن خلال هذه الصفة نجدها تحيل إحالة سابقة إلى الآية الأولى:(**ألر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين)**، وكذلك بقوله:(**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)**/09، فالذكر هو أساس التعليم الرباني ذو المترلة الرفيع، بما فيه بيان للناس، وقد جئ بالعلم الرباني المتمثل في القرآن سابق للخلق ولا حقا به في السورة مما يتيح للإنسان الإيمان ما جاء به القرآن وبمن بلغهم به.

ثم واصل الخطاب على الرسول بألا يحزن على القوم الكافرين، لأنه لا يملك هدايتهم، ويكتفي بإنذارهم وبيان وبرهان أن عذاب الله نازل بهم[1] من خلال صفة المبين التي ترجع بالمرجعية السابقة إلى النذير.

ومن الإعجاز أن الصفة (النعت) إذا نظرنا إلى دورها التماسكي، فإننا نجده بين أجزاء الآية الواحدة من خلال القرينة اللفظية المطابقة في (العلامة الإعرابية) أي يبين المنعوت والنعت.

ونجد أن الاتصال الوثيق بين المتلازمين جعلها كالشيء الواحد دون أن ننسى، ما العلامة بين المتلازمين من مرجعية دلالية إما سابقة أو لاحقة فتجعل النص كلا موحدا ومتكاملا.

ويمكن تلخيص ورود الصفات في السورة بالمخطط الآتي:



---

[1] ينظر الكشاف، ج 7، ص589.

إ. ح سابقة

شيطان ← رجيم (17)

شيطان ← رجيم (18)

الرجم والطرد المعنوي والحسي

من كل شيء ← موزون (19)

قدر ← معلوم (21)

الميزان الرباني والحكمة الإلهية

حكيم ← عليم (25)

صلصال ← من حمإ ← مسنون (26)

تشريف الله للإنسان

أمره ملائكته بالسجود لآدم اختبارا لطاعتهم له.

سبب في عصيان إبليس له.

صراط ← مستقيم (41)

جزء ← مقسوم (44) (من الغاوين)

إ. ح سابقة

الغفور ← الرحيم(49)

إ. ح لاحقة

إ. ح سابقة

العذاب ← الأليم(50)

إ. ح لاحقة

غلام ← عليم (53)

قوم ← منكرون (62)

رحمة الله بإبراهيم ولوط

قوم ← مجرمين

سبيل ← مقيم

إهلاك الله للأقوام الظالمة

الصفح ← الجميل (85) ← الرسول وأخلاقه

القرآن ← العظيم (87)

النذير ← المبين (89)

الخلاق ← العلـــــــيم

(الله يخلق العباد ويعلم بالمتقين والكافرين)

3. التوكيد والبدل:

تنشأ علاقة الارتباط بين التأكيد اللفظي والمؤكد، أما التأكيد المعنوي فالعلاقة الناشئة بينه وبين المؤكد علاقة ربط بالضمير البارز، يقول الأشموني:"لا بد من اتصال ضمير المتبوع بهذه الألفاظ ليحصل الربط بين التابع ومتبوعه[1]

والتأكيد اللفظي هو "إعادة اللفظ أو تقويته بموافقة معنى"[2]

وقد ورد التوكيد المعنوي بقوة في آيات السورة وأول آية تشمل التوكيد قوله تعالى:**(فسجد الملائكة كلهم أجمعون)**/ 30 إذ تضم توكيدين معنويين أي توكيد على توكيد/ "وسئل المبرد عن هذه الآية فقال: لو قال فسجد الملائكة، احتمل أن يكون سجد بعضهم، فلما قال (كلهم) زال هذا الاحتمال فظهر أنهم بأسرهم سجدوا، ثم بعد هذا بقي احتمال آخر، وهو أنهم سجدوا دفعة واحدة أو سجد كل واحد منهم في وقت آخر، فلما قال (أجمعون) ظهر أن الكل سجدوا دفعة وحدة"[3]

فالتوكيد هنا عمل على إزالة الشك في سجود الملائكة وما زاده تأكيدا الثاني أي لم يتخلف عن السجود أحد من الملائكة (ملائكة السماوات والأرض).

ومن خلال علاقة التوكيد في الآية فإننا نخرج إبليس من قائمة الملائكة؛ لأنه لو كان منهم لما أكد تعالى قوله بالتوكيد واكتفى بقوله (فسجد الملائكة إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين). واختيار صيغة الجمع هنا لمعنى المبالغة والتكثير[4] فيصور الله خشوع الملائكة جميعا وطاعتهم أوامر وهي تفعل ما تؤمر به دائما.

وهذه الآية الكريمة ترتبط ارتباطا دلاليا مع الآيات (52)، (53)، (54)، (58) ... (65) فجميعها تتحدث عن المرسلين من الملائكة إلى نبي الله إبراهيم ولوط الذين بشروطها برحمة من الله، وبتسليط عقاب الله على القوم الكافرين فهي تفعل ما يأمرها الله

---

[1] الأشموني، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، القاهرة، عيسى الجلبي، د. ت.، ج3، ص 75.

[2] التفسير الكبير، ج9، م12، ص 186.

[3] ينظر عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص 113.

[4] ينظر المرجع نفسه، ص 113.

به ولا تعصي أوامره وإذا استعرضنا الآيات التي تحوي علاقة التوكيد المعنوي نجـــدها في قوله تعالى:

(قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين)/ 39.

(وإن جهنم لموعدهم أجمعين)/ 43.

(إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين)/ 59.

(فوربك لنسألنهم أجمعين) /92.

توزع التوكيد في الآيات السابقة على محورين هما: الكافرون والمؤمنون فـــإبليس بعد تيقنه من غوايته أراد إغواء عباد الله جميعا، فهو بهذا السلوك أشد أحوال غاية المعنوي إذ كانت غوايته متعدية إلى إيجاد غواية غيره"[1] من خلال تزيينه المعاصـــي لعبـــاد الله فأخذته العزة بنفسه وظن أن بإمكانه غواية عباد الله جميعا، لكنه علم أنه لا يستطيع غواية عباد الله المتقين فاستثناهم مجموع الغاوين.

وأبطل الله ادعاء إبليس بتمكنه من غواية عباده جميعا ؛لأنه لا يقدر على إغـــواء المخلصين منهم، لكنه يملك السلطان على الفئة المنقادة له في الأمر والنهي[2]، ومن خلال الاستثناء ارتبطت الآية بالآيات المتحدثة عن الأقوام الظالمين (قوم لوط وأصحاب الأيكة والحجر). وكانت جهنم موعدهم أجمعين لاشتراكهم في الكفر والعصيان.

واستثني من القوم المجرمين آل لوط الذين نجاهم الله من العقاب الذي لحق قومهم، وأكد على نجاتهم جميعا بالتوكيد المعنوي (أجمعون) والاستثناء هنا منقطع كـــونهم غـــير مجرمين فلا يلحقهم عذاب الله، بينما استثنى من آل لو (استثناء متصل) إمرأته لأنها منهم فحق عليها عقاب الله.

---

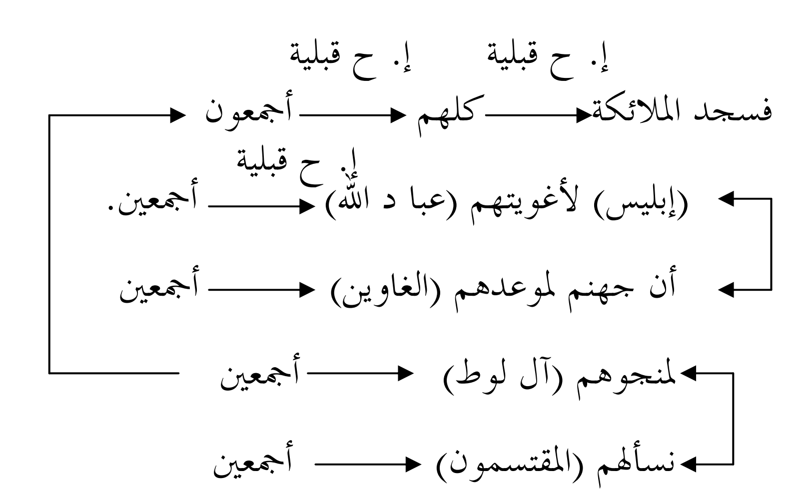
[1] التحرير والتنوير، ج13، ص 50.

[2] ينظر التفسير الكبير، ج9، م12، ص 194.

والتوكيد الأخير نجده في الآية (92) في قوله تعالى :(**فوربك لنسألنهم أجمعين)** فبعد تقدم ذكر المشركين الذين قدموا القرآن إلى شعر وإلى سحر وكهانة[3] أقسم تعالى على مساءلتهم عن تكذيبهم إياه سؤال رب يغضب لرسوله عليه الصلاة والسلام والسؤال يعني عقاب الله وهو وعيد لهم ولا يخرج عن السؤال، فردا منهم أو قوما أو أمة فجميعهم يمتثلون أمام الله يوم القيامة.

فالتوكيد في هذه الآية يرتبط ارتباطا وثيقا بالآيات السابقة المتحدثة عن قصص قوم لوط وأصل الأيكة وأصحاب الحجر، فهؤلاء الأقوام وأمثالهم يسألون يوم القيامة عن تكذيبهم رسل الله ولا يستثنى منهم أحد.

ونلخص علاقة التوكيد في الآيات بالمخطط الآتي:



من كل ما تقدم نستخلص الدور البارز والهام الذي أداه التوكيد في تحقيق التماسك النصي بين أجزاء الجملة الواحدة وبين الآيات المتجاورة والمتباعدة ولشدة التماسك الدلالي بين المؤكد والتوكيد المعنوي استغنى عن الأداة اللفظية الرابطة بينهما، وناب عنها الترابط الدلالي الوثيق بينهما، ومن خلال الآيات السابقة نجد أن التوكيد قسمها إلى محورين: محور الرحمة التي تشمل عباد الله المتقين المخلصين (من رسل وملائكة وبشر) ومحور العذاب الذي يشمل إبليس وشيعته.

---

[3] ينظر أبو البقاء العبكري، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب في جميع القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1414 هـ/ 1993م، ص 373.

4. البدل:

قسم النحاة البدل إلى أنواع أربعة هي: بدل كل من كل (البدل المطابق). وبدل بعض من كل، وبدل الاشتمال، والبدل المباين[1]

والعلاقة بين البدل والمبدل منه وثيقة فلا تحتاج إلى وساطة، وجئ بعلاقة الإبدال كي تزيد المبدل منه بيانا وتوضيحا، فهي تشبه علاقة النعت بمنعوته، إلا أن البدل يكثف المبدل من يبينان حقيقته، والنعت يكشف المنعوت ببان معنى فيه[1]

وأدرج البدل ضمن التوابع لعلاقة المطابقة اللفظية في العلامة الإعرابية بين البـــدل والمبدل منه، وباستعراضنا للآيات المحتوية على البدل نجده في قوله تعالى:

(ألر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين)/01

(قال هذا صراط علي مستقيم)/ 41

(وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين)/ 66.

(قال هؤلاء بناتي أن كنتم فاعلين) / 71.

(إن في ذلك لآيات للمتوسمين)/ 75.

(إن في ذلك لآية للمؤمنين)/ 77.

ففي الآية الأولى نجد أن "آيات بدل من تلك"[2]، لأن تلك (اسم إشارة) بيان لما سبق من الآيات قبل هذه الصورة، أي أنها تحمل مرجعية سابقة، ومنهم من يقول بـــأن تلك لها مرجعية بعدية من الآيات اللاحقة للآية الأولى[3]

وما يهمنا هو علاقة المرجعية الوثيقة التي تملكها علاقة الإبدال فآيات بدل مـــن تلك وهذا البدل يكشف حقيقة البدل بين الطرفين. ومن خلال علاقة الإبدال نجد أنهـــا

---

[1] ينظر الأشموني، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، ج3، ص 124-126.

[1] ينظر مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 186-187.

[2] بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المنزل، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، ج6، 1993، ص 62.

[3] ينظر التفسير الكبير، ج9، م12، ص 155.

تترابط ترابطا وثيقا بجميع آيات السورة لأنها تحيل إليها إحالة لاحقة، وما ينطبق على هذه الآية من خلال علاقة الإبدال ينطبق على آيات الأخرى المشتملة على هذه العلاقة.

وفي الأخير نستنتج أن التماسك بين آيات السورة يسير على محورين: الأول دلالي، حيث وحدة الموضوع المتمثل في العقيدة وأحقية الله للعبودية، الثاني شكلي، وتم من خلال التوابع: العطف والنعت والتوكيد والإبدال، وهذا واضح من دورها الترابطي بين عناصر الجملة الواحدة أو العبارة أو بين الآيات المتجاورة والمتباعدة.

ومن الإعجاز أن التوابع إذا نظرنا إلى دورها التماسكي، فإننا نلتمسه في الآيات المتجاورة على مستوى السورة كلها من ناحية، من بداية السورة حتى نهايتها. وكذلك نستشف دورها من خلال المحاور التي تدور حولها السورة.

وما يمكن قوله أن الجمل والآيات في السورة العقد الذي يجمع بين حباته سلك وثيق، ولا بد أن يبقى السلك متصلا، وهذا هو الارتباط من خلال التوابع عدا العطف، فإذا انقطع السلك، وكنا نريد أن يعود متصلا اتصالا أشبه بما كان عليه، إلا أن معقد الربط واضح[1] وذلك هو الربط الذي يتوسط علاقة الارتباط والانفصال، إذ يعبروا عن المرتبة الوسطى بينهما.

---

[1] ينظر نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 195.

III الحذف :

1-مفهومه و أنواعه :

إن الإنسان بطبعه اجتماعي فهو يعيش مع جماعة يسودها التواصل الذي يتم من خلال عمليات كثيرة أهمها التعبير اللغوي .

ولما كانت المواقف لا تسع لكثير من الوقائع الفعلية، وكان موقفا شديد التحديد فإن التكلم يعمد إلى الاقتصاد بواسطة الحذف أو الاختزال[1]

ونظرا لميل اللغات إلى الحذف، رغبة في الاختصار، فأصبحت ظاهرة لغوية يشترك فيها اللغات الإنسانية، حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتمادا على القرائن المصاحبة[2].

و نظرا لأهمية الحذف في الكلام البشري لقي اهتماما كبيرا من اللغويين والبلاغيين إلى جانب المفسرين ومن جانب علماء النص في الدراسات النصية الحديثة فذكروا أنواع الحذف وشروطه وأفاضوا في ذلك .

وإذا بحثنا عن المعنى اللغوي لمادة "ح ذ ف" وجدناها تدور حول القطع من طرفه[3] بينما يقابل في الاصطلاح لدى الغربيين بمصطلح ELLIPS الذي يعني " استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة[4] إذن يكون بحذف في جزء من الجملة الثانية ويدل عليه دليل

---

(1) ينظر ، دوبو جراند ، النص و الخطاب والإجراء ، ص 99 .

(2) طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، الدار الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع ، الإسكندرية،د،ت،ص 6 .

(3) لسان العرب ، مادة ح ذ ف . ينظر المعجم الوسيط ن ج 1 ، ص 169 .

(4) دوبو جراند ، النص و الخطاب و الاجراء ، ص 302 .

في الجملة الأولى ولا يحل محل المحذوف أي شيء، ومن ثم نجد في الجملة الثانية فراغا بنيويا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق[1]

مثالنا على ذلك هو: هل جاء محمد ؟ نعم .

فالمحذوف في الجملة الثانية و جاء محمد " الفعل و الفاعل" .

وكما سبق الذكر أن النحاة و البلاغيين و المفسرين اهتموا بظاهرة الحذف نظرا لأهميتها في فهم الكلام، فقد تحدث سيبويه عن القرائن، ومهمتها في إباحة الحذف، في أكثر من باب في كتابه[2] و هذا ابن هشام يقول عن الحذف : " إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولا أو ثانيا فكونه ثانيا أولى[3].

إذن هنا إشارة إلى موضع الحذف بأنه يكون في الجملة الثانية لأن الأولى تحوي الدليل على المحذوف و مثالنا على ذلك قوله تعالى:**(وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) النحل / 16**

نلاحظ أن الدليل والقرينة موجود في الجملة الأولى فالمرجعية واضحة بين الفراغ الذي يعبر عن المحذوف في الجملة الثانية والمذكور في الجملة الأولى .

وذكر ابن هشام شروطا ثمانية لحذف، كان أولا وجود دليل إحالي ....أو مقالي ...أو صناعي ....[4] و تطرق الزركشي لهذه القضية و أفاد أنه من شروط الحذف أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف إما من لفظه أو من سياقه، وإن لم يتمكن من

---

[1] محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص : 21 .

[2] ينظر سيبويه ، الكتاب ، ج 1 ، ص : 253 – 260 و الأبواب هي :

أ – حذف الفعل في الأمر و النهي ج 1 ، ص 253 .ب- حذف الفعل في غير الأمر و النهي ، ج 1 ، ص 257 ، ج – حذف الفعل و حرف ، ج 1 ، ص 258 .

[3] ابن هشام ، مغني اللبيب ، ج 2 ، ص 163 .

[4] ا لمرجع نفسه ، ج 2 ، ص 156 –158.

معرفته، فيصير اللفظ مخلا بالفهم ... وهو معنى قولهم " لا بد أن يكون فيما أبقى دليل على ما ألقي، و تلك الدلالة مقالية وحالية[1]

وهو ما ذهب إليه المحدثون العرب و الغرب، فهذا هاليدي ورقية حسن يشيران إلى أنه يوجد الحذف أينما يوجد افتراض مقدم أو دليل عليه[2]

ولوجود الدليل أو القرنية تمكن المرجعية بين المذكور والمحذوف في أكثر من جملة و هو يعد مرشدا للقارئ ليهتدي إلى إيجاد ومعرفة المحذوف وكيفية تقديره .

وقد قسم علماء العربية قضية الحذف إلى أنماط، وأفرد لها ابن هشام قسما خاصا و نجملها في:

- حذف الاسم مثل حذف المضاف أو المضاف إليه أو مضافين أو ثلاثة متضايفات، والموصول الاسمي والصلة والصفة والموصوف، والمعطوف والمعطوف عليه،و المبتدأ والخبر، والمفعول والحال والاستثناء ...الخ والأسماء المذكورة آنفا قد تكون مركبات جملية "أي جمل " .

- حذف الفعل وحده أو مع مضمر مرفوع أو منصوب أو معهما ولا شك أن حذف الفعل المضمر المرفوع يمثل جملة .

- حذف الحرف أو الأداة، مثل حذف حرف العطف، و فاء الجواب وواو الحال، وما " النافية، و قد " وما المصدرية، وكي المصدرية، و أداة الاستثناء، و أن النافية، و حرف النداء .....الخ .

- حذف الجملة كما في حذف جملة الشرط، وجملة جوابه، وجملة القسم وجوابه .

- حذف الكلام بجملته .

---

[1] الزركشي ، البرهان ، ج 3 ، ص : 111 و ما بعدها .

[2] Halliday & hassan . cohesion in English , p 144

- حذف أكثر من جملة[1]

بينما قسم هاليدي ورقية حسن الحذف إلى أنواع ثلاثة هي: الحذف الفعلي والاسمي و القولي[2] وأكثر أنواع الحذف تتحقق في جملة الاستفهام لأنها تعد الدرجة القصوى للحذف المعجمي ، لأن جملة الاستفهام تشمل على دليل الحذف، و مثال ذلك:

هل أنت تعوم ؟ نعم .

ماذا تفعل ؟ العوم[3]

و التقدير :

- نعم أعوم .
- أمارس العوم .

وقد ذكرا أنواعا أخرى للحذف مثل: حذف الإطارين الزماني و المكاني، الحذف القصصي مثل حذف الشخصيات .....الخ [4] وأجملا الحذف في أنواع رئيسية هي :

- حذف الاسم .
- حذف الفعل .
- حذف العبارة

---

(1) ينظر أ – مغني اللبيب ، ج 2 ، ص 162 – 176 .

ب – الزركشي ، البرهان ، ج 3 ، ص 193 .

ج – السيوطي ، الإتقان ، ج 3 ، ص 184 – 192 .

د – الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 300 .

و – أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 187.

(2) HALLIDAY & R. HASSAN , COHESION IN ENGLISH , P 144

(3) Ibit P. 142

(4) Ibit P. 142

-حذف الجملة .

-حذف أكثر من جملة .

و أكثر ما يلفت الانتباه حذف الأفعال لأن التراكيب الإنجليزية يمكن أن تتخلى عن العناصر الأخرى بيسر أكبر من العبارات التي تحذف منها الأفعال ،أما في اللغة العربية فقد تحذف جميع العناصر الاسمية و الفعلية و الحرفية بدرجة واحدة، والسؤال الذي يطرح يتمثل في هذه الأنواع من الحذف ما هي العلاقة التي تربطها بوسائل التماسك النصي الأخرى و بخاصة الاستبدال و الإحالة (المرجعية)

2-علاقة الحذف بالإبدال و الإحالة :

من المسائل النصية التي أثارت الخلاف بين النصيين علاقة الحذف بالإبدال إذ أن كلا منها يمثل علاقة إبدال بين عنصر متقدم ومتأخر ، لكن الحذف هو إبدال من الصفر (SUBBSTITUTION BY ZERO) أو ما يعرف بالمعنى العدمي [1] أي أن علاقة الإبدال تترك أثرا، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال ، و علاقة الحذف لا تخلف أي أثر [2] بل تترك فراغا بنيويا يملؤه القارئ اعتمادا على الجملة الأولى أو على السياق الخارجي .

مثال ذلك : جون يقرأ قصيدة قصيرة ،و كاترين " ...." قصة .

فالملاحظ أن المكان الخالي في الجملة الثانية من وجهة نظر الباحثين هاليدي و رقية حسن يعد صفرا ، لأنه خال من الكلام ، فهو يعبر عن الاستبدال الصفري ، بينما المثال ذاته لا يمثل مفهوم البدل في النحو العربي ، بل هو نوع من تكرار اللفظ " بالفعل " و من ثم فإن التكرار هو الذي يسهم في تماسك هاتين الجملتين .

و من الأمثلة التي وردت في كتب النحو العربية ما أورده المبرد من قول قيس بن الخصيم

---

[1] دوبوغراند، النص والخطاب والأجراء، ص340

[2] ينظر محمد خطابي، لسانيات النص، ص21

بحر (رمل):

نحن بما عندنا و أنت بما   عندك راض و الرأي مختلف

تقديره :نحن بما عندنا راضون ،و أنت بما عندك راض .

فالمحذوف هنا توضح من خلال دليل الحذف في الشطر الثاني من البيت و يمكن تمثيله بالمخطط الأتي :

نحن + بما + عندنا (......)

أنت + بما + عندك + راض   إبدال عن الصفر* [1]

فالتماسك قد يحقق عبر عدة وسائل هي :

- المرجعية بين الشطرين .

- وجود دليل على المحذوف في الشطر الثاني .

-تكرار اللفظ نفسه .

و في الأخير نجد أن العلاقة يبين الإبدال والحذف هي كعلاقة الحذف بالتكرار في اللغة العربية ، لذا فالإبدال في الإنجليزية لا يماثل الإبدال في العربية.

3- علاقة الحذف بالمرجعية (الإحالة) :

إن الحذف هو استبدال عدمي، ومن شروط إباحة الحذف وجود دليل في الجملة الأولى، فهذا الدليل " هو مرجع " يعبر على أن الحذف له طبيعة مرجعية سابقة، كما لوحظ في المثال " * " و قد يكون ذا مرجعية لاحقة ، ومن ثم فإن المرجعية (الإحالة) إذا كانت بين مذكور و محذوف فهي داخلية سابقة أما إذا كانت بين المحذوف و المذكور فإنها تكون داخلية لاحقة .

---

(1) ينظر المبرد ، المقتضب ، ج 4 ، ص 73

إذن فمرجعية الحذف مزدوجة و ذلك على مستوى الجمل ، بينما إذا كانت على مستوى الجملة الواحدة فإن الدليل أو القرينة التي تساعد على تقدير المحذوف هي المرجعية الخارجية التي لا تسهم في تحقيق التماسك النصي لأنه يعتمد على العلاقات بين الجمل و ليس بين جملة و سياق خارجي.[1]

كيفية تحقيق التماسك من خلال الحذف :

إن علاقة الحذف هي بمعنى تقدير مبني محذوف و ذلك بالاستعانة بدليل سابق أو لاحق " لذا يعد البحث عن هذا الدليل " و عند إيجاد العناصر المحذوفة تعتبر و كأنها مذكورة ، فيطبق عليها ما يطبق على النص الكامل العناصر .

و لاحظنا أن الحذف يعتمد على وسيلتين من وسائل التماسك النصي و هما التكرار و المرجعية ، إذن فالبحث بالاستعانة بها عن العناصر المحذوفة يمثل بحثا عن عناصر تساهم في تحقيق التمسك النصي .

و قد أدرك علماؤنا دور الحذف في تحقيق التماسك بين عناصر النص ، فالسيوطي في كتابه الإتقان أطلق عليه مصطلح " الإحتباك " أي بمعنى أن الحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ،و من الثاني ما أثبت نظيره في الأول ..... و مأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشد و الإحكام و تحسين أثر الصنعة في الثوب ، فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج وشده وأحكامه ، بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن و الرونق ،و بيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط ، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه و حوكه ، فوضع المحذوف مواضعه كان حابكا له مانعا من خلل يطرقه ، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل " 2 "

فهذا نظرة متقدمة فاحصة تدل على اتساع مدارك علماء العرب الذين أكدوا على وسائل التحليل النصي ولكن بطريقة ضمنية.

---

[1] HALLIDY & R.HASSAN, COHESION IN ENGLISH, P 144

والشيء الذي لا يمكن تجاهله كون النصوص موجهة نحو قارئ يستقبله ليستوعب بالفهم والتفكيك، فهو من يستخلص هذه الوسائل ليعبر عن مدى تماسك نص ما من النصوص ونصنا هو النص القرآني الموجه إلى الملتقى الأول " الرسول " الذي نقله إلى المتلقين الآخرين ، المؤمنين الذين يتدارسونه ويتدبرونه بينما النوع الثاني من المتلقين هم الكافرين فصفة التماسك أمر حاصل في النص القرآني لكننا نحاول إبراز دور هذه الوسائل في تحقيق التماسك في ضوء اللسانيات النصية.

الحذف في سورة الحجر بمنظور لسانيات النص:

إن الغاية من التحليل هو بيان وظيفة الحذف في التماسك النصي وكيف يتم ذلك ، من خلال:

١- تقدير المحذوف .

٢- الصلة بين المحذوف والمذكور .

٣- الصلة الحذف بالإحالة والتكرار .

وكما وضح في الجانب النظري عرفنا أن الحذف أنماط. (حذف الاسم والفعل والعبارة والجملة)، وكما هي وظيفة الوسائل الأخرى يتجلى دور الحذف في تحقيق التماسك بين الآيات المتقاربة أو المتباعدة في السورة إلى جانب التماسك بين عناصر الجملة الواحدة .

في البداية نستعرض الآيات التي ورد فيها حذف الاسم .

يقول تعالى : **(ألر تلك آيات الكتاب و قرآن مبين)** / 1

(كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) / 12 .

(لا يؤمنون به و قد خلت سنة الأولين) / 13

(و إن من شيء إلا عندنا خزائنه و ما ننزله إلا بقدر معلوم) / 21

(قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض و لأغوينهم أجمعين) / 39

(إن المتقين في جنات وعيون) / 45 .

(ادخلوها بسلام آمنين) / 46 .

(و نزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) / 47

(قال إنا منكم وجلون) / 52

(قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين)/ 58

(قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) /63

(قالوا أولم ننهك عن العالمين) / 70

(قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين) /71

(إن في ذلك لآيات للمتوسمين) 75 .

(إن في ذلك لآية للمؤمنين)

(إن كفيناك المستهزئين)/ 96

الآية	الدليل	المحذوف	سابق	لاحق	المرجعية	نوع التماسك " طبيعته "
1	آيات	" آيات " قرآن مبين	سابق	-----	داخلية	بين الآية وجميع آيات السورة بين الآية و آيات السورة السابقة
12	نسلكه	" مسلكا " في قلوب المجرمين	-----	لاحق	داخلية	بين الآيتين 11 و 12
10	أرسلنا	" من رسل " قبلك	سابق	------	داخلية	بين الآيتين 10 و 11
21	ما نتزله	من شيء " متزل "	-----	لاحق	داخلية	بين جملتين في الآية 21
38	من المنظرين	" منظر " إلى يوم الوقت المعلوم	سابق	-----	داخلية	بين الأيتين 37 و 38
39	بما أغويتني.	لأزينن لهم "	سابق	------	داخلية	بين عناصر الأية الواحدة

		الغواية "				
45	المتقين	مستقرون "في جنات وعيون"	سابق	------	داخلية	بين عناصر الآية الواحدة
46	آمنين	"سالمين" آمنين	------	لاحق	داخلية	بين عناصر الآية 46 و 45
52	سلاما	قال "سلاما" إنا منكم وجلون	سابق	------	داخلية	بين عناصر الآية الواحدة
58	آل لوط	قوم "لوط المجرمين"	------	لاحق	داخلية	بين الآيتين 58 و 59
63	جئناك	"بالحق" كانوا فيه يمترون	سابق	------	داخلية	بين عناصر الآية الواحدة
70	ننهك	عن "ضيافة العالمين"	سابق	------	داخلية	بين عناصر الآية الواحدة
71	هؤلاء بناتي	"أطهر لكم "إن	سابق	------	داخلية	بين عناصر الجملة الواحدة

		كنتم فاعلين				
75	في ذلك	"النبأ" لآيات للمتوسمين	سابق	------	داخلية	بين الآيات 51 إلى 75
77	في ذلك	" النبأ" لآية للمؤمنين	سابق	------	داخلية	بين الآيات 51 إلى 77
96	المستهزئين	"استهزاء " المستهزئين	------	لاحق	داخلية	بين عناصر الآية الواحدة

من خلال التحليل عبر الجدول السابق نجد أن دليل الحذف دليل مقالي " ضمن سياق النص " و ليس مقاميا لذا تحقق من خلاله التماسك الشكلي و الدلالي بين المذكور والمحذوف عبر عناصر الآية الواحدة أو بين الآيات المتجاورة أو المتباعدة، فالدليل نجده من طبيعة المحذوف لأنه من لفظه، وإحالته إما سابقة أو لاحقة " داخلية " .

و لا شك في أن المرجعية تحققت نظرا لوجود التكرار بين كل من لفظ المذكور و المحذوف المقدر إما تكرار لفظيا كما في الآيتين " 52 " و " 96 " أو معنويا كما في الآيات الأخرى . وقد سبق إثبات أن التكرار من وسائل تحقق التماسك النصي .

و تظهر أهمية علاقة الحذف في أن الدليل لم يقتصر على حدود الآية الواحدة بل كان بين الآيتين المتجاورتين كما في " 11 " و " 12 " .....الخ أو بين آيتين غير متجاورتين " 51 و 75 " أو بين الآية الواحدة و جميع آيات السورة كما في الآية " 01 " التي تعد نواة النص أو الجملة الهدف – على حد تعبير اللسانين النصيين .

2- الآيات التي ورد فيها حذف الفعل :

يقول تعالى :(**ذرهم يأكلوا و يتمتعوا و يلههم الأمل فسوف يعلمون**)/ **3**

(و الأرض مددناها و ألقينا رواسي و أنبتنا فيها من كل شيء موزون) / 19

(وجعلنا لكم فيها معايش و من لستم له برازقين)/ 20

(و الجان خلقناه من قبل من نار السموم)/ 27 .

(و ما خلقنا السماوات و الأرض و ما بينهما إلا بالحق و إن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل)/ 85 .

(و لقد آتيناك سبعا من المثاني و القرآن العظيم) / 87

(كما كانوا يعملون)/ 93 .

و يمكن توضيح التحليل عبر الجدول التالي :

الآية	الدليل	المحذوف	سابق	لاحق	المرجعية	طبيعة التماسك
03	ذرهم	" ذرهم " يتمتعوا	سابق	-----	داخلية	داخلية بين عناصر الآية الواحدة
19	مددناها	" مددنا " الأرض	-----	لاحق	داخلية	بين عناصر الجملة الواحدة
20	فيها معايش	"وأعشنا" من لستم له برازقين	سابق	-----	داخلية	بين عناصر الآية الواحدة
27	خلقناه	"خلقنا" الجان	-----	لاحق	داخلية	بين عناصر الجملة الواحدة
85	ما خلقنا	"ما خلقنا" الأرض ما "خلقنا" ما بينها	سابق	------	داخلية	بين عناصر الآية الواحدة
87	آتيناك	آتيناك القرآن العظيم	سابق	------	داخلية	بين عناصر الآية الواحدة و بين الآية 87 و الآية 01
93	لنسألهم	" نسألهم عما كانو ا يعملون	سابق	-----	داخلية	بين الآيتين"92" و" 93"

من الملاحظ في هذا النمط من الحذف أن الفعل نجده مع فاعله (فهما يشكلان مركبا فعليا) لكننا أدرجناه ضمن حذف الفعل لأن الفعل هو الأظهر ويتميز باحتوائه الحدث بالدرجة الأولى و الأمر الثاني أن حذف الجمل قليل وروده في السورة لذا كان اهتمامنا بالنمط الأول .

و يظهر الدليل كذلك في هذا النمط انه من طبيعة المحذوف، فهما متطابقان لفظا و دلالة في الآيات المذكورة و في الجدول مما أدى إلى تحقيق التماسك الشكلي والدلالي بين عناصر آيات السورة، بينما المرجعية تتنوع بين مرجعية سابقة و لاحقة بحيث تربط بين عناصر الجملة الواحدة كما في " 27 " و بين عناصر الآية الواحدة كما في " 03 " و " 85 " و بين الآيتين المتجاورتين كما في " 92 " و " 93 " .

3- الآيات الواردة فيها حذف شبه الجملة:

يقول تعالى : **(ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) / 5**

(فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) / 94

و نورد توضيحا للحذف في الجدول التالي :

الآية	الدليل	المحذوف	سابق	لاحق	المرجعية	طبيعة التماسك
05	أجلها	يستأخرون عنه(*)	سابق	------	داخلية	بين عناصر الجملة الواحدة
94	فاصدع	بما تؤمر " به " (**)	سابق	------	داخلية	بين عناصر الآية الواحدة

من الجدول نلاحظ أن هذا النمط من الحذف يشتمل على حرف الجر + عائد يعود على الدليل فهذا الضمير يربط بين المحذوف و المذكور و بذلك حقق التماسك الشكلي و الدلالي بين عناصر النص و المرجعية هي مرجعية داخلية سابقة إذ تربط بين عناصر الآية الواحدة كما في الآيتين " 05 " و " 94 " .

(*)، العكبري إملاء ما من بد الرحمن من وجوه الإعراب، ص 371 .

(**)المرجع نفسه، ص 373.

4- الآيات الواردة فيها حذف الحرف:

ورد هذا النمط في آية واحدة في قوله تعالى:**[وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين] /66.**

وتقدير المحذوف كما هو موضح في الجدول التالي:

الآية	الدليل	المحذوف	سابق	لاحق	**الإحالة**	طبيعة التماسك
66	ذلك	(ب)أن دابر(*)	سابق	-	داخلية	بين عناصر الآية الواحدة.

نلاحظ أن المحذوف هو حرف جر زائد يستخدم للاستعانة ويبين نتيجة كفر المشركين فالعلاقة بين المحذوف والدليل علاقة سبب بنتيجة،فتحقق بذلك التماسك الدلالي بين عناصر الآية، ومرجعيته سابقة حيث ربطت بين عناصر الآية الواحدة.

من خلال هذا الفصل الخاص بوسائل التماسك النصي الشكلية(النحوية الدلالية) تناولنا الحديث عن وظيفة الضمائر بأنواعها في الإحالة والمرجعية سواء كانت داخلية (سابقة أو لاحقة) أو كانت خارجية إلى جانب إبراز دور التوابع من عطف وتوكيد وبد ونعت في تحقيق التماسك الشكلي من خلال الربط بين عناصر النص المتجاورة والمتباعدة،وأشرنا إلى أهمية الحذف في تحقيق التماسك وعلاقته بالإبدال .

فجميع هذه العناصر تعد من وسائل التماسك النصي،والملاحظ أن العلماء العرب أشاروا إلى دور هذه العناصر في الربط بين أجزاء النص لفهم الكلام فيها سليما صحيحا،الأمر الذي وافق النظريات النصية الحديثة عند علماء الغرب.

() ينظر العكبري، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الأعراب والقراءات في جميع وجوه القرآن،ص372.

فكان العلماء العرب يملكون نظرة استشرافية لكنهم في تحليلاتهم النصية لم يؤسسوا النظرية نصية قائمة بذاته،بل نجدها متفرقة بين كتب النحو والبلاغة والنقد والتفسير.

الفصل الثالث

المستوى الدلالي

أولا–علم المناسبة

ثانيا–أهمية المناسبة

ثالثا–أنواع المناسبة

1–تكرار الفاصلة الواحد

ب–الإجمال والتفصيل

ج–ترتيب الجمل حسب ترتيب الأحداث

د–علاقة التضاد

أولا–علم المناسبة:

إن علم المناسبة علم شريف المأخذ لم يظهر إلا في بغداد على يد إمام جليل هو أبو بكر النيسابوري، فكان في تفسيره القرآن يطلب الحكمة من جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة، وهذا العمل وضع البنية الأولى لظهور علم المناسبة.ولقد تحدث الكثير من المفسرين أمثال الزمخشري في الكشاف والرازي في تفسيره الكبير،على الرغم من أن الأول لم يستخدم قط كلمة المناسبة.

والمناسبة هي البحث عن علاقة آية القرآن بأخرى متقدمة، والمفسر يشرع في البحث عن المناسبة حين تنقطع الصلة بين آية وآية أو آيات سابقة.

إذن فهي تسعى إلى الربط الدلالي بين الآيات المتجاورة أو المتباعدة، فهناك مرجعية سابقة يعود إليها المفسر ليبنى عليها المناسبة بين الآيات،إنها بحق تعبر عن مفهوم التماسك النصي في النص القرآني.

وبالبحث عن موقع المناسبة في الدراسات النصية الحديثة ودورها في تحقيق التماسك النصي، نلاحظ أنها تذكر ضمن وسائل التماسك، لأنها مرتبطة بالنص القرآني المترل بلسان عربي، فكانت بعيدة عن اهتماماتهم اللسانية لكننا نرى أنها تمثل وسيلة من وسائل التماسك النصي، شكليا ودلاليا.

لقد كان المفسرون يمارسون في تفاسيرهم مفهوم المناسبة عند قولهم مثلا"ذكروا في اتصال هذه الآية بما قبلها وجوها ..."[1] أو قولهم: "في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه..."[2] وقد قسموا المناسبة إلى نوعين:مناسبة معنوية ومناسبة لفظية، فهذا ابن أبي الأصبع المصري (654هـ) قسمها إلى نوعين:

---

[1] ينظر الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص36.

[2] المرجع نفسه ، ص37.

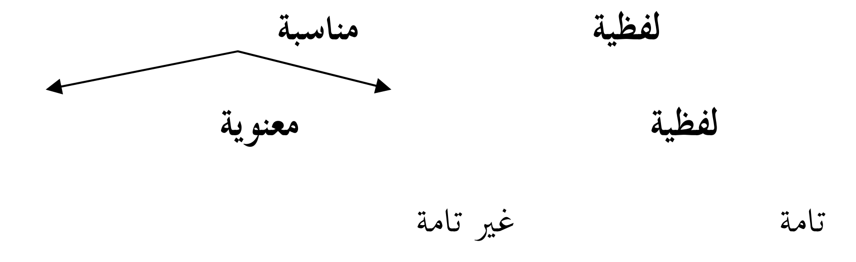
مناسبة في المعاني، ومناسبة في الألفاظ، فالمعنوية أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ[1]، كقوله عز وجل: أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم،كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، الأنفال/ 4و5"، فإنه سبحانه وتعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كرى أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب الخير وهم كارهون[2] إذن فالمناسبة هنا معنوية لأن معنى الآية4 اكتمل بالآية 5 المناسبة لمعناه.فالمعنى المشترك هو"الكرة"

"وأما المناسبة اللفظية فهي توخي الإتيان بكلمات متزنات وهي على ضربين: تامة وغير تامة، فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة وأخرى ليست بمقفاة...... ومن شواهد التامة قول الرسول صلى الله وعليه وسلم : (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة).

فقال"لامة و لم يقل ملمة،وهي القياس لمكان المناسبة اللفظية التامة،.........

ومن أمثلة المناسبة الناقصة (غير التامة) قوله صلى الله وعليه وسلم: (إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا)فالتناسب بين أخلاق وأكناف مناسبة اتزان دون تقفيه"[3]

والمخطط الآتي يوضح أنواع المناسبة:



---

[1] ابن أبي الأصبع المصري ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق د/ حفني حسن ، دار المعارف، القاهرة، ص260

[2] البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص47.

[3] تحرير التحبير، ص366-368.

وقد ذكر الزركشي ضرورة وجود معنى رابط يربط بين الآيات المتناسبة .بمعنى أن مرجع المناسبة بين الآيات يعود إلى معنى رابط بينها أولي أو خيالي متمثل في الأسباب: التنظير المضادة، الاستطراد، الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطا للسامع[1].

بينما قسم السيوطي المناسبة إلى:

1- بيان مناسبات ترتيب سورة وحكمة وضع كل سورة منها.

2- بيان أن كل سورة شارحة لما أجمل في السورة التي قبلها.

3- وجه اعتلاق فاتحة الكتاب بخاتمة السورة التي قبلها.

4- مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له،وذلك براعة الاستهلال.

5- مناسبة أوائل السورة لأواخرها.

6- مناسبات ترتيب آيات،واعتلاق بعضها ببعض،وارتباطها وتلاحمها وتناسبها .

7- بيان فواصل الآي،ومناسبتها للآي التي ضمت إليها.

8- مناسبة أسماء السور لها[2] .

من خلال هذه الأنواع نستشف الحاسة النصية التي امتلكها المفسرون في تحليلهم للنص القرآني إذ عدوه (القرآن الكريم) كالكلمة الواحدة وراحوا يبحثون عن العلاقات القائمة بين مكونات السورة الواحدة وفي عدة سور.فالمناسبة بهذا المفهوم تحقق استمرارية عبر الكلمات والعبارات والجمل من خلال المعنى الرابط بينها ومن ثم تظهر أهمية المناسبة في التماسك النصي.

---

[1] البرهان ، ج1، ص46-49.

[2] ينظر تناسق الدرر في تناسب السور ، ص65-66.

ثانيا–أهمية المناسبة في التماسك النصي:

إن البحث عن المناسبة هو بالضرورة يعني البحث عن الرابط بين المتناسبين ،لأن الآيات المتجاورة توضع بحيث تكمل كل واحدة منها الأخرى أو ما قبلها،أو مستقلة عنها[1]، أي أننا نقوم بالبحث عن الرابط بين المتناسبين من الآيات،ومن ثم فإننا نرجع بالضرورة إلى علاقة المرجعية التي تكون إما لمتقدم أو متأخر وإذا تحققت هذه المرجعية تحقق التماسك بينهما.

والغاية من البحث عن المناسبة على حد قول الزركشي هي:"جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط،ويصير التأليف حاله البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[2]،وعندما تنقطع الصلة بين آية وآية أخرى يلجأ المفسرون تارة إلى أسباب النزول وأخرى إلى شرح مطول،على خلاف ما يفعلون حين تكون العلاقة متجلية في سطح الخطاب أو ثاوية في عمقه"[3].

وينقل الزركشي عن طريق المشابهة، طريقة البحث عن المناسبة بين الآيات،بل بين السور كذلك بقوله:"فالذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم،وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له[4] "لأن لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط بين آيه.

وقد نوه المفسرون بأهمية المناسبة لأنه من خلالها نصل إلى ما عبر عنه الزركشي في كتابه بقوله"ارتباط، آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة،متسقة

---

[1] ينظر السيوطي، الإتقان،ص37.

[2] البرهان،ج1، ص36.

[3] ينظر محمد خطابي، لسانيات النص، ص192.

[4] البرهان،ج1،ص36.

المعاني، منتظمة المباني..."[1]، وهذا الحديث يؤكد على تجاوز نظرة المفسرين القدماء حدود الآية الواحدة إلى النص بكامله، وذلك بالبحث عن العلاقات بين آي السورة الواحدة.

وحتى بين السور المختلفة، لذا عدوا القرآن الكريم كالكلمة الواحدة لشدة تماسكه.

ولقد تحدث الرازي عن علم مناسبات الآيات والسور وارتباط بعضها البعض حتى تصير شيئا واحدا، وبناء متينا لا خلل بين أجزاءه[2] وكان أسلوبه في تفسير القرآن يتمثل في "البدء بذكر آية أو مجموعة آيات ثم يبدأ بالتقديم لها بشكل مختصر وهذا ما يسمى بعلم التناسب بين الآيات وهذا العلم يحتاج إلى عقلية تتميز بسعة الأفق؛ إذ إنه يخدم معنى الآية لأنه يربط الآية بما سبقها من الآيات (...) وقد درع الرازي في ربط الآيات السابقة بالآيات اللاحقة"[3]

إذن علم المناسبة بين الآيات علم جم من خلاله اقترب العلماء القدامى (المفسرون) من التحليل النصي الحديث لأن المناسبة تحقق الربط بين الآية وما سبقها لذا فهي تعبر عن مفهوم التماسك النصي وتعمل بذلك على تحقيقه

ثالثا–أنواع المناسبة:

1.المناسبة بين اسم السورة ومضمونها

إن البدء بالحديث عن المناسبة بين اسم السورة (العنوان) ومضمونها يفسر كون العنوان أول ما تقع عليه عين القارئ أو المحلل "فهو يعد مفتاحا أساسيا يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها"[4]

---

[1] المرجع نفسه،ج1،ص36.

[2] ينظر الكرماني، أسرار التكرار في القرآن الكريم، ص 245

[3] مقدمة المحقق لمفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج1، ص 18.

[4] جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، العدد 3، 1997، ص 96.

والنص قد يكون مكملا للعنوان أو موضحا له، حيث يستطيع العنوان أن يقوم بتفكيك النص، من أجل تركيبه، عبر استكناه بنياته الدلالية والرمزية وأن يضئ لنا ما أشكل من النص وغمض[1]وقد أولت الدراسات المعاصرة العنوان أهمية كبيرة باعتباره يقوم باحتواء مدلول النص، وغني عن البيان أن طبيعة العلاقات بين النص وعنوانه من المباحث الحيوية الطريفة التي ما زالت بحاجة إلى دراسات تحليلية عميقة[1]

ونوه علماءنا القدامى بأهمية اسم السورة حيث ذهب الزركشي إلى أن تسمية السورة باسم معين "ليست إلا تعضيدا لتقليد معلوم لدى العرب وهو تقليد يراعي في كثير من المسميات أخذ أسماءها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه (...) يسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر ما فيها، وعلى ذلك جرت أسماء صور الكتاب العزيز"[2]

فالعنوان يعد بحق العتبة الأولى التي يطأها المحلل للولوج إلى أغوار النص والمفتاح الإجرائي الأساسي للمحلل لاستنطاق النص

2-مناسبة اسم سورة الحجر لمضمونها:

إن إطلاق اسم الحجرة على هذه السورة يعلن ويشير إلى حدث مذكور فيها؛ لأن أصحاب الحجر (من أهل ثمود) ذكروا في سور عدة لكنهم لم يذكروا باسم أصحاب الحجر، فوجه التسمية إذن أن اسم الحجر لم يذكر في غيرها[3]

والحجر اسم البلاد المعروفة بهر ثمود التي تقع بين المدينة المنورة والشام[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص 96.

[1] ينظر محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1989، ص 48.

[2] البرهان، ج1، ص 270.

[3] ينظر التحرير والتنوير،ج13، ص 5.

[4] التفسير الكبير، ج9، م 12، ص 209.

وسميت السورة باسم قوم وردت قصتهم فيها؛ لأنهم كذبوا رسول الله (صالح) بعد ما جاءهم بآياته (آية الناقة) "وكان في الناقة آيات كثيرة كخروجها من الصخرة وعظيم خلقها ونتاجها عند خروجها وكثرة لبنها"[1] لكنهم اشتغلوا بأمور الدنيا من بناء البيوت وتحصينها وتحسينها ونسوا أنها لا تأمنهم من عذاب الله.

فمناسبة تسمية السورة باسم قوم ثمود تكمن في أنهم نموذج صادق من نماذج الكافرين المكذبين الطاغين الذين غرتهم الحياة وغرهم اللهو والأمل في الخلود، حتى جاءهم عذاب الله بما كانوا يكسبون، وبإطلاق هذا الاسم على السورة وتعميمه عليها ليكونوا عبرة للأقوام الكافرين الذين يمشون على خطاهم ويتبعون سبيلهم من كفار قريش وغيرهم وبأنهم سيلاقون الجزاء ذاته إن لم يرشدوا

ومضمون السورة يدور حول اسمها ويعتبر تفصيلا له ،فبقوله تعالى :(**ألر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين(1)**) يشير إلى جميع آيات السورة التي من ضمنها قصة أصحاب الحجر.

وقوله أيضا : (**وَلَقَدْ عَلِمْنَا اَلْمُسْتَقْدَمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمنَا المستأخرين (24)**) فهؤلاء المستقدمون هم الذين تقدموا الأحياء إلى الموت أو إلى الآخرة ومن بين المستقدمين من قوم صالح الذين أخذتهم الصيحة مصبحين ،فلم تبق غير آثارهم شاهدة عليهم.

وما الآيات الكونية وقصة أصل الغواية إلا آيات ودلائل على قدرة الله وعلمه وأنه الخالق المستحق للعبادة والمتصف بالألوهية حيث يملك الرحمة والعذاب في قوله: (**نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم(49) وأن عذابي هو العذاب الأليم(50)**).

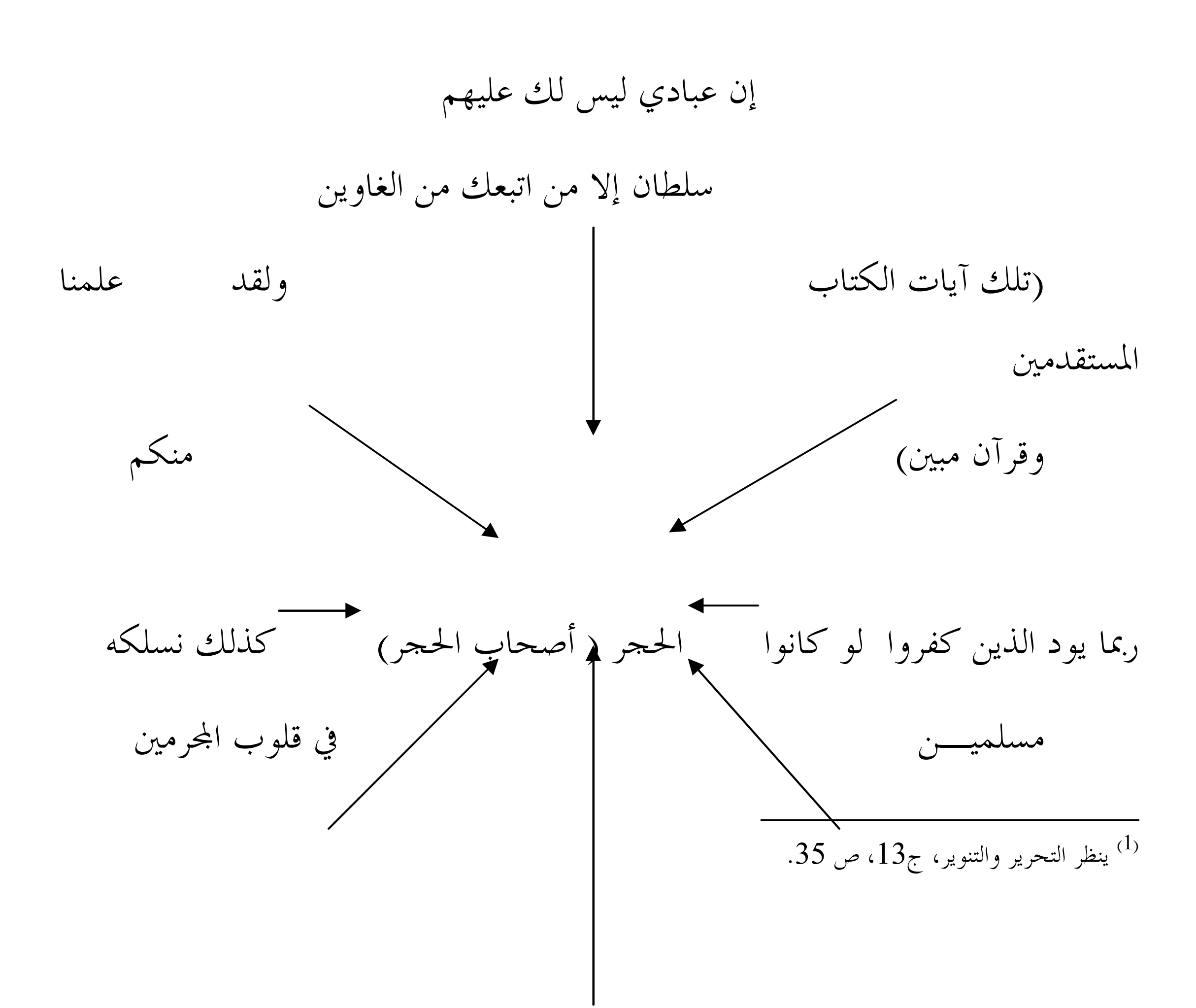
---

[1] ينظر المرجع السابق، ج 9، م12، ص 209

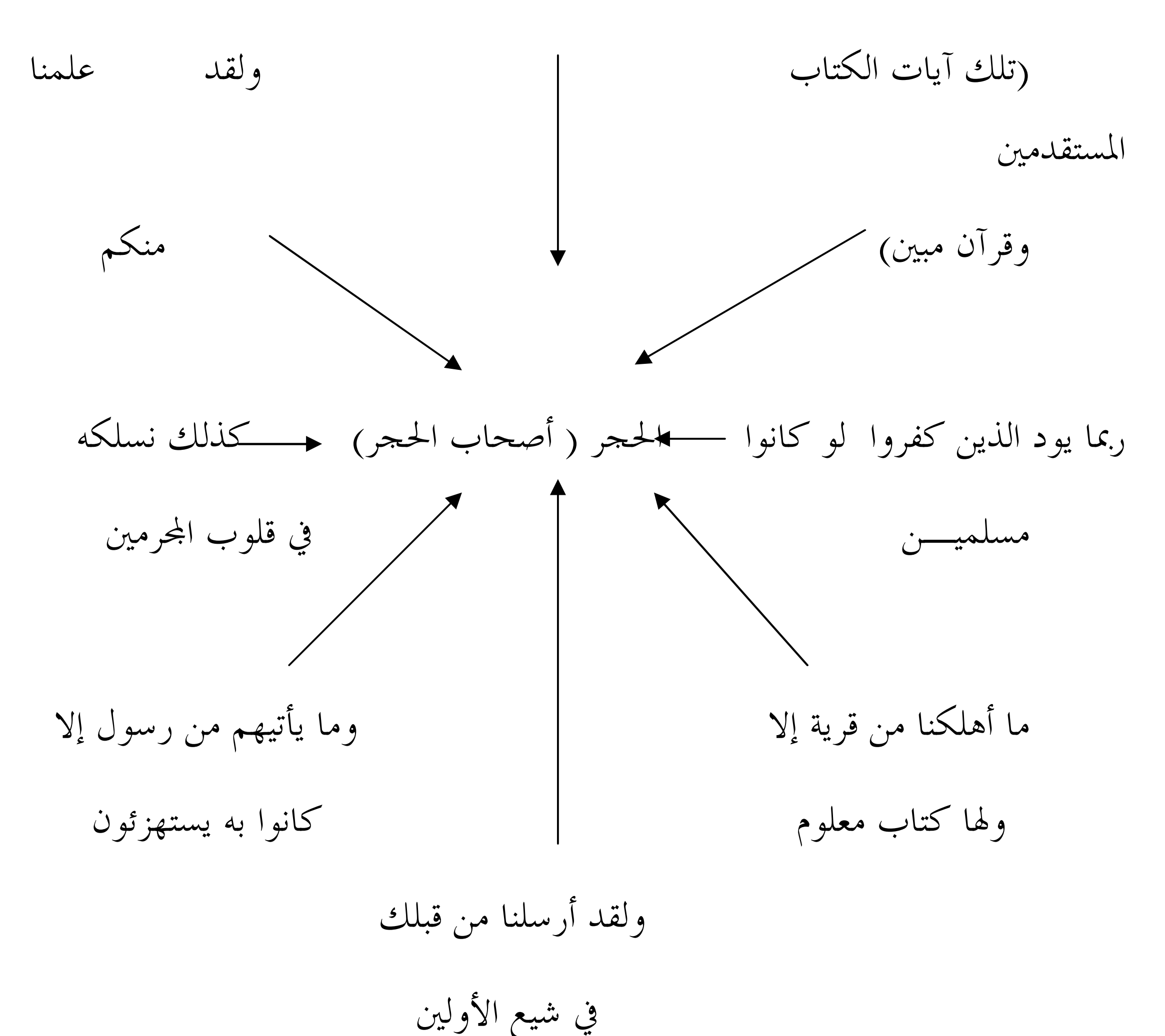
وتكشف الآيات في الأخير عن الحق الكامن في خلق السماوات والأرض المتلبس بالساعة وما بعدها من ثواب وعقاب[1]، إذ خلق الله الموجودات لحكمة لا يعلمها إلا هو، وكان من عدله أن يعاقب الكافر بكفره ويجازي المؤمن بإيمانه.

والآيات التي تقص قصة أصحاب الحجر تلخص لنا مضمون السورة، بما تشمل عليه من وصف حال الكافرين رغم إرسال الله إليهم رسله لذا استحقوا العقاب بما كفروا وأجرموا، يقول تعالى في الآيات المتحدثة عن أصحاب الحجر: (**ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين (80) وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين (81) وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين (82) فأخذتهم الصيحة مصبحين (83) فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (84)**) .

ونلخص الارتباط الوثيق والمناسبة بين اسم السورة (الحجر)ومضمون من خلال المخطط التالي:



[1] ينظر التحرير والتنوير، ج13، ص 35.



فنلاحظ أن جميع هذه الآيات تحيل إحالة قبلية إلى اسم السورة (الحجر) التي تعبر عن قصة قوم من أقوام المشركين.

والتماسك يتحقق بين اسم السورة ومضمون عبر تكرار اسم السورة (الحجر) في الآية (80) وعبر مرجعية الضمائر والاسم الظاهر في(الحجر، آتيناهم، فكانوا، وكانوا، ينحتون، فأخذتهم، عنهم، كانوا، يكسبون) فجميعها يرجع مرجعية سابقة إلى اسم السورة(الحجر).

وكذلك يحدث التماسك عبر الوحدة القائمة بين القصص المذكور في السورة؛ إذ أنها-أي القصص- تبين مصارع المكذبين للمرسلين، وأصحاب الحجرنموذج من هذه النماذج، فالمكذب للرسل واحد وإن اختلفت الرسل وطرق التكذيب.

إذن فالتماسك بين اسم السورة ومضمونها يسير وفق اتجاهين:

1-اتجاه العلاقة بين قضية تكذيب أصحاب الحجر للمرسلين وآيات الله وبين اسم السورة (الحجر).

2-اتجاه العلاقة الجزئية المتمثلة في قصة أصحاب الحجر وكفرهم وبالتالي نيلهم عقاب الله وبين الكلية المتمثلة في قضية الألوهية العائدة إلى الله.

من هذا نستخلص أن هناك علاقة وثيقة بين السورة واسمها حتى أن أسماء السور أعلام عليها، يدل على ذلك أنك لو وضعت اسم سورة لأخرى لم يجز[1]، ووضع اسم معين لسورة جاء لحكمة ولم يأت اعتباطا لأنه من لدن حكيم عليم.

3-مناسبة آيات السورة لبعضها البعض:

لقد تبين من خلال الوسائل النصية السابقة (التكرار، الإحالة، الضمير، التوابع، الحذف) إلى جانب المناسبة أنها تقوم على الربط بين آيات السورة المختلفة وتحقيق التماسك بينها .

"والرابط الذي نرجع إليه وجه المناسبة بين الآيات هو رابط عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه"[2]

فالرابط إذن هو رابط إما ظاهر أو غير ظاهر؛ لأن ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لنعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه في الأول، فواضح (...)وإما

---

[1] ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، ص197.

[2] الزركشي، البرهان، ج1، ص35.

ألا يظهر الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة غير الأخرى و أنها خلاف النوع المبدوء به؛ فإما أن تكون معطوفة على الأول بحرف من حروف العطف(..) أو لا، فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة(..) وإن لم تكن معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط".[1]

فالدعامة أو الجهة الجامعة هي المناسبة لتقوم بوظيفة الربط بين أجزاء الكلام " حيث تجهد بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء" [2]

إذن للمناسبة أهمية كبيرة في تحقيق التماسك النصي حيث تظهر العلاقات الدلالية والمنطقية بين آيات السورة والمتمثلة في:

أ- تكرار الفاصلة الواحدة:

بداية نقول أن سورة الحجر بنيت على ثلاثة أحرف وهي (ألر) والتي تتعددت الآراء واختلفت حولها، وما يهمنا وظيفتها في تحقيق التماسك النصي بين الآية الأولى وآيات السورة كلها، فالزركشي يقول: " وتأمل السورة التي اجتمعت على الحروف المفردة كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف فمن ذلك **(ق والقرآن المجيد) ق/01**. فإن السورة مبنية على الكلمات القافية من : ذكر القرآن ومن ذكر الخلق..."[3]

فالحروف المقطعة هي الأساس الذي تبنى عليه آيات السورة كلها- على حد قول الزركشي- لكننا نلاحظ في سورة الحجر أن فواصلها تنتهي بحرفي النون والميم، وهي غير

---

1)السيوطي، الإتقان، ج3، ص 324 ، 326.

(2)الإتقان،ج3،ص323

(3) البرهان، ج1، ص169

(4)ا لسيوطي،معترك الأقران،تحقيق علي محمد البجاوي،دار الفكر،مصر،1973،ج1،ص141.

موجودة في فاتحة السورة (الحروف المقطعة) لذا نقول مع القائلين بأن " هذه الآثار تدل على أن المشابهة مما لا يعلمه إلا الله وإن الخوض فيه مذموم" [4]

وما نلاحظه أن سورة الحجر قد تكرر فيها حرفان هما: النون والميم، إذ تكرر النون 82 مرة وتكرر حرف الميم 16 مرة وآية واحدة انتهت باللام. فمن الآيات المنتهية بفاصلة النون نجد: مبين (1)، مسلمين(2)، يعلمون(03)، لمجنون (4) ......الخ.

بينما الآيات التي تنتهي بفاصلة الميم هي، معلوم (04)، معلوم (21)، عليم (25). السموم (27) ... الخ.

- **تعريف الفاصلة:** يعرفها الزركشي في البرهان بقوله:" وهي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرنية السجع"[1]

وعرفها القاضي أبو بكر بقوله:" الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني" [2] فتكرار الفاصلة يبرز أهميتها في فهم معاني الآيات الكريمة، وقد عبر عن ذلك الزمخشري في كتابه بقوله:" لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعني على سدادها، على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه"[3]

فالمناسبة التي تحقق بوحدة الفاصلة ليست بينها (بين الفواصل)فحسب، وإنما بينها وبين الدلالات التي تحملها، وبين الآيات التي توجد فيها الفواصل، فالدلالات تتلاءم مع الصفات الصوتية للفواصل بما تحمل من شدة وجهر أورقة ولين.

وقد ذكر هذا الزركشي في البرهان بقوله:" (...) وسر آخر هو أن كل معاني السورة مناسب لما في حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح".[4]

---

[1] البرهان، ج1، ص53.
[2] نقلا عن الزركشي، البرهان، ج1، ص53.
[3] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص25.
[4] البرهان، ج1، ص169.

فالفاصلة تقوم بتحقيق استمرارية المعنى بين الآيات، وبذلك فهي تسهم في تحقيق التماسك النصي بين آيات وسور النص القرآني، شأنها شأن الوزن والقافية التي تقوم بإعطاء الصفة النصية للنص الشعري، وبدونها لا تتحقق شعرية النص الشعري. فهذا فروست يقول :"إذا كانت القافية غير ضرورية، فهل يمكن أن نتصور لعبة التنس دون شبكة". [1]

والحقيقة أن ظاهرة القافية تقوم بخلق توازنات، وتنسيقات وتعمل على إظهار هندسة صوتية تطريزية، فهي تعمل على إبراز الوظيفة الشعرية بالمكون الصوتي الإيقاعي لتستقبله الأذن أنغاما موسيقية تعبيرية تأثيرية تتجاوز بألحانها العذبة مع الانفعال والروح الوجدانية السائدة في الخطاب الشعري.

فصفات أصوات الفواصل تعطي دلالة للآيات الكريمة بما تحمل من وقع.

وسورة الحجر-كما سبق القول- تنتهي بفاصلتي النون والميم المتقاربتان من حيث المخرج والصفات؛ ففاصلة النون تمتاز بأنها "أسنانية لثوية أنفية –مائعة مجهورة".[2] أما فاصلة الميم فتمتاز بأنها شفوية مزدوجة أنفية مائعة مجهورة.

فالنون بما تمتاز من صفات تدل على الاستدارة والإحاطة الجزئية بحيث نجد أن جميع الأفعال أو الأسماء المنتهية بفاصلة النون تدل على معنى التوسط لأن النون حرف وسطي شأنها شأن حرف الميم الذي يدل على التوسط بين البداية من الشرائع والأوامر.[3]

بينما الميم يدل على معنى الإحاطة الكلية بالعلم، لأنها مخرجها آخر ما ينطقه فهي تدل على النهاية وبأن جميع الأمور منتهاها إلى الله تعالى المحيط بكل شيء علما.

---

[1] فروست، الشعر كيف تفهمه وتتذوقه، ترجمة، محمد إبراهيم الشوش، مكتبة ميمة، بيروت، لبنان، 1961، ص45.

[2] أ- بريتيل مالبرج، علم الأصوات، تقريب ودراسة عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، 1986. ص132.

[3] ينظر البرهان ، ج1، ص 168.

ب- الإجمال والتفصيل: إن علاقة الإجمال والتفصيل من العلاقات الشديدة الصلة بالتماسك النصي بما تحمل من إحالة قبيلة؛ لأنها تقوم بشرح ما سبق إجماله. وفي هذا الصدد يقول الرازي "..فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي".[4]

ووجه العلاقة بين المجمل والمفاصل يكون عبر مستويات:

1- بين اسم السورة والسورة.

2- بين الآية والأولى وبقية السورة.

3- بين الآية والآيات المجاورة.

4- بين الآية والآيات غير المجاورة.

5- بين الكلمة والكلمة المجاورة.

و الآية (6) تمثل إجمالا وتفصيلا بين اسم الموصول "الذي" الذي يعد إجمالا لصلة الموصول "نزل عليه الذكر إنك لمجنون". فهذه العلاقة من الإجمال والتفصيل من النمط الخامس أي بين الكلمة والكلمة المجاورة. "فاختيار الموصولية لما في الصلة من المعنى الذي جعلوه سبب التهكم".[1]

وتتضمن هذه الآية النمط الثالث، حيث نجد أن الآية (07) تعد تفصيلا للآية(06) في قوله: (إنك لمجنون)، لأنه حسب اعتقاد الكافرين أن ما يصدر عن الرسول إلا جنون لذلك استهزئوا به بطلبهم منه الإتيان بالملائكة لتشهد على صدقه.

فيبين لهم الله تعالى أنه لا ينزل الملائكة إلا بالحق فمن خلال كلمة إلا بالحق فإنها تحوي إجمالا يفصل في الآيات (51)... (84)، حيث تشرح الحق الذي تأتي به الملائكة والمتمثل في العقاب المسلط على الأقوام الكافرة،كقوم لوط وأصحاب الأيكة والحجر.

---

[4] الرازي،التفسير الكبير،ج2،م1،ص140.

[1] التحرير والتنوير ، ج13، ص16.

وهذا النوع من العلاقة يندرج ضمن النمط الرابع الذي يحقق التماسك بين الآية والآيات الغير مجاورة لها.

ونجد ضمن النمط السابق الآية (9) في قوله تعالى: (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) . فحفظه للذكر يكون بطرق كثيرة من بينها حفظه من الشيطان الذين يسولون للناس تحريف القرآن وتزييفه، وقد جاء التفصيل في الآية (17) في قوله تعالى: (**وحفظناها من كل الشيطان رجيم**) فالآية تنويه بعصمة الوحي من أن يتطرقه النقص والزيادة.

والآية العاشرة تندرج كذلك ضمن النمط الرابع من علاقات الإجمال والتفصيل في قوله تعالى: (**ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين**)، فهؤلاء المرسل ونذكر بعضا منهم أمثال :إبراهيم ولوط في الآيات (51) و(61) على الترتيب والإشارة إلى أن أقوامهم مجرمون (خاصة قوم لوط) الذين تمادوا في فعل الفاحشة.

أما النمط الثالث فهو بين الآيتين (12) و(13) في قوله تعالى:(**كذلك نسلكه في قلوب المجرمين**) فتعتبر هذه الآية إجمالا للآية الموالية بحيث تفصل الجواب الضمني عن السلوك الذي سلكه الله في قلوب المجرمين بقوله: (**لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين**).فهذا المسلك هو عدم إيمانهم بالذكر المترل على رسول الله إليهم وتماديهم في الكفر والعصيان.

وتندرج ضمن النمط السابق الآتيين (21) و(22) ففي قوله تعالى: (**وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما نترله إلا بقدر معلوم**) /21؛ لأن التتريل لا يكون إلا من فوق إلى أسفل وهو خاص بالمطر الذي فصل ذكر إنشاء الرياح المسببة في نزوله لسقي (الحياة) الكون بأسباب الحياة.

ومجموع الآيات السابقة تفصيل للإجمال الوارد في الآية (23) حيث أن المطر سبب الحياة لكن المالك الحقيقي لأسباب الحياة هو الله في قوله تعالى: : (**وإنا لنحن نحي**

ونميت ونحن الوارثون (23)) . فالله هو المتفرد بالتصرف وإثبات البعث ودفع استبعاد وقوعه واستحالته.

ومن الآيات المتضمنة علاقة الإجمال والتفصيل من النمط الثالث الآية (41) وما جاورها من الآيات ففي قوله تعالى: **(قال هذا صراط علي مستقيم(41))** ، فهذا الصراط الذي وضعه تعالى يتمثل في أن الشيطان لا يغوي إلا من اتبعه من الغاوين فاستحقوا بذلك جهنم مصيرا لهم . وفصلت هذه الآية في قوله تعالى: **(إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من أتباعك من الغاوين (42) وإن جهنم لموعدهم أجمعين(43))** والآيتان (49) و(50) تمثلان إجمالا للآيات الموالية لها من الآية (51) إلى (84) ،ففي قوله تعالى: **(نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم(49) وأن عذابي هو العذاب الأليم(50))** فالرحمة تمثلت في نجاة إبراهيم ولوط من العذاب، والعذاب تمثل في العقاب المسلط على قوم لوط وأهل الأيكة وأصحاب الحجر.

فالأنماط المختلفة لعلاقة الإجمال والتفصيل في سورة الحجر نستطيع تلخيصها في الجدول التالي:

الآيات المجملة	الآيات التي تفصلها	نمط الإجمال والتفصيل
-ألر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين	من 2 إلى 99	الثاني
-إلا ولها كتاب معلوم	ما تسبق من أمة أجلها وما سيتأخرون	الثالث
-كذلك نسلكه في قلوب (12)	لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين	الثالث
-وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما نتزله إلا بقدر معلوم (21)	(22)	الثالث
-وإنا لنحن نحي ونميت ونحن	21 و 22	الثالث

الوارثون (23)		
-قال هذا صراط على المستقيم (41)	42، 43	الثالث
-نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم (49) وأن عذابي هو العذاب الأليم (50)	51 إلى (84)	الرابع
ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين (10)	51 و 61	الرابع

وبعد هذه النماذج يتأكد لنا أن علاقة الإجمال والتفصيل ذات وظيفة مهمة في تحقيق التماسك النصي على مستوى الكلمة والجملة والآية وحتى بين السورة والسور الأخرى.

ج- ترتيب الجمل حسب ترتيب الأحداث:

انتظام الجمل في النص، دليل على انتظام العناصر المكونة لعالم ذلك النص، فالروابط وسائل لغوية تستنتج الخيوط التي يتوسل بها الفكر لتنظيم عناصر علم الخطاب عند الباث مركبا وعند المستقبل مفككا"[1]

فالأحداث في عالم الواقع تكون مترابطة؛ بمعنى انها تترتب مع بعضها، فالنتيجة تترابط مع الأحداث السابقة عليها، ومن ثم تكون الأفكار التي تعبر عن المقدمات والنتائج مترابطة، ترابط الأحداث، ويتوسل النص للتعبير عن هذا الترابط بوسائل كثيرة، كما أكدنا دلالية وشكلية.

ويرتبط هذا النمط بالمناسبة من جهة المناسبة بين ترتيب الأحداث الواقعة وبين الجمل المعبر عنها.

وهو ما نلاحظه في سورة الحجر ؛إذ تعبر عن أحداث كثيرة ووقائع رتبت ترتيبا منطقيا حسب ترتيب الأحداث والمقدمات والنتائج.

الآيات (26) و (27) تتحدث عن خلق الله لآدم من مادة وضيعة بعد خلقه للجان من نار السموم، وكذلك الآيتين (29) و (30).فعندما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه أمر الملائكة بالسجود فسجدوا جميعا عدا إبليس الذي أبى واستكبر.

فالآية (29) كما قلنا تمثل ترتيبا منطقيا للجمل حسب ترتيب الأحداث والوقائع فلا يكون السجود لآدم إلا بعد أن تم خلقه.

ونجد كذلك علاقة ترتيب الجمل حسب ترتيب الأحداث في الآيات (51) إلى (64) فالملائكة جاءوا إلى إبراهيم في هيئة بشر، فقدم لهم الأكل كعادة العرب، لكنه خاف منهم عندما لم يقربوا أيديهم إلى الأكل، فأخبرهم بخوفه منهم. لكنهم طمأنوه

---

[1] ينظر نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية، ص125.

وخبروه بما جاءوا به من حق، وبعد ذلك اتجهوا إلى لوط لينذروه من عقاب الله المسلط على قومه لأنهم كفروا وتمادوا في عصيانهم.

إذن المناسبة بين عالم النص وعالم الواقع تمثل انعكاسا على تماسك النص القرآني من خلالها وبما تحوي من وسائل شكلية ودلالية أخرى تساهم في ذلك التماسك.

د–علاقة التضاد:

وهي من أنماط المناسبة التي ذكرها العلماء في حديثهم عن المناسبات بين الآيات، وعلاقة الضدية هي التي تبيح التماسك،وهذا يتحقق بين الآيات التي تتحدث عن النعيم وأصحابه وتليها التي تتحدث عن العذاب، وكذلك التي تتحدث عن البشرى وتلك التي تتحدث عن النذير، ومنها قوله تعالى:

(ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون) (22).

(والجان خلقناه من قبل من نار السموم)/27.

(وإن جهنم لموعدهم أجمعين) /43.

(إن المتقين في جنات وعيون) /45.

(نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم) /50.

(وأن عذابي هو العذاب الأليم)/50.

فعلاقة التضاد ليست بين الكلمة والأخرى ، بل بين الجملة والجملة والآية والآية كما لاحظنا في الآيات السابقة.

وكل الآيات التي تتحدث عن الجنة والنار والنعيم والعذاب والذين آمنوا والذين كفروا. سواء أكان ين كلمة وكلمة أخرى أم جملة وجملة أم آية وآية أخرى أم عدة آيات.

ومما سبق لا يخفى ما للتضاد من وظيفة في تحقيق التماسك بين المتضادين إما شكليا وإما دلاليا.

ومن هذا العرض لقضية المناسبة، وعلاقتها بلسانيات النص، يتبين وظيفتها في تحقيق التماسك النصي، على المستوى آيات السورة الواحدة.

ويتأكد إضافة المناسبة إلى الأنماط المحققة للتماسك النصي،وتبين كذلك أهمية الخروج في التحليل اللغوي، من إطار الجملة إلى إطار النص.